

أمير عاطف

لوغاريتم

الأحداث العظيمة تحدث مرتين...
وربما أكثر

رواية

LOGARITHM

دار دوّن



لُوغَارِيتْم

أمير عاطف:لوغاريتم، رواية

الطبعة العربية الأولى يناير٢٠١٧

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٢٥٨٣٩ - الترقيم الدولي: 978-977-806-049-2

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

القاهرة - مصر

Mob: +2 - 01020220053

info@dardawen.com

ww.Dardawen.com



لُوغَارِيتْم

رواية

أمير عاطف



إهداء

إلى طفلتي.. زينة

التي ألهمتني - بغير قصد - فكرة وحبكة هذه الرواية...

والدكِ المحب

أمير



إهداء

إلى الزوجة الرائعة: ريهام نعمان نخلة

والحبيبة المثيرة: وفاء نعمان نخلة

والعشيقات الفاتنات: نهال، ياسمين... وأخريات

أهدي إليكن جميعًا هذه الرواية..



«كل الأحداث العظيمة تحدث مرتين» قال هيجل

وأضاف ماركس:

«كل الأحداث العظيمة تحدث مرتين. في المرة الأولى بشكل تراجيدي، وفي المرة الثانية بشكل هزلي..»

هيجل (فيلسوف ألماني ١٧٧٠ ـ ١٨٣١)

ماركس (فيلسوف ألماني ١٨١٨ ـ ١٨٨٣)



خاتمة

كتابتي لهذه الرواية تعتبر أكبر بل وأخطر خطوة اتخذتها في حياتي، فقد اعترفت فيها بكل شيء دون استثناء، وذكرت فيها كل الحقائق دون كذب أو تجميل، رغم أن ما سأقوله هنا، في هذه الرواية، قد يشعل النار من جديد بعد أن خمدت وصارت الآن ليس إلا رماد. رغم أن ما سأحكيه قد يفتح ملفاتٍ كانت قد أُغلِقَت منذ زمن. رغم أن ما سأسرده قد يدفع فضول البعض منكم على أن يذهب إلى المناطق المذكورة ليبحث عن هؤلاء الشخوص..

أو ما تبقى منهم.

يا الله يا عفو، أزل من قلبي أي كرهٍ أو ضغينة لأستطيع كتابة هذه الرواية بكل تسامح دون تحريف أي شيء. يا من أنزل أول كلمة في كتابه كلمة «اقرأ» ، ساعدني لأكمل كتابة هذه الرواية قبل أن تكمل هي عليَّ. يا الله يا معين، أعِنّي على الانتهاء منها قبل أن أنتهي أنا.. فأنت الواحد الوحيد الذي يعلم كم هي مرهقة عليَّ كتابتها.

فالشيء الوحيد الذي يعين المرء على تطهير نفسه من دنس ماضيه، هو أن يواجهه، بل يكتبه..! حتى لو كان هذا الماضي ليس له دخل في حدوثه.!

أنت كقارئ، سواء كنت مُبتدِئًا أو مُتمرسًا نهمًا.. هل تستطيع أن تصف لي شعورك عندما تلتقي بكاتبٍ تحبه، كاتب له شعبية كبيرة وعظيمة مثل هذا الجالس هناك؟ والذي قلّما يعقد ندوة، أو يقيم حفل توقيع لرواياته؟

هذا بالضبط ما يشعر به الآن هؤلاء القراء وهم في حضرته؛ الكاتب الشاب والأديب الرائع؛ كما ينعتونه في أغلب البرامج التي يتم استضافته فيها، أو الحوارات الصحفية التي - بالكاد - يوافق عليها.. إنه الكاتب «مروان جبر».

استطاع مروان في فترةٍ وجيزة احتلال قلوب قرائه، والإمساك بتلابيبهم من أول صفحة لآخر صفحة في رواياته، استطاع بقلمه الغزير الذي لا ينضب من المشاعر الرومانسية المرهفة أن يستحوذ على قلوبهم ويدغدغ أعصابهم من قوة ألفاظه وسلاسة وصفه..

في القاعة الفسيحة، الملحقة بمكتبة «اقرأ» في شارع شريف بمنطقة وسط البلد. لم يكن هناك موضع لقدم؛ فبالرغم من اكتظاظ القاعة بالقراء، كان هناك من كان يتابع الندوة من خارج القاعة عن طريق مكبرات الصوت المثبتة في الأركان. ورغم هذا العدد الهائل من الحضور لكن الهدوء كان سائدًا في القاعة وخارجها. كل الوجوه مبتسمة، والرؤوس تشرأب كي يتسنى لهم مشاهدة مروان وهو يتحدث إليهم بطريقته اللبقة، وحضوره الطاغي، وأسلوبه الساحر في الحديث، والذي ينم عن ثقة لم يتمتع بها كثيرين من الكتاب المعاصرين له.



كانـت حالتـه النفسـية في هـذه النـدوة مرتفعـة جـدًا، وفي الحقيقـة، لا يدري مـاذا سـتكون حالتـه المزاجية بعـد دقيقـة، لـذا فـما يهمـه الآن هـو هـذه اللحظـة وحسـب! يلاحـظ التـماعـة في عيـون الفتيـات الحـاضرات، وكيـف أنهـن لا يسـتطعن كبـح جمـاح مشـاعرهن الجياشـة تجاهـه. بعدمـا انتهـى مـن الإجابـة عـلى أحـد الأسـئلة، لإحـدى الفتيـات الحسـناوات. رفـع شـاب يـده يريـد أن يسـأله سـؤالًا، اسـتطاع مـروان تمييـز جنسـه مـن خـلال يـده السـمراء مـن بـين عـشرات الأيـادي البيضـاء الملسـاء الناعمـة، سـمح لـه بإلقـاء سـؤاله لينتهـي منـه سريعًـا كـي يتسـنى لـه الاسـتمتاع بأسـئلة الفتيـات الرقيقـات.. وقـف الشـاب ذو البشرة السـمراء وحَـبِّ الشـباب المنتشر في وجهـه يتصفـه دُمّـل في أنفـه عـلى وَشَـك الانفجـار، أشـار لـه مـروان بالجلـوس، فليـس بـه شيء يجعلـه يسـتمتع بوقفتـه البهيّـة أمامـه..! هكـذا فكّـر مـروان، سـأله الشـاب:

- أستاذ مروان، أريـد أن أعـرف منـك مـا هـي أقـرب روايـة إلى قلبك..؟ وكيـف تسـتطيع كتابة هـذا الوصـف الـذي مـن خلالـه تخـوض داخـل النفـس البشريـة لشـخوصك، عـلاوة عـلى الـكلام الرومانـسي الـذي يجعلنـا نعيشـه وكأننـا جـزءٌ منـه تمامًـا..؟

- سؤال تقليدي سخيف..!

هكـذا قـال مـروان في سرّه؛ فهـو يكـره جـدًّا هـذا السـؤال، ويعتـبره سـؤال مـن لا سـؤال لـه، سـؤال يسـأله مـن يريـد أن يظهـر فقـط ليتحـدث. فقـط لمجـرد الظهـور! طُـرِحَ عليـه هـذا السـؤال مـن قبـلْ عـشرات المـرات، ورغـم ذلـك فهـو مُجـبر عـلى إلقـاء تلـك الإجابـة التـي قالهـا أيضًـا عـشرات المـرات. لم يكـد يهـم بتحريـك شـفتيه مُبتسـمًا بوقـارٍ حتـى سـكت كل الحاضريـن تأهبًـا لسـماعه والإنصـات لـكل حـرف يخـرج مـن فيِّـه: في الحقيقـة، كل روايـاتي

قريبون من قلبي جدًّا، وليس في استطاعتي، على الأقل في الوقت الحالي، أن أفضّل رواية عن الأخرى. وبالنسبة للجزء الثاني من السؤال..

أطرق رأسه بخجلٍ مصطنعٍ ممزوجًا بزهوٍ وفخر، استطرد باسمًا:

- لا أعرف كيف أكتب هذا الكلام، لكنني أعرف جيدًا أنها حالة، حالة أتقمصها وأعيشها، حالة أجدت تقمصها. لذلك أنتم تعيشوها حين تقرأون لي. وعلى كلٍ، فأنا سعيد جدًّا أن كتاباتي تلقى إعجابكم، وهذا بالضبط ما يشجعني أن أكمل مشواري الذي بدأته، وأعدكم بكتابات أعظم في رواياتي القادمة إن شاء الله..

هزَّ رأسه بإيماءة، إشارة على الانتهاء من إجابته. فرفعت الأيادي مرة أخرى، من بينها نفس اليد السمراء للشاب صاحب الدُمل، تجاهله مروان تمامًا، وأشار برأسه لفتاةٍ لتلقي سؤالها، نهضت فسكت الجميع.. شعرها أصفر ذهبي مُسترسلٌ على كتفيها، وعيناها زرقاوان جامدتان لا تشيان بشيء أكثر من إعجابها بقلمه وكتاباته فقط، لم يلمح في عينيها أي لمعة إعجاب أو انبهار بشخصه، لذا شعر أن سؤالها بارد خالٍ من أي شيء.. سألته الفتاة:

- بداية، أود أن أعبر عن إعجابي بقلم حضرتك، وأريد أن أعرف، لماذا أنت مُقِلّ في ظهورك وحفلات توقيعك؟.. سألتْ وجلستْ. بعد أن استرق نظرة إلى مفرق صدرها خلال فتحة بلوزتها. أجاب:

- لستُ مُقِلًا، كل ما في الأمر أنني إذا ظهرتُ كثيرًا وعقدت حفلات توقيع وندوات كل يوم أو يومين، لن أجد وقتًا أكتب فيه أو أنفرد بعزلتي في بناء فكرة جديدة، جيدة، لرواية ما.. وفي هذه الحالة لن يكون لديَّ قُرَّاء مثلكم. إذًا فأنا أمام خياران، إما أن أظهر بغزارة ولا أتفرغ للكتابة، أو العكس.. وأعتقد أنكم ستختارون مثلي..



ابتسم متوقفًا عن تكملة جملته ليعطيهم الفرصة أن يكملوا ما يريد سماعه منهم. في هذه اللحظة تجسّد فجأة أمامه رجل، يعرفه جيدًا، يرتدي جلبابًا أبيض، عاقدًا يديه أمام صدره وهو يبتسم، واقفًا وسط الحضور مُنتصِب القامة، ضحك فجأة بصوتٍ عالٍ واختفى فجأة بعد ثانيتين. ازدرد مروان ريقه وشرد قليلًا، لكنه سرعان ما عاد من شروده وابتسم حين أردف الحضور بأصواتٍ عالية متتابعة متداخلة:

- ...بالطبع سنختار أن تتفرغ للكتابة يا أستاذ مروان.. فردَّ عليهم مُبتسِمًا لاستقبال سؤال آخر: شكرًا.

رفعت الأيادي مرة أخرى، أشرف برأسه فوجد يد ناصعة البياض لسيدة، لمح شعرها الأسود الناعم الفاحم، أشار لها فوقفت لتلقي سؤالها متلعثمة، متعثرة في ارتباكها أمام انبهارها به، بدت مليحة، متوسطة الطول، دقيقة التكوين. قالت له بصوتٍ رقيق أذابه:

- اسمي نهال عبد الحكم. إذا سمحت يا أستاذ مروان، أريد أن أعرف منك كيف أنشر عملًا أدبيًا، لأنني أحب الكتابة، ولدي مجموعة كبيرة من الخواطر، وعدة قصص. كل من قرأها يمدح فيها، وأنا أيضًا أدَّعي أنها رائعة، وأريد منك أن أعرف ما هي خطوات النشر.

أطرق لثانيتين وأخذ نفسًا عميقًا ليستجمع أقل كلام يمكنه التعبير به من خلاله عمّا يريد قوله:

- في الحقيقة، لا أخفي عليكِ أن النشر ليس سهلًا.. وعدد دور النشر الآن لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، وعمومًا حاولي مرة واثنتين وعشرة وإياكِ أن تيأسي.. طالما مؤمنة بنفسك وبقلمـ..

قاطعه صوتٌ أجش للشاب صاحب الدمل: أنا أيضًا لديَّ كتابات كثيرة، وعرضتها على ثلاث دور نشر، اثنان منهم لم يردّا حتى الآن،



والثالثة رفضوني بحجة أن كتاباتي ليست مناسبة لخطة نشرهم هذا العام.. فماذا أفعل؟!

بعدما سمع مروان صوته تغيرت ملامحه واجتاحته رغبه في إلقاء قلمه مباشرة في وجهه ليرشق في عينه، أو يخبره بحقيقة إمكانية النشر فيقطع عليه جميع حبال الآمال التي يتعلق بها، لكنه آثر مضطرًا أن يجيب بلباقة مبتسمًا: لا أريد أن أغلق أبواب الأمل أمام حماسكم المُتّقِد يا شباب، ولا أنكر أنني كنت مثلكم في يومٍ من الأيام... نظر يمينه مبتسمًا ثم نظر إليهم مرة أخرى مُستطردًا: لكنني تعبت كي أصل إلى ما أنا فيه الآن.. رغم أني أود أن أقول لكم بملء فمي لا تيأسوا، واستمروا. لكني أيضًا لا أستطيع أن أغشّمكم بأشياءٍ غير مضمونة. نحن الآن في عام ٢٠١٠ والنشر لم يزل صعبًا، إن لم يكن مُستحيلًا.. اتعبوا، واطرقوا كل أبواب دور النشر، وتأكدوا أن من لديه قلم جاد، وأفكار رائعة، ستتهافت عليه دور النشر، ليس في مصر فقط، ولكن أيضًا خارجها. ومن يعلم؟!! ربما، في يومٍ ما. نجد في مصر دور نشر كثيرة، وكُتّاب أكثر، ومكتبات أكثر وأكثر. ولكل مكتبة فرع لها في عدة محافظات، ويحدث إثراء حقيقي في الحياة الثقافية بمصر وباقي الدول العربية. أتمنى ذلك من كل قلبي.. شكرًا لكم جميعًا وأتمنى لكم التوفيق..

أنهى إجابته مبتسمًا رغم أن الشاب حرَّك شفتيه عازمًا على إلقاء سؤال آخر، نظر إليه شزرًا وأخرج قلمه مُشيرًا للحاضرين أنه على استعداد بدء التوقيع، همَّ الجميع بالالتفاف حوله وفي أيديهم نسخ من رواياته ليوقعها لهم.

مثل هذه اللحظة هي أسعد لحظات حياته، لحظة التفاف القراء حوله، يتنسّم حينها شذا النجاح وأريجه، والقراء حوله يتناقشون فيما

بينهم عن إحدى شخوص رواياته، أو تتسلّل لمسامعه كلمات المدح والثناء عن أعماله فيبتسم. وقّع نسخًا كثيرة في هذا اليوم. وفي الواقع، مهما كثر أعداد النسخ لا يشعر بأي تعب قَط، حتى لو ظل يوقّع ليوم كامل. كل من معه نسخه يقف أمامه مبتسمًا وهو ينظر إليه بانبهار ثم يستأذنه ليأخذ معه صورة. إلى أن جاء الدور على السيدة صاحبة الشعر الأسود الغجري التي سألته عن كيفية نشر كتاباتها، اقتحمته بعينيها المرسومتين بدقة، وعبق عطرها الساحر، وقدها الممشوق، وليونة يديها حين صافحته، وصوتها الرائع حين أخبرته كم هي مُلتاعة بما يكتبه. افتتن حينها بها وبجمالها، فكانت الوحيدة التي نهض من مكانه ليصافحها ثم جلس مرة أخرى. وقّع لها بصيغة مختلفة عن الباقين، وذيّل توقيعه برقم هاتفه دون أن يلاحظ أحد. أعطاها نسختها وطلب منها بصوتٍ خافت أن تتصل به، فرحلت بعد أن لمح لمعة سعادة في زوايا عينيها البديعتين.

من أكثر الأشياء التي ربحها مروان من الكتابة، هي نظرات الإعجاب التي تنهال عليه من القراء، أو بمعنى أدق القارئات. الفتيات أو بمعنى أوضح السيدات، وتحديدًا ما فوق الثلاثين.. اللائي يمثلن أكبر شريحة من جمهوره. فالسيدات في هذا السن - كما يرى هو - يكن قد وصلن لمرحلة الذروة في كل شيء..!

لم يكد ينتهي من توقيع آخر نسخة حتى رنَّ هاتفه بجواره.. رمقه وهو يوقع فوجد أن المتصل وفاء نعمان نخلة؛ الكاتبة صاحبة الروايات الأعلى مبيعًا، والغنية عن التعريف، إحدى أشهر كاتبات هذا الجيل، وأقرب شخص له في الوسط الأدبي والثقافي. تربطه بها علاقة قوية جدًّا. تفهمه حتى دون أن ينبس بكلمة، وإذا شرع في سرد فكرة لها، تكمل هي

ما كان سيهم بقوله. ذكية جدًّا، طموحة ومتطلعة.. الكل معجب بها، سواء بسبب قلمها وكتاباتها أو بسبب قدها السمهريّ الذي يلهب غرائز كل من يراها. وفي أي حفل توقيع لها هناك حتمًا من عشرين إلى ثلاثين بالمائة يحضرون ليستمتعوا بهذه الغادة النجلاء، ورؤية صدرها الناهض لّما تضمهما حين تستند بكوعيها إلى المنضدة أمامها، وبمؤخرتها حين تقف مع أحدهم ليلتقط بجوارها صورة. بالإضافة إلى عينيها الرماديتين النجلاوين.. الآسرتين.

كل ما سبق تارة ونطقها لحرف اللام دون غنج متعمّد منها تارة أخرى..!

رد عليها بصوتٍ خفيض بحيث لا يسمعه أحد من القراء: آلو.. حبيبتي، هل وصلتِ؟

قالت له مُضجرة أنها تنتظره خارج القاعة منذ نصف ساعة، فاعتذر لها وأخبرها أنه سيخرج بعد خمس دقائق؛ لأنه يدرك جيدًا أنها لن تستطيع الوقوف بالخارج، فمعظم القراء الذي خرجوا من القاعة، إن لم يكن كلهم. قد يستوقفونها ويتحدثون معها. ذلك لأن معظم قرائه، إن لم يمكن جميعهم. هم في الأصل قراءها..!

***

خارج قاعة الندوة..

وقفت نخلة وهي تنظر متأففة إلى الساعة كل دقيقة وقد عيل صبرها. تلتقط أحد الكتب من الأرفف الخلفية وتتظاهر أنها تتصفحه وتقلّب فيه، ولم تكد تمر ثانية إلا ويراها أحد القراء أو أحد العاملين بالمكتبة ليصافحها ويتحدث معها أو يلتقط معها صورة، فتضطر إلى أن تبتسم رغمًا عنها..!

خرج مروان لها أخيرًا وقد بدا على قسمات وجهها الامتعاض، همَّت أن تسبه وتسب أهله لكنه لاحقها مُمسِكًا يديها، قائلًا لها بصوتٍ خافت:

- أخبرتك أن تنتظريني في بار ستيللا وسوف أتبعك إلى هناك، لكنك صممتِ أن تنتظريني هنا..!

- أولًا: لن أستطيع دخول ستيللا بدونك وأنت تعرف ذلك جيدًا. ثانيًا: لا أستطيع الشرب أيضًا بدونك. ثالثًا: - وهذه هي النقطة الأهم - اقتربت منه وقالت له بصوتٍ خافت: أريد أن أقترح عليك قضاء الليلة سويًّا إن كانت الهانم زوجتك مازالت عند أمها ولم تعد بعد..

لمعت الفكرة في عقله، خصوصًا أنه يشتاق كثيرًا لها، ولجسدها..! ولم يستطع مقابلتها في شقتها التي تعيش فيها بمفردها في الفترة الأخيرة بسبب ملاحظة الجيران لهما.. والحل الوحيد بالفعل هو أن يذهبا لشقته، لكنه لا يعرف هل ريهام زوجته ما زالت عند حماته أم عادت إلى البيت، كذلك يخشى الاتصال بها كي لا تشك في شيء..! اقترح على وفاء أن يذهبا أولًا إلى بار ستيللا، يحتسيا زجاجتين بيرة بينما يفكران في هذا الموضوع.

استوقفا سيارة أجرة إلى البار، جلسا خلف السائق الذي وصل بعد خمس دقائق، مدة كافية لتتسلل يديه تحت ملابسها ويخدش ظهرها بأظافره، فشهقت شبقًا.. وصلا إلى البار ذو الطابع الكلاسيكي، والذي يجلس فيه سيشعر أنه عاد بالزمن للوراء ألف وربعمائة وتسعة وثلاثين عامًا، طلب كل منهما زجاجة بيرة. تحدثا عن أمورٍ كثيرة تتعلق بآخر مشاريعهما الأدبية، تناقشا عن فكرة يريد الكتابة عنها، فحذَّرته من عدة نقاط تم إدراجهم في روايات غربية من قبل.

برغم أنه قرأ مئات الكتب، لكنها رغم ذلك قرأت أكثر منه،



فهو يحب أن يقرأ في الأدب الاجتماعي، أما هي فضليعة في قراءة كتب الخيال العلمي والفانتازيا، والرعب. لذلك، عندما تلمع في ذهنه فكرة ما، يسألها أولًا هل تم تناولها في أحد الكتب أو الروايات التي قرأتهم. باختصار، كانت وفاء تعتبر مستشاره الثقافيّ، الوفيّ. قبل أن يشرع في كتابة أي رواية يجب أن يعرضها عليها أولًا، إذا لمح في عينيها الانبهار، يبدأ فيها في الحال. أما إذا تلعثمت في إبداء رأيها، فيعرف أن عليه التفكير في كتابة فكرة جديدة.. كذلك كانا يقضيان معظم الوقت معًا، ومعظم القراء أو الناشرين يشاهدوهم دائمًا مع بعضهما البعض، في غدوهما ورواحهما، حتى ظن البعض أنهما متزوجان!

سألته مرة أخرى ماذا سيفعلان الليلة، وهل سيستطيعان قضاء الليلة في بيته أم لا. حكَّ رأسه بسبابته وهو يفكر، إن كانت زوجته تنوي المبيت عند والدتها فستتصل به لتخبره، ولكن اتصاله هو بها سيجعلها تستنبط تلقائيًا أنه سيحضر امرأة إلى الشقة، وستخبره أنها لن تبيت عند والدتها. وربما بعدما تخبره بذلك تتصل به بعدها بساعتين لتقول له أنها ستبيت، بعدما يلغي الفكرة.. «هيا.. اتصل بها فالوقت يمر..» قالت وفاء قاطعة حبال تفكيره، فأمسك هاتفه مرغمًا ليتصل، فردت عليه أحد أكثر الأشخاص الذين يكرهونه في هذا الكوكب؛ حماته:

- آلو.. كيف حالك يا حماتي العزيزة..

- قطران، ماذا تريد..؟!

أخفض الهاتف بين فخذيه وبصق فيه ولعن زوجته وأمها وأجدادها قبل أن يلعن نفسه لأنه أتصل. ثم أعاد الهاتف إلى أذنه مرة أخرى: كنت أريد أن أطمئن على زوجتي الحبيبة ريهام. قال مُتهكِمًا: هل هي ما زالت معك أم ذهبت لمنزلنا؟

- هي معي الآن، وإن كنت مهتمًا أصلًا فنحن عند طبيبة النساء..

- لماذا؟! سألها قلقًا فأجابته بنبرة تهكمية: اليوم موعد متابعتها عند الطبيبة، والحمد لله هي بخير.

لوّحت وفاء بيدها أن يختصر في الكلام معها ويسألها، فأشار لها أن تتريّث:

- طيب، الحمد لله أنها بخير، والجنين كيف حاله الآن؟

- بخير، ووزنه زاد. موعد الولادة في خلال الأيام القادمة.. أتمنى أن تثبت جدارتك واستحقاقك بهاتين الهديتين، أقصد بالطبع ابنك وزوجتك. وأتمنى أن يهديك الله، وتكفّ عما تفعله..!

- إن شاء الله يا حماتي العزيزة الغالية. قالها قاصِدًا في سره «إن شاء الله أيتها الحرباء» سألها مُترقبًا: هل ستبيت ريهام عندك الليلة إذًا..؟

- نعم.. ستبيت عندي الليلة.. هل لديك مانع؟!

- لا لا لا.. أتمنى أن تكونا بخير، وسآتي إليكما غدًا بمشيئة الله، وسأمكث معكما حتى يوم الولادة.. قالها وقد انبسطت أساريره، أغلق الهاتف، وضعه على المنضدة وبصق عليه مرة أخرى قبل أن يخبر وفاء مُتهللًا أن البيت سيكون مُناسبًا الليلة، فانبسطت أساريرها وهي تطلب الشيك لتدفع الحساب.. وذهبا إلى البيت مباشرةً..!

***

بعدما أغلقت الحرباء الهاتف، دخلت مرة أخرى إلى غرفة الكشف حيث تجلس ابنتها ريهام على حافة السرير وتصلح من هندامها، قالت لها الطبيبة: يجب أن تهتمي بالأكل جيدًا هذه الأيام، وتكثري من الجماع الآمن، وابتعدي عن تناول أي شيء لاذع. واسمعي موسيقى بقدر ما تستطيعين واسترخي، لأن ضغط الدم لديكِ مُرتفِع، وهذا سيضرّك في غرفة العمليات أثناء الولادة

- حسنًا يا دكتور، سأنفّذ كل ما قلتِه بالحرف.

- أهم شيء أن يكون الجماع آمنًا، أخبري زوجك بهذا. وأخبريه أيضًا أننا ننتظر روايته الجديدة على أحرّ من الجمر.

- حاضر يا دكتور.

غادرتا عيادة الطبيبة، وركبت مع والدتها السيارة قبل أن تسألها ماذا كان يريد مروان، فأجابتها وهي تشيح بيدها

- كان يسأل إن كنتِ ستبيتين عندي الليلة أم لا، فقلت له إنكِ ستبيتين عندي حتى موعد الولادة.

- لماذا قلتِ له ذلك يا أمي؟ هل أنا أخبرتك بذلك؟!!

- لن أجعلكِ تجلسين معه، دعك من هذا الهراء الذي قالته الطبيبة، ما معنى جماع آمن أصلًا؟

- لالالا، ليس هذا هو سبب عودتي الليلة إلى شقتي.

- وماذا إذًا؟

- يوجد هناك ملابس المولود، وأشيائي الشخصية التي نسيت أن أحضرها أمس، ويجب علينا الذهاب إلى هناك لإحضارها.

* * *

في نفس الوقت الذي يتأبط فيه وفاء نخلة وهما في طريقهما لشقته، كان يفكر في طريقة مثالية ليطلّق ريهام بهدوء، ويتزوج وفاء ويبدأ حياة جديدة مع بعضهما البعض، خصوصًا بعدما زادت الفجوة بينه وبين زوجته، ريهام نعمان نخلة، في الفترة الأخيرة، بالرغم من أنها على وشك وضع مولودهما، بعد ستة أعوام من الزواج، قضى منهم ثلاثة أعوام في رحلة علاجه من العقم.

لم يكـد يقـترب منهـا، حتـى يحـدث شيء يبعـده عنهـا، فتـزداد الفجـوة التـي بينهـما أكثـر وأكثـر. رغـم أنـه لا ينكـر أنـه يشـفق عليهـا مـن زواجـه منهـا، ويشـفق عليهـا مـن كل شيء يفعلـه معهـا. لكـن الأمـر ليـس بيـده، فقـد حـاول كثيرًا أن يفتـح قلبـه لهـا، لكـن في كل مـرة يجـد نفسـه أمـام علاقـة جديـدة تبعـده عنهـا أكثـر، في الوقـت الـذي كانـت فيـه تتحمّـل كثيرًا ولا تسـتطيع أن تشـتكيه لأمهـا، كـي لا تشـمت فيهـا، لأنهـا كثيرًا مـا حذرتهـا مـن زواجـه منهـا.

منـذ سـت سـنوات، حاربـت ريهـام والدتهـا التـي لم ترتـح لـه قـط حـين تقـدّم لهـا لأنـه زيـر نسـاء، ورغـم أن ريهـام كانـت تعلـم ذلـك، وتعـي تاريخـه جيدًا، لكنهـا أحبتـه منـذ أول لحظـة رأتـه فيهـا، وانبهـرت بشـخصيته الجذابـة. رغـم أنـه أقـل منهـا ماديًّـا، واجتماعيًّـا. ولم يكـن حينهـا سـوى شـاب يعمـل في مكتبـة، أمـا هـي فكانـت تعمـل مُعِـدّة بأحـد البرامـج الثقافيـة.. هـي نفسـها لا تعلـم لمـاذا أحبّتـه.. هـل لأنهـا كانـت ضعيفـة آنـذاك بسـبب فسـخ خطبتهـا؟ ربـما. هـل لأنهـا وجـدت فيـه مـا كانـت تحلـم بـه في هـذه الفـترة؟ ربـما. هـل لأن أمهـا منعتهـا مـن الاقـتراب منـه ففعلـت ذلـك لأن الممنـوع لـدى الإنسـان هـو أول شيء مرغـوب؟ ربـما..!

لكـن الـشيء الـذي كانـت متأكـدة منـه، أنـه ولـج صدرهـا فجلـس عـلى عـرش قلبهـا وتربّـع، فجعلهـا تنسـى كل شيء عـداه، حتـى خطيبهـا السـابق الـذي تركهـا فـترك فيهـا جرحًـا عصيًّـا عـلى الاندمـال بسـهولة، حتـى قابلـت مـروان الـذي مـسَّ قلبهـا، المُهترِئـة أنحـاؤه، فقوَّمهـا. وجـالَ بـينَ جدرانـهِ، الملتويـةُ طُرقاتـه، فعدَّلهـا. وطـاف بـين أطلالـه، المُحَطَمـةِ أرجـاؤه، فرَتَبَهـا.. فاعتبرتـه الحيـاة، ماتـت فيـه صبابـة، وعاشـت لـه ولهـة، وذابـت فيـه عشـقًا. كان ذلـك في فـترة الخطوبـة.. لكـن الأمـر تغـير مئـة وثمانـين درجـة بعـد الـزواج.



كان زواجهـا بالنسبة لها تحدي بينها وبـين نفسـها أولًا، وبـين والدتها ثانيًـا، بـين نفسـها لأنهـا أرادت أن تصنـع منـه شيء مـن لا شيء، وتجعلـه شـخصًا ناجحًـا. تحدتها أمهـا فقبلـت التحـدي، وتحمّلـت سـخرية كل أصدقاءهـا، وأقاربهـا، خصوصًـا أختهـا وعدوتها اللـدودة؛ وفـاء..

لم ينسَ مـروان إحـدى الليـالي الليـلاء التـي اعترفـت فيهـا لـه بـكل مـا سبق، فضحك حينها وأخذهـا في حضنـه. قالـت له وقتئـذٍ بصـوتٍ متهدج..

- لقد وافقت على الزواج بك يا مروان على أمل أن تتغيّر بعد ذلك، كل مـا أسـتطيع فعلـه هـو أن أمـلأ عينيـك، وأجعلـك تسـتغنى بي عـن كل نسـاء الأرض.. سـكتت للحظـات وهـي تبتسـم ابتسـامة منكسـرة، ابتعـدت عـن حضنـه واسـتطردت بعدهـا معترفـة: لكنني، للأسـف فشـلت في ذلـك فشـلًا ذريعًـا، ووالـدتي كانـت على حق حين حذرتني منك مرارًا وتكرارًا..

سـألها بينـما يمـرّ أمـام ناظريـه كل مـا فعلـه في آخـر شـهرين أو ثلاثـة أشـهر..!

- لماذا تقولين هذا الكلام يا ريهام.. لماذا؟!

- ممـم أتريـد أن تعـرف حقًـا؟!! حسـنًا، سـأقول لـك واحـد بالمائـة مما تفعلـه معـي، قـل لي أيـن ذهبـت اليـوم؟

أجابها مُتلعثِمًا: كـ.. كـكـ.. كنت في مكتبـة مصـر العامـة، ألم أخبرك وأنا عنـد البـاب؟

شـخصت عينيهـا عليـه متأملـة بعـين فراسـتها ملامـح وجهـه وعينيـه الممتلئتـين بالكـذب:

- إخبـارك لي أنـك سـتذهب إلى مـكان مـا - عـلى غـير عادتـك - هـو أكـبر دليـل عـلى أنـك سـتفعل شـيئًا غـير اعتيـادي، شـككت في الأمـر حينهـا، ونظـرت عـبر النافـذة ولم أرك تخـرج مـن العـمارة، عـدت بسرعـة ووقفـت



أمام شقة داليا، أعز صديقة لي، وأنت تعرف ذلك جيدًا، ورغم ذلك فقد خُنتني معها.. لقد سمعت صوت ضحكك داخل منزلها!

- ولماذا لم تبدِ أعز صديقة لكِ أي اعتراض حين طلبت منها ذلك؟.. لماذا لم تقاومني حين كنتِ في المطبخ وحاولتُ استراق قبلة منها؟!! ألم تراهنيني يومًا ما أنني لن أستطيع إغواءها.. حسنًا، لقد ربحت الرهان؟!! قالها ببساطة وهو شارعًا يديه

- وخسرتني.. حين راهنتك على ذلك كنت أمزح معك، وأنت تعلم ذلك جيدًا..! قالتها وهي تبكي بحرقة.

- وهذا المزاح قد استحال حقيقة.. والسحر انقلب على الساحر. ولا تبكي هكذا فأنتِ لستِ ملاكًا، وإن كان هناك سببٌ لعلاقتي مع داليا، فأكبر سبب هو أنتِ..وكلامك عني معها، ألم تحكِ لها تفاصيل حياتنا؟..

***

«مروان.. مروان.. أين ذهبت بتفكيرك عنّي؟!!»

صاحت وفاء فيه بينما كان واقفًا أمام باب الشقة ساهمًا، مُمسِكًا بمفاتيح الشقة، فانتبه لها مروان: ماذا؟ لم أذهب بتفكيري إلى أي مكان يا حبيبتي.

- افتح الباب إذن، لماذا تقف هكذا..! سألته رافعة حاجبيها

فتح الباب، فدخلت وفاء غرفة النوم مباشرةً كما لو كانت شقتها، مددت جسدها على السرير قبل أن يستأذنها مروان أن يدخل الحمَّام إلى أن تخلع ملابسها.. داخل الحمَّام نظر لنفسه في المرآة وأخذ يحك ذقنه مُتذكِرًا ما فعلته ريهام حين علمت أنه خانها مع جارتها وأعز صديقاتها، دخلت حينها هذا الحمَّام وانتابتها نوبة بكاء لمدة ساعتين متواصلتين رقدت بعدها على السرير لمدة أسبوع متواصل.





فماذا ستفعل إذا علمت أنه يخونها مع أختها إذًا؟!! والتي يعرف جيدًا أنها تكره ريهام، وإن كانت تستطيع أن تمحوها من الدنيا لفعلت ذلك منذ زمنٍ بعيدٍ دون تردد.. وفاء التي طالما أذت مشاعرها، منذ أن كانتا صغيرتين وهي معتادة على أخذ ألعابها منها وتكسيرها، وما إن تختلي بها في غرفة حتى تضربها وتخرج باكية لأمها متظاهرة أن ريهام ألقت اللعبة في وجهها. فلم تستطع ريهام المذهولة التفوه بأي كلمة، وتكتفي فقط بالبكاء. كل هذه الوقائع التي حدثت بينهما في الصغر يمكن ترجمتها على أنها شيء معتاد الحدوث بين معظم الأخوة، ولكن هذه الكراهية تطوّرت وتوحشت بداخل وفاء تجاه أختها، وحدث بينهما مواقف كثيرة تنم عن هذه الكراهية، واللعبة التي كسرتها وفاء في الصغر، أصبحت أشياء أكثر وأكبر بعد ذلك..!

خلعت وفاء ملابسها وفتحت الدولاب لتلتقط قميص نوم أختها، لترتديه ببساطة وبكل تبجح قبل أن يدخل عليها مروان. أقبلت عليه وحضنته في غنج قبل أن تجذبه إلى السرير. فاعتلاها وهمَّ ليقبّلها، في الوقت الذي لمح فيه مروان الرجل ذا الجلباب الأبيض، واقفًا وراء الستارة يختلس النظر إليه، لوّح له بيده وكانت تعلو وجهه ابتسامة بلهاء، وقف مروان على ركبتيه سارحًا، مُشخصًا النظر إليه، فانقشعت الابتسامة من على وجهه ونظر له بنفس نظرة مروان الذي هز رأسه منفعلًا وطرف بعينيه سريعًا ليطرده من أمام ناظريه، فاختفى..!

- أنت أقلعت عن الدواء يا مروان، أليس كذلك؟!.. سألته غاضبة بعد أن ارتخى عضوه وانصرف بانتباهه عنها تمامًا، فأعترف لها أنه بالفعل أقلع نسبيًا عن الدواء بناء على طلب دكتور نشأت صديقه، والطبيب

النفسي الذي يتابع حالته. نهض عنها فعقدت ساقيها والتقطت سيجارة من علبته وأخذت تنفس دخانها بعصبية:

- ليس من الحكمة أن تقلع عن الدواء الآن، أنا كاتبة، وأعرف أن هذه الحالة ستنتابك كثيرًا وخصوصًا هذه الأيام لأنك تشرع في كتابة رواية جديدة دون هدنة أو استراحة من روايتك السابقة.. وأنت تعرف جيدًا طبيعة مرضك.

أخذ السيجارة من بين أصابعها وجلس على حافة السرير مُطأطئ الرأس

- مرضي.؟!! ألهذا الحد أصبحت مريضًا نفسيًّا؟! ينقصني أن تخبريني أنه يجب إيداعي في مستشفى الأمراض العقلية؟!!

نهضت وجلست على فخذيه واضعة يديها على كتفه، ووجهها أمام وجهه مباشرة..

- يا حبيبي، لم أقصد ذلك بالضبط. ولكنني أدرك جيدًا أن هذه الأعراض تصيب معظم الكُتَّاب أصحاب الخيال الواسع جدًّا.. ويجب عليك ألا تقلع عن الدواء الآن كي لا تحدث لك انتكاسة كالتي تعاني منها الآن.. هل تعلم كيف كانت نهاية إرنست هيمنجواي؟!

نظر لها مليًا وأخبرها أنه سيذهب قريبًا لدكتور نشأت وسيبحث معه عن حل، فأومأت برأسها قبل أن تدفعه فنام على ظهره وأكملا ما كان سيشرعان فيه منذ قليل، لم يكادا يصلان إلى أوج شبقهما، حتى تفاجأ بضوء الغرفة، وريهام واقفة بجوار الباب ويدها على مفتاح الإضاءة..!



«تفريغ إحدى شرائط تسجيل جلسات مروان مع دكتور نشأت»

ياليتني متُّ قبل هذا اليوم وكنت نسيًا منسيًا

صباح يوم الأحد ٢٢ يونيو ١٩٨٦ ـ الساعة العاشرة تقريبًا..

لم أنسَ هذا اليوم أبدًا ما حييت يا نشأت، فحياتي بعده تغيرت، وتبدلت، وانقلبت رأسًا على عقب..!

استيقظت من نومي، فوجدت نفسي في غرفتي بجانب أختي التي تصغرني بعامٍ واحد، رغم أنني غفوت في حضن والدتي بالأمس في غرفتها، فأدركت أنها نقلتني إلى سريري بعدما سافرت في سباتٍ عميق.. كنت أبلغ من العمر ست سنوات. ناديت على أمي فلم تجب، هممت لأفتح باب الغرفة فلم يفتح معي، أدركت حينها أنها أغلقت علينا الباب من الخارج بالمفتاح. بكيت، بكيت كثيرًا وأنا أطرق الباب ولكن بلا جدوى.. تذكرت أن أبي - الذي يسافر خمسة أيام في الأسبوع ويعود لنا كل خميس وجمعة - كان يخفي نسخة أخرى من المفتاح خلف الراديو. أحضرت كرسي ووقفت عليه لأحضر المفتاح وفتحت الباب.

خرجت من الغرفة وأنا أفرك عيني من أثر الدموع التي ذرفتها منذ قليل، سمعت حينها تأوهات صادرة من غرفة النوم، ظننت أن أبي عاد من السفر، وأخذ يضرب أمي، اقتربت من غرفة النوم واختلست النظر عبر ثقب المفتاح، اتسعت عيناي من هول ما رأيت، وجدتها مع رجلٍ آخر يضاجعها، فتحت الباب قليلًا لأتأكد مما أرى.. شعرت بغصة في معدتي حينئذٍ. لا، بل شعرت بألم، شفرات حادة تقطعني من الداخل وتمزق أحشائي، مرارة على لساني جعلتني أفقد النطق بعدها لفترة كبيرة.. شرعت أزدرد ريقي لكنني لم أستطع.. انخلع قلبي من مكانه

حين سمعت صوت مفاتيح في الخارج، وسعال أبي وهو يولج المفاتيح، شُلَّت أوصالي لجزء من الثانية قبل أن أستطع بالكاد أن أحرك نفسي وأنطلق نحو غرفتي مرة أخرى، وأنام كما كنت، أو أتظاهر بالنوم.

لم أسمع سوى شهقة أمي بعدها، وصوت قدمين تركضان نحو المطبخ، وصوت ارتطام جسد شخص يرتدي جلباب أبيض واختبأ وراء باب الحمَّام المقابل لغرفتي، كي يتفادى بطش أبي الذي التقط سكينًا وهرع نحو غرفة النوم، في نفس الوقت الذي خرج فيه الرجل، كنت واقفًا مرعوبًا، تلاقت عيني بعينيه لجزء من الثانية قبل أن يفر هاربًا، سمعت بعدها آخر صرخة خرجت من حنجرة أمي قبل أن ينفصل رأسها عن جسدها..

ويركض أبي بسكينه الحاد الذي يقطر منه دم أمي، ليلحق بالرجل الذي هرب واختفى. لم يدر أبي حينها بنفسه، إلا حين وقف وسط الشارع وكل السكان والجيران رأوه..!

***

لم تنبس ريهام بكلمة، أطرقت خاشعة في صمتٍ واستكانة وقد بدا عليها الانكسار، فنهض مروان كالمجنون في نفس الوقت الذي سترت فيه وفاء جسدها بالوسادة، همَّ ليتكلم، لا يدري بماذا، لكنها أشارت له بيدٍ مُتصلِّبة ألا يتفوه بكلمة، مسحتْ دموعها وهي تلتقط حقيبتها بجوار التسريحة قبل أن تغلق عليهما الباب مرة أخرى بهدوء، كي لا تراهما على هذا الوضع أمها التي صعدت وراءها على مهلٍ، دخلت الشقة وجلست على الكرسي وهي تسألها بصوتها الجهوري وبالكاد تلتقط أنفاسها:

- ألم يكن أولى بنا أن نتصل بزوجك المحروس كي يحضر لنا حقيبة



ملابس المولود بدلًا من أن نأتي إلى هنا كل هذا المشوار يا ريهام؟؟!

أجابتها بنبرة عادية جدًا كأن شيء لم يكن، نبرة تنم عن قوة وجّلَد، نبرة جادة تأملها مروان وحسدها عليها حينها، جعلته يخجل من نفسه ويمقتها:

- مروان لا يعرف أين أخبئ ما أحتاجه يا أمي.. بالإضافة إلى أنني كنت أريد أن أطمئن على عدة أشياء في الشقة قبل الولادة، لأنني سأقضي الفترة القادمة في منزلك.

سألتها عنه بنبرة تهكمية: وأين هو الشملول الآن، من المؤكد أنه يتسكع في وسط البلد أو مع إحدى العاهرات؟ تسللت الجملة إلى مسامع وفاء التي ترتدي ملابسها فبصقت متأففة من سماع صوت أمها..

- إنه في الغرفة نائم يا أمي.. خذي الحقيبة وانزلي، وسألحق بك بعد دقيقتين. قالت لها ريهام.

رحلت والدتها فخرج مروان من الغرفة بعد أن ارتدى ملابسه ليجدها جالسة على كرسي السفرة تبكي بحرقة وتنتحب، وضع يده على كتفها محاولًا عبثًا أن يهدئ من روعها وارتجاف بدنها، لكنها أبعدت يده عن كتفها باشمئزاز، فوقف أمامها مطأطئ الرأس كتلميذ خائب لا يدري ماذا يقول.. ورأى أن أي حرف سيخرج من فمه لن يكون إلا حمقًا وتبجحًا.. انتهت وفاء من ارتداء ملابسها هي الأخرى وخرجت من الغرفة، وقفت بجواره عاقدة يديها أمامها في كِبرٍ وصلف، ظلت تنظر إلى أختها بعينين متبجحتين، وقالت لها بحماقة وخِسّة:

- إن كنتِ تملكين ذرة كرامة اطلبي منه الطلاق، أم أصدمك وأخبرك أنه لا يحبك من الأساس؟ وأنه يشعر بالإحراج من أن يخبرك ذلك أيتها الفاجرة.

رفعت ريهام رأسها ناظرة لها بعينين حمراوين تقطر منهما دموع سخينة، شعرت حينها بالإعياء، وأنها سقطت في بئر عميق لا قاع له، من الذل والامتهان. أردفت وفاء بلا رحمة: إن كنت تملكين ذرّة كرامة تنازلي عن مؤخر الصداق الضخم الذي يعوق طلاقه لكِ.

لم تستطع ريهام أن تتفوه سوى بكلمتين «انتي قذرة»، قبل أن تنظر لمروان نظرة خالية من كل شيء، وفي نفس الوقت تحمل كل شيء.. تحمل أشياءً كثيرة..

ورحلت..

شعر مروان حينها بضآلة حجمه، فهو الذي أخبر وفاء - كذبًا - كل ما قالته لريهام بخصوص مؤخر الصداق، ويقول هذا الكلام لكل امرأة يقيم معها علاقة؛ أن مؤخر صداق عقد زواجه نصف مليون جنيه، فتكون حجة كي لا تطلب منه إحداهن أن يطلقها.. أو يتزوج عليها. ليس حبًا في ريهام، بل لأنه لا يستطيع أن يتزوج امرأة أقامت معه علاقة غير شرعية، حتى وإن كانت تحت ستار حبها له، واستعدادها لتضحي بأي شيء من أجله..!

***

في نفس الوقت- إحدى فيلات الشيخ زايد

على الرغم من أن درجة الحرارة بالخارج ٤٣ درجة مئوية، إلا أنك هنا بداخل هذه الفيلا الأشبه بقصر منيف، حتمًا ستشعر بالبرودة، وستشعر أيضًا بالراحة، في هذه الفيللا الفسيحة الممتلئة بالأثاث الراقي المودرن، والنوافذ الزجاجية المطلة على حديقة وارفة الأشجار، والجدران المعلّق عليها ساعة حائط من إيطاليا، لوحة فنية بمئة ألف جنيه من فرنسا، وصورة لرجل خمسيني، وبها شريطة سوداء في أقصى اليسار.





على الأرضية الجرانيت اللامعة، يحبو طفل ذو عام وشهرين، نحو أمه ممشوقة القوام المرتدية قميص نوم قصير وعاري الصدر، جالسة أمام جهاز كمبيوتر محاولة بشتى الطرق إيجاد طريقة للتواصل مع مروان جبر الذي قرأت رواياته مؤخرًا، منذ ذلك الحين وهي تشعر في كل رواية أنها بطلتها، أو بالأحرى بطلته التي يقول لها كل هذا الكلام الرومانسي الذي تقرأه فتذوب صبابة ووهًا واشتياقًا. زاد إعجابها به بعدما رأته في أحد برامج التليفزيون المصري وحفظت عن ظهر قلب كل كلمة خرجت من فمه، ما عدا رابط صفحته على الفيسبوك أو عنوان بريده الإلكتروني الذي قالهما في نهاية الحلقة.. فجلست تبحث عن أي شيء تستطيع من خلاله التواصل معه والتعبير عن إعجابها بقلمه.. وبه. إلى أن وجدت في أحد المنتديات الثقافية قصة من مجموعته القصصية وبآخرها عنوان بريده الإلكتروني..

***

في نفس الوقت

١١٦٢ شارع الإسراء ـ ميدان لبنان ـ المهندسين

برج شاهق الارتفاع، في الدور قبل الأخير ثمة شقة مظلمة تمامًا إلا من غرفة واحدة تجلس فيها نهال بعدما عادت من ندوة وحفل توقيع الكاتب الوحيد الذي تقرأ رواياته، والكاتب الوحيد الذي تذهب إلى أي حفل توقيع له حتى لو كان في آخر بلاد المسلمين، بغضّ النظر عن اسم هذا البلد..!

ظلت ممسكة الرواية التي وقّعها لها من حافتها، كي تبقى رائحة يده عليها، والتي لم تكد تهاجم أنفها حتى تفجرت براكين الحب الكامنة بداخل صدرها. فأخذت تنظر للرواية تارة وهي تستعيد صورته وهو



يوقـع لهـا، وتشـمها تـارة أخـرى مغمضـة العينـين لتسـتحضر صورتـه في مخيلتهـا. ظلـت تنظـر إلى توقيعـه متأملـة الحـروف وطريقتـه في كتابتهـا، أخذت تقبّل كل كلمـة كتبهـا، حتـى وصلـت إلى رقـم هاتفـه الـذي حفظتـه عـن ظهـر قلـب. تـرددت حينهـا هـل تتصـل أم لا..!

* * *

مـا إن رحلـت ريهـام منكسـرة وأغلقـت البـاب وراءهـا، تبـددت القـوة التي كانـت عليهـا وفـاء أمامهـا، وحـلَّ محلهـا خـوفٌ شـديدٌ؛ خـوف لا يظهـر أمـام أي شـخص سـوى مـروان، سـألته مرتجفـة:

- مـاذا سـنفعل الآن أمـام هـذه المصيبـة؟ أخشـى أن تفضحنـا هـذه العاهـرة، ويتسـلل هـذا الخـبر للصحـف أو للقـراء، أو لأمهـا التـي لا تقـل عهـرًا عنهـا.

لم ينطـق مـروان بكلمـة، اكتفـى بالنظـر لهـا فقـط والجلـوس عـلى نفـس الكـرسي الـذي كانـت ريهـام جالسـة عليـه، أخـذ يفكـر في هـذا المـأزق الـذي لم يكـن مسـتعدًا لـه عـلى الإطـلاق. رغـم كثـرة التفكـير في احتماليـة حدوثـه، وعـن هـذه الطريقـة السـخيفة التـي عاملـت بهـا وفـاء أختهـا. فمهـما كان هـي زوجتـه. شـعر بضمـيره يوخـزه، ظـل يفكـر في عـدد المـرات التـي كشـفت فيهـا خيانتـه لهـا، وكـم مـرة جرحهـا في كرامتهـا..!

كانـت وفـاء تظـن أنـه يفكـر في إيجـاد طريقـة يسـيطر بهـا عـلى غضـب ريهـام الكامـن، وإقناعهـا ألا تـشي بأمرهـم لأي مخلـوق. سـألته مـرة أخـرى مـاذا سيفعل معهـا، لم يـرد مـروان أن يطمئنهـا بأنـه مـن رابـع المسـتحيلات أن تفعـل ريهـام ذلـك، وتركهـا بهـذا الهاجـس.

- هـل سـتظل صامتًـا هكـذا طـوال الليـل؟ يجـب أن تلحـق بهـا الآن وتقنعهـا ألا تتكلـم مـع أحـدٍ بشـأن مـا رأتـه، تخيـل معـي قـراءة خـبر كهـذا

في الصحف «زوجة الكاتب مروان جبر تخلعه لأنها رأته في غرفة النوم مع أختها، الكاتبة وفاء نعمان نخلة..» شهقت ووضعت يدها على فمها مستطردة: هل أنت متخيل المصيبة؟ يجب أن تقنعها يا مروان.

- أقنعها بماذا؟؟!! وكيف أقنعها ألا تفعل ذلك بعد كل ما قلتِه لها أيتها الحمقاء؟ وبأي وجه أتحدث إليها بعدما أخبرتِها بالحقيقة كاملة، وأنني أعيش معها رغمًا عني بسبب النصف مليون جنيه مؤخر صداقها؟

هزت كتفيها متلعثمة وقد بدا على وجهها الندم مما قالته: أعرف أنني أخطأت حين قلت لها ذلك، و و ولكن هذا ما حدث.. ماذا أفعل للساني الذي يستأهل الحرق.. أرجوك يا حبيبي حاول أن تكبح جماح غضبها

- عن أي غضبٍ تتحدثين..؟! ألم تري كيف بدت منكسرة أمامنا.؟! لا أنكر أنني لا أحبها، لكنني أشفق عليها مما رأته ومما قلتِه لها يا وفاء، ألم تلاحظي كيف كانت منكسرة حين رحلت؟.

- وهذا الذي يقلقني أكثر، رغم انكسارها الواضح لكن تسلل لأنفي رائحة انتقام كامن بداخلها.. ولا تشم رائحة انتقام كامن بصدر امرأة سوى امرأةٍ مثلها.

- اذهبي الآن يا حبيبتي وسنتحدث في هذا الأمر غدًا.

هزت رأسها بإيماءة ورحلت وهي تمني نفسها أن الموضوع سيمر مرور الكرام..

في قرارة نفسه، يعلم جيدًا أن ريهام بالفعل لن تخبر أحدًا بما حدث. ذات مرة رأته صديقتها في أحد الأماكن يجلس بجوار سيدة واضعًا يده على كتفها، اتصلت بها لتخبرها بما رأت، فكذَّبتها ريهام وأخبرتها كذبًا أنه نائم الآن في المنزل، وأن الذي رأته ليس مروان زوجها «يخلق من الشبه أربعين»..! ولكن وقتذاك كانت مجرد سيدة عابرة في حياته،

إنما هذه المرة فقد رأته -بعينيها- مع أختها. أكثر شخص يكرهها في هذه الدنيا..!

بعدما رحلت وفاء دخل مروان المطبخ ليعد كوب قهوة، بعد تفكير طويل قرر أن يذهب إليها غدًا ليصالحها ويعدها ألا يكرر ذلك أبدًا، وأيضًا ليطمئن على حالتها النفسية، خصوصًا أنها على وشك الولادة، وقليلٍ من الحزن ربما يهدم كل شيء ويجهضها.

رنَّ هاتفه برقم ليس مسجلًا لديه، نظر له بريبة، فهو يخشى مثل هذه الأرقام غير المسجلة، خصوصًا في مثل هذه المواقف التي لا يعلم أي خبر سيء من المحتمل أن يأتيه بعدها. أجاب: آلو..!

ردَّ عليه صوتٌ رقيق: أستاذ مروان.. مع حضرتك نهال.

- معذرة..نهال من..؟! سألها مُستغرِبًا

- نهال التي أعطيتها رقم هاتفك في حفل التوقيع، أنا التي أخبرتك أن لديَّ مجموعة قصصية وأريد أن أنشرها في...

قاطعها متذكرًا: نعم نعم تذكرتك.. كيف حالك؟... سألها محاولا استدعاء صورتها في مخيلته، لم يتذكر وجهها جيدًا، كل ما استطاع تذكره هو عبق عطرها، والأهم من ذلك حجم صدرها وهيئته حين اقتربت منه، رحب بها...

- في الحقيقة أنا لم أقل كل شيء اليوم في الندوة، فلديَّ كلامٌ كثيرٌ أريد أن أقوله لك..

- كلام عن ماذا تحديدًا؟ سألها رغم توقعه لما ستقوله

- عن إعجابي بك، وبشخصيتك.. وهيئتك، وأشياء من هذا القبيل.

سكت للحظات، بينما كان يبتسم لسماعه هذا الكلام، الذي بالرغم من أنه يقال له كثيرًا، لكنه يشعر كل مرة بنشوى كبرى، وإحساس عظيم

يغمره، ذلك الإحساس الذي يرضي غروره الجامح. استطردت:

- وأعتقد أني مهما صرَّحت لك عبر الهاتف عن إحساسي فلن أستطيع أن أشرح سوى الفتات..

كانت نبرتها تنم عن رغبة يعيها جيدًا. وضع الهاتف بين كتفه وأذنه، وبينما يصبُّ القهوة في الكوب الزجاجي قاطعها بطلبٍ يعرف تمامًا أنها لن ترفضه:

- أعتقد أنك ستشعرين براحةٍ أكبر إذا صرحتِ لي بكل ما لديكِ وجهًا لوجه، وأيضًا كي أرى كتاباتك التي حدثتِني عنها.. قالها وأكمل في مخيلته «وأرى أيضًا جسدك البض المشوق».. وكما توقع، وافقت على الفور، فأعطاها عنوان المنزل قائلًا كذبًا: هذا عنوان مكتبي، سأنتظرك غدًا في تمام الساعة الخامسة مساء.. وهو يضع الكوب على منضدة الحاسوب.

- سأكون عندك في الموعد المحدد، وأشكرك على هذه الفرصة الجميلة وتواضعك وسعة صدرك يا أستاذ مروان.

- أنا الذي يجب أن أشكرك على رقتك.. أراك غدًا على خير.. إلى اللقاء.

أغلق الهاتف وهو يلتقط بشفتيه سيجارة من العلبة، أشعلها وهو يشغل الحاسوب.. شرد في نهال محاولًا تذكُّر وجهها..!

رغم أن بداخله رغبة جامحة لرؤيتها غدًا، لكنه يدرك جيدًا أنه بمجرد أن يراها عارية ويضاجعها سيختفي بعدها انبهاره بها ويخبو، أو سيقل على الأقل. رغم شعوره ببعض من تأنيب الضمير، لأن المكالمة أنسته سريعًا الموقف الذي حدث بينه وبين زوجته، لكن فضوله لمضاجعة نهال، وتحرُّقه شوقًا لجسدها، كان أقوى من أي تأنيب..!

فضوله لخلع ملابسها، القطعة تلو الأخرى، ورؤية كل جزء في جسدها - لأول مرة - بالتدريج. كأنه يقشر ثمرة فاكهة لذيذة. بالنسبة له، هو أمتع من ممارسة الجنس نفسه..!

فتح بريده الإلكتروني المليء بإشعارات المنتديات البلهاء، إعلانات المواقع السخيفة، رسائل التجسس أو محاولات السطو على كلمة السر، وأخيرًا رسائل القراء، يحذف يوميًّا كل الرسائل ما عدا الواردة من قرائه. والتي من بينهم رسالة لفتت انتباهه لتنسيقها الرائع رغم رداءة اللغة المستخدمة وكم الأخطاء الإملائية والنحوية.

الراسل: zahrat al khalig

الأستاذ والكاتب الرائع : مروان جبر

«أرجو من الله أن تقرأ رسالتي فهي أمنيتي الوحيدة، وإن رددت عليّ فسأكون سعيدة جدًّا.. أنا قريت كل كتبك ورواياتك، وتأكد أنني لست مثل معجباتك المراهقات بل أنا أكثر امرأة معجبة بكل ما كتبته وبك شخصيًّا وأحسد كل شخص يتعامل معك وقريب منك، فأنت نور ينور حياة كل المحيطين بك.

وأتمنى أن أحضر أقرب ندوة لك..

عاشقة قلمك الأولى

زهرة الخليج

لفت انتباهه الصورة المستخدمة، ضغط عليها فوجدها صغيرة الحجم، بالكاد استطاع تكوين فكرة عامة عن ملامحها، فكر، هل يرد عليها أم لا؟! تردد لدقائق قبل أن يسمع هاتف بداخله يخبره أن ما المانع من الرد عليها؟ فضغط على زر «رد»

الأستاذة زهرة الخليج،

تحية طيبة وبعد،،

استقبلت رسالتك المحملة بعبير عطرك الفائح الفواح، وأسعدني كثيرًا رأيك عن كتاباتي، وإنه لشرف كبير أن ينال أي كاتب إعجاب امرأة جميلة رائعة مثلك.

تحياتي

مروان جبر

بعدما أرسل مروان الرسالة، أطفأ الحاسوب وآوى إلى فراشه مؤرقًا مهلهلًا لا يستطيع النوم، ظل يفكر فيما سيفعله غدًا مع نهال، شعر حينها أن ثمة شيئًا عالقًا في عقله أو ذاكرته..! حاول أن يتذكر ما هو هذا الشيء لكنه لم يستطع، ربما تكون مشكلة ما وتحتاج إلى أن يتعامل معها..! وقف في وسط الصالة مطرقًا رأسه محاولًا التفكير بذهنٍ مشوش، نظر إلى المكتبة مرددًا في شرود: ما هي المشكلة التي لديَّ وتحتاج لحل فوري؟؟. تكملة الرواية؟! لالالا شراء بعض المستلزمات.؟؟ لالا..

فتح الثلاجة وظل ينظر إلى لا شيء ثم مدَّد جسده على السرير مرة أخرى وأخذ يفكر إلى أن شعر بغصة في بطنه حين تذكر أن هذه المشكلة هي «ريهام» التي رأته في غرفة النوم مع أختها..!

- يالسعادتي..» قالها ساخرًا.. زوجتي رأتني مع أختها وأنا نائم معها.. طيب..!!

نهض متذمرًا، فكر في الأمر؛ كيف سيصالحها ويجعلها تنسى ما رأته.. وقف مرة أخرى أمام مكتبته ينظر إلى الكتب بشرودٍ حتى اهتدى بتفكيره إلى أن يذهب لها غدًا ويطلب منها الصفح والسماح..! لم تمرّ دقيقتان حتى مدَّد جسده مرة أخرى على السرير يفكر في وفاء، وكل العلاقات التي أقامها في السنين السابقة..



شعر بعدها في قرارة نفسه أن ثمة شيئًا عالقًا في حياته، ثمة مشكلة تحتاج لحل.. غمغم في سره: تكملة الرواية؟! لالالا أعتقد أن عليَّ شراء بعض المستلزمات من السوق؟؟ لالا.. من المؤكد أنه يوجد شيءٌ آخر أو مشكلة كبيرة تحتاج إلى تدخلي.. ما هي؟! ما هي؟!

أخذ يحك ذقنه وهو يحاول البحث عنها لكنه أثناء ذلك أغمض عينيه وغاب في سباتٍ عميق..!

***

تسجيل آخر لمروان مع د. نشأت

كان الحادث جلل يا نشأت؛ صدمة قوية بالنسبة لطفلٍ في سني، ليس بالنسبة لي فقط، ولكن أيضًا بالنسبة لأختي، والتي أحسدها على عدم سماع ما حدث، ورؤية والدتي مقتولة، عارية، مفصولة الرأس. ارتخت كل مفاصلي حين تسللت من غرفتي لأرى هذا المشهد العالق في ذاكرتي إلى الآن، وسيظل عالقًا هكذا إلى اليوم الذي فيه، سيضعوني في مثواي الأخير..!

أخرج سيجارة من علبته ووضعها بين شفتيه، بحث عن الولاعة في جيوبه فلم يجدها، نظر إلى المكتب فلم يجدها، نهض لينظر مكانه ظنًا منه أنه جالسًا عليها دون أن يدري فلم يجدها أيضًا، كل هذا يراقبه صديقه نشأت الذي يرى الولاعة في يده دون أن يشعر، أشار له بإيماءة من رأسه أنها في يده، فجلس وهو يشعر بالخجل الممزوج بالارتباك قبل أن يردف:

انهرت تمامًا، انهرت تمامًا وغبت عن الوعي حينها ولم أستفق إلا وأنا عند عمي في غرفةٍ متهالكة في حيٍّ شعبيّ، وبجواري أختي تبكي فربت على كتفها ليهدأ بكاؤها.. سألتُ زوجة عمي عن أبي، فأخبرتني



ببساطة، كما لو تخبر رجلا بالغًا، أنه تم القبض عليه وتم إيداعه في السجن. فيما بعد عرفت أنه حُكِم عليه بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم بعدها بشهرٍ ونصف..!

بعد ستة أشهر، شعرت بتذمر عمي وزوجته، لم أكن ألومهم، فقد كان حالهم عسيرًا، وقوت يومهم بالكاد يكفيهم. وكثيرًا كان يمر يومان دون أن تنزل في معدتي لقمة، وأختي أيضًا.. إلى أن جاء اليوم الذي رأيتها فيه تُباع أمام ناظري دون أن أستطيع تحريك ساكنًا. نعم، باعها عمي لأحد الأسر التي لم يرزقها الله بأطفال، لم أنسَ ذلك اليوم الذي جاءوا فيه ليختاروا بيني وبينها، ارتميت حينها عند قدمي السيدة ألثمها كي لا تأخذ أختي، أو على أقل تقدير تأخذني معها. ركلت وجهي قبل أن تعطي لعمي رزمة من المال، وترحل وسط بكائي وانتشاء عمي وفرحة زوجته، وبكاء أختي.. التي لم أرَها منذ ذلك الحين..!

انتقلت بسرعة، من الطفل المدلل الذي وُلِدَ وفي فمه ملعقة ذهب، إلى ذلك الطفل ذي الملابس المهترئة القذرة، ممددًا جسدي أسفل سيارة لاستبدال الزيت. لذلك الطفل الذي يتسكع في الشوارع بأكياس بلاستيكية يبيعها للمحلات، لذلك الصبي الذي يعمل لدى منجد، يقضي طوال الليل في غرفة صغيرة بجوار مكعبات قش «الكارينا»، أفككهم ليستخدمه المنجد لتنجيد كراسي السفرة وما شابه.. مقابل خمسة جنيهات في الأسبوع..! في هذه الأيام رأيت رجلًا يبدو عليه الأبهة والثراء، هيئته لم تكن غريبة عليَّ.. غير أن الغريب هو الجملة التي قالها لي حينها، جملة لم أفهم منها سوى الفتات بعد عقود:

«ستصبح كاتبًا حينما تكبر».. لا أعلم لماذا قال لي ذلك. حاولت أن أستفسر منه لكنني وجدته اختفى فجأة مثلما تجسد أمامي، أيضًا فجأة..



شببت عن الطوق وصارت قدماي قويتين لأن تحملاني وتتحمّلاني لأعمل بين هذا الميكانيكي وذاك النقاش، إلى أن رآني أحد معارف عمي؛ «عم بشندي» سائس سيارات في موقف بمنطقة بولاق الدكرور، يعيش مع زوجته العاقر أسفل كوبري ٦ أكتوبر. اتفق معه أن يأخذني لأعيش معهم. كنت أعمل معه طوال النهار في غسيل السيارات، وفي الليل أستذكر دروسي بعدما قدَّم لي بإحدى المدارس. عشت هكذا لسنوات، حتى اشتد عودي وتعوّدت عليهم. أنهيت المرحلة الثانوية، والتحقت بكلية الآداب جامعة عين شمس، تعرفت على فتياتٍ كثيرات، ليس في كلية الآداب فقط، ولكن في جميع الكليات والجامعات، لا توجد جامعة أو كلية أو حتى قسم ليس فيه فتاة على علاقة بي.

كل فتاة كان لها قصة عني كنت أحكيها لها، قصة مختلفة عن باقي القصص التي أحكيها للأخريات. منهن من تعرف أنني ابن صاحب شركة كبيرة، ومن تعرف أنني مدير مصنع عمي، ومنهن من حكيت لها أن والديَّ توفيا وتركا لي ثروة، ومن أخبرتها صدقًا أنني أعيش تحت كوبري ٦ أكتوبر.

كل فتاة كان لها باب مختلف عن الأخرى، وكل قصة أختلقها تتوقف على ما يمكن أن أحصل عليه من هذه الفتاة التي أحكي لها قصتي. فالثرية كنت أخبرها أنني ثري جدًا فلن تمانع أن تقرضني مبلغًا من المال علاوة على تذوق جسدها. والفقيرة كنت أخبرها أنني فقير مثلها فأستطيع أن أخذ منها ولو مبلغًا صغيرًا تأخذه من أهلها فتعطيه لي، وأيضًا أتذوق جسدها. في الحالتين سأحصل على ما أريد. بطريقة أو بأخرى. ومن لم أجد منها رجاءً كنت أقطع علاقتي بها فورًا تجنبًا لإهدار وقتي..

كل ما رأيته في حياتي، وكل حدث مرَّ بي، كان لبنة في جدار عمري. نتج عنه خبرات غزيرة، أخرجتها على ورق، وجدت في الكتابة والحكي والسرد مهربًا مما أنا فيه، كتبت وكتبت. كنت أخفي كل ما أكتبه في صندوق الكهرباء الذي يمد كشافات الكوبري، كان هذ الصندوق على مقربة من الغرفة الخشبية التي نسكن فيها. تذكرت ما قاله لي الرجل الذي قابلني حينما كنت صبيًا..

«ستصبح كاتبًا حينما تكبر»..!

في السنة الثانية في الكلية، انتهيت من كتابة أول رواية كاملة أسرد فيها جزءًا كبيرًا من قصة حياتي، نفس السنة التي حدث فيها زلزال قويّ، نتج عنه انهيار مبنى قديم في بولاق، فوق رأس عم بشندي وزوجته. في نفس اليوم مات عمي وأسرته أيضًا بعدما انهار عليهم منزلهم القديم.. بعد الحزن الذي احتل قلبي حينها، دخلت مرحلة جديدة في حياتي، مرحلة الشباب بقلبِ عجوز، وبضع شعيرات بيض يزينون فود رأسي..!

بعد أحداث الزلزال، قامت الحكومة بإزالة معظم العشوائيات في القاهرة، في ذلك اليوم عدت من الجامعة فوجدت البلدية عند الكوخ الذي أقطنه، وقد أخرجوا كل ما بداخله أمام الكوخ وأحرقوه، من ضمن الأشياء التي احترقت، روايتي الأولى، والتي نقلتها للكوخ بعد وفاة عم بشندي وزوجته.. احترق قلبي وروحي مع رؤيتي لروايتي والنار تأكلها بنهم، فأصبحتْ رمادًا، وأصبحتُ أنا بلا مأوى، وبلا عمل، فعملت في محل عطارة، أعمل فيه بالنهار، وأنام بداخل المحل في الليل..!

حتى جاءت إجازة آخر السنة بين العام الثالث والرابع في الدراسة. تعرفت على فتاة قارئة نهمة، مثقفة. كانت الوحيدة التي ستفهمني إذا



أخبرتها أنني أكتب، وعرضت عليها عدة قصص كنت قد كتبتها في وقت فراغي في محل العطارة، قرأتها ونصحتني ببعض التعديلات، ورشحت لي قراءة عدة روايات كي تنمي قدرتي على الكتابة، ولأنها كانت تعرف حالتي المادية فكانت تعطيني من مكتبتها كل أسبوع كتابًا أقرأه وأعيده لها مرة أخرى. نما بداخلي حبي للكتب والأدب.. بدأت في تكملة مجموعة قصصية، وضعت فيها إبداعي بالإضافة إلى خبرتي الحياتية، وخلاصة خلاصة قراءاتي لمدة عام. ساعدتني تلك الفتاة أكثر بأن أعمل في إحدى مكتبات وسط البلد.. فدخلت الوسط الثقافي والأدبي من أبوابه المشروعة، حضرت ندوات أدبية كثيرة، وحفلات توقيع أكثر. تعرفت على كل الأدباء والكُتَّاب والشعراء الذين يترددون على مقاهي وسط البلد وأماكنها الثقافية. من بينهم كانت هناك كاتبة، كنت أحلم حينها ولو أمر بجانبها فقط.. قرأت لها كل أعمالها وذبت بين حروفها وسطورها.. إلى أن رأيتها في ندوة كانت تقيمها المكتبة التي أعمل بها، وكلفني مدير المكتبة أن أجهز القاعة وأنظفها، دخلت هذه الكاتبة عليَّ وأنا أضع مفرش ستان وميكروفون على المنضدة. جاءت قبل موعد الندوة بساعة كي تطمئن بنفسها على التجهيزات، لم أصدق نفسي حينها أنها ماثلة أمامي. ولم أجرؤ على التحدث معها. بمجرد أن دخلت القاعة خرجت مطأطئ الرأس. بعد أن وضعت زجاجات المياة والأكواب الزجاجية فوق المنضدة. وبجوارهم لافتة نحاسية مستطيلة مكتوب عليها بخطٍ بارز..

وفاء نعمان نخلة..!

* * *

استيقظ من نومه في اليوم التالي ليجد نفسه على نفس الكرسي الذي كان يفكر فيه بالأمس، ونام دون أن يدري. رمق الساعة المعلّقة على الحائط فوجدها الثالثة عصرًا، دلف المطبخ ليُعِد كوبًا من القهوة قبل أن يجلس في غرفته ليقرأ ساعتين قبل مجيء نهال..! وانتوى أن يؤجل ذهابه لزوجته إلى الغد..!

حين دقت الساعة الخامسة تمامًا، رن هاتفه وكانت نهال، تخبره أنها عند ناصية الشارع وستصل خلال دقيقة. دخل غرفة مكتبه المنفصلة عن باقي الشقة لأن لها بابًا خاصًا يطل على السلم، رتب ما استطاع ترتيبه من الفوضى العارمة في الغرفة.

أطرقت نهال الباب، فتح لها، ليرى امرأة مختلفة تمامًا عن الجميلة الرائعة التي كانتها بالأمس، فهي الآن أجمل بكثير وأروع. شهق في داخله من هول جمالها، وبهاء وجهها الصبوح، وروعة جسدها الممشوق. أفسح لها الطريق فدخلت وجالت بنظرها في أنحاء الغرفة، تنظر بعينين منبهرتين.. فصاحت:

- لا أستطيع تصديق أنني.. الآن.. الآن.. في غرفة مكتب أروع أديب في مصر.. قالت مُندهشة وهي لا تزال تجول بنظرها، فابتسم مروان بخجلٍ مصطنع.. سألها ماذا تشرب فأجابته بنفس النبرة: ماذا أشرب؟!! أستاااااذ مروان.. أفضل أديب في...

قاطعها مازحًا ناظرًا لأعلى: نعم.. أفضل أديب في مصر يسألك ماذا يقدِّم لكِ..

نظر لها ماسحًا جسدها بأكمله: إن كنتِ تريدين قضاء وقت ممتع معي، فيجب عليك التخلص أولًا من أي كُلفة بيننا، والآن.. اسمي مروان فقط.. بدون أستاذ أو أي لقب.. فأنا خلعت عباءة الكاتب،



وأجلس معك هكذا الآن.. مروان فقط.. فهل من الممكن يا عزيزتي أن تخلعي هذا المعطف الذي يغطي كنوزك ويداريها. كي نستطيع التحدث بأريحية؟

ضحكت وهمَّت لتفك أزرار المعطف فأمسك يديها: دعي عنكِ هذا.. واجعليني أنال شرف تقشيرك يا ثمرتي اللذيذة.. انبسطت أساريرها وابتسمت ابتسامة تتيح له التصرف فيها ومعها وبها كيفما يشاء.. فخلع معطفها وبلوزتها الخارجية قبل أن يجلس وتجلس بجانبه.

- هل تريد رؤية ما كتبته الآن؟ أم ماذا؟ سألته

- لا أفهم.. رؤية ماذا؟!

- هل نسيت؟ ألم تعدني أن تقرأ ما كتبت؟ ولذلك أنا أتيت لك اليوم.. صرَّحت بوجه عبوس لا يخلو من غنج.

كان ناسيًا تمامًا ذلك الأمر، وكي لا يبدو أمامها شهوانيًّا أكثر، تظاهر أنه كان يمزح معها، وأومأ لها بأن تريه كتاباتها، أخرجتهم من حقيبة يدها وأعطته إياهم وهي تجلس على فخذه واضعة يدها على كتفه في دلالٍ، فشعر حينها بملمس تجانس مؤخرتها، قرأ ما كتبت فلم يجد إلا كلامًا غثًّا، رثًّا. وأن طفلًا خائبًا في مراحل التعليم الأولى يمكنه كتابة موضوع إنشاء أفضل من هذا الهراء الذي قرأه لها، نحى ضميره الأدبي جانبًا وأكمل القراءة متظاهرًا أنه يقرأ لأكبر أدباء القرن العشرين، قال لها بعد صفحتين إنها موهوبة.. وقلمها رائع، وحروفها ساحرة.. لمح الفرحة في زوايا عينيها وقبَّلته في خده، فأشاح وجهه لتصبح القُبلة في شفتيه، لم تكن قُبلة واحدة.. فقد قبلها كثيرًا ونهض وهو يحملها وألقاها على السرير، خلع باقي ملابسها بتلذُّذ حين رن الهاتف اللعين، رمقه فوجد أن المتصل حماته..

- يا ساتر يارب..! قالها في سره قبل أن يجيب بنبرة حادة:

- نعم، خير..؟

- ماذا تفعل عندك أيها البائس التعيس؟

- هذا ليس من شأنك أيتها الحمقاء.. ماذا تريدين.

- ريهام زوجتك.. أقصد ريهام ابنتي... قاطعها: ماذا بها أسرعي..؟

فأردفت: أتاها طلق الولادة، وطلبنا سيارة الإسعاف وسيتم نقلها في غضون ربع ساعة إلى مستشفى الأمل تأهبًا للولادة..

- حسنًا.. سألحق بكما..

ألقى الهاتف منفعلًا بعد أن أغلقه، سألته نهال ماذا حدث؟ فأجابها كذبًا أن ثمة مشكلة في قصر ثقافة مصر الجديدة، ثم أضاف: لا تكترثي لهم فهم مجانين.. دعينا نكمل ما كنا نفعله.

ضاجعها مُسرِعًا في عجالة، بينما كانت جاثية تحته، مستسلمة تمامًا. كان عقله وجسده وكل حواسه مشغولين بريهام وولادتها، التي جاءت بعد سنوات من علاجه، كان عنده هاجس أنها ستلد جنينًا مشوهًا، أو به عيوب خلقية، أو على أسوأ تقدير سيموت هذا الجنين أثناء الولادة.. بعدما انتهى من نهال لمح في ملامح وجهها أنها لم تشعر بإرضاء جنسي كامل، اعتذر لها متمتمًا إن كان قد خذلها اليوم. مؤكدًا أنه سيعوضها في المرة القادمة..

- مروان، أنا لم أفعل معك ذلك لأنني أحتاجه منك بشكلٍ أساسي. أنا أحبك أنت، وأريدك أنت. لنفسك لا لأي شيء آخر، وأعرف بالمناسبة أن كتاباتي ليست جيدة، ولكنني في الحقيقة استخدمتها كذريعة للتقرب منك.



قالتها وقد اكتسى وجهها بحمرة خجل اندهش منها مروان الذي علّق نظره إليها في سكون طرف، فهزت له رأسها مبتسمة، مؤكدة على كل ما قالته، فقال لها:

- أنت بالفعل استطعتِ لفت انتباهي يا نهال، منذ الوهلة الأولى التي رأيتك فيها أمس في حفل التوقيع. ولا أخفي عليك أنني أشعر بأشياء جميلة تجاهك.

أقبلت عليه وحضنته بقوة، طلب منها بعد ذلك ارتداء ملابسها في عجالة كي ترحل. في نفس الوقت الذي ارتدى فيه ملابسه.. أيضًا في عجالة. أشار لها أن ترحل قبله كي لا يلاحظ أحد من الجيران أنها كانت معه، ففعلت. أطفأ بعد ذلك أنوار الشقة، همَّ ليطفئ الحاسوب فلفت انتباهه رسالة واردة في بريده الإلكتروني من زهرة الخليج..!

- وأنتِ الأخرى ماذا تريدين؟!! قالها في قرارة نفسه قبل أن يقرأ الرسالة

أستاذي العزيز مروان

أنا اسفة مش بعرف اكتب بلغة عربيه فسحة زيك. لكن عاوزه اقولك انى اسعد واحدة فالدنيا علشان رديت عليا وحلم حياتى اشوفك فالحقيقة. انا عرفه انه حلم وفوق سقف طموحى لكن انا عشمى فربنا كبير واتمنا توافق

اكتر معجبه بمروان جبر

ياسمين الإتربي

قرأ كلامها والابتسامة مرسومة على صفحة وجهه رغم الأخطاء الإملائية الفادحة، والتي تثير حنقه. لفت انتباهه صورة مرفقة مع

الرسالة.. ضغط عليها فانتفض من الكرسي وجحظت عيناه عندما وجد أنها صورتها وهي ممسكة برواياته، بأنامل طويلة ساحرة، وشعرها الغجري أحمر اللون المنسدل على كتفيها ولا يخفي لونه الخمري الجذاب، وانحناءات جسدها داخل قميص نوم أسود اللون منحسر عند الصدر الناهض.. لم يتمالك نفسه إلا حين ضغط على زر «رد» وكتب لها في عجالة:

العزيزة رائعة الجمال / ياسمين

بدايةً اسمك جميل جدًّا، سأنتظر قدوم أول فرصة لأراكِ فيها، سأنتظر بشغفٍ يعلوه شغف، ولهفةٍ غير مسبوقة..

رقم هاتفي: ٠١٠٦٦٦٦٦٦٦

مروان جبر

ثم أطفأ الحاسوب بسرعة ودلف غرفة النوم كي يأخذ من الدولاب المبلغ الذي ادخره للولادة على مدار سبعة أشهر. فتح الدولاب فوجد الرجل ذا الجلباب الأبيض واقفًا مُنتصِبًا عاقدًا يديه أمام صدره كعادته..

– وما الذي يدريك يا مسكين أن الذي نما وترعرع في أحشائها هو من صُلبك ومن ماء ظهرك..؟ أطلق بعدها ضحكة مجلجلة هزت دواخل مروان الذي بصق في وجهه فاختفى. شرد بتفكيره قليلًا وهو يمسح البصقة من ملابسه.. «هل صحيح من الممكن أن تخونني ريهام زوجـ..» نفض رأسه بقوة عما يفكر فيه، فهو يعرف جيدًا أن مجرد التفكير في هذه الأمور سيدخل دائرة شك ليس مستعدًا لها الآن.. أخذ ثلاثة آلاف جنيه من جيب بذلته ورحل..

***



سار في الشارع شاردًا، ساهمًا

- من تلك التي تخونني؟!! سأل نفسه مغمغًا.. يمكنني أن أشك في أي امرأة في الدنيا إلا ريهام، فهي المرأة الوحيدة التي أئتمنها وأثق فيها أكثر مما أثق بنفسي. ولا يمكن للشك أن يجد طريقًا يسلكه ليتسلل لقلبي من خلاله..!

وصل إلى محطة الأتوبيس وظل يفكر في الأمر قليلًا قبل أن يهز رأسه مؤكدًا: نعم، ريهام لم ولن تخُني قَط في يومٍ من الأيام..

لاح من بعيد أتوبيس يذهب إلى المستشفى، وقف متأهبًا ليستقله وحمد الله أنه ليس ممتلئًا، حين صعد لمح أحد الشباب جالسًا بجوار النافذة ممسكًا بإحدى رواياته ويقرأها فافتر عن ثغره ابتسامة طفيفة قبل أن يجلس على الكرسي التالي له بجوار النافذة، لتداعب أمواج الذاكرة شاطئ عقله، حين تذكّر أول مرة قابل فيها ريهام، المُعِدة بأحد البرامج الثقافية. كان وقتذاك يعمل في المكتبة الكائنة بوسط البلد، وتذهب له كل يومين أو ثلاثة أيام لتشتري بعض الكتب التي يرشحها لها، أو تتفق مع أحد الكُتَّاب بعد ندوته أن تستضيفه في الحلقة القادمة. كان في ذلك الوقت يحاول أن يتحدث إلى أي كاتب كي يعرض عليه مجموعته القصصية، ربما تعجبه وينشرها.. لكنه كان دائمًا مترددًا، ويخشى التحدث إلى الكُتَّاب المشهورين أو الناشرين.. خشية أن يحرجوه!

..

في إحدى المرات حضرت ريهام إلى المكتبة تسأله عن كتب تتحدث عن «أخناتون» فرشَّح لها عدة كتب، تبادلوا أطراف الحديث بعدها لمدة نصف ساعة تطرقوا فيها عن أشياء عديدة متعلقة بالوسط الثقافي وعما يدور حوله..

- أتعلمين يا أستاذة ريهام ما الذي أحلم به؟.

- أستاذة..؟!! والله لا يوجد أستاذ غيرك.. أنت الأستاذ ولست أنا.

- أستغفر الله.. كيف ذلك.. أنت مُعِدَّة كبيرة في برنامج يعرض في التليفزيون ماشاء الله.

- وأنت شخص مثقف، محترم، لبق، مجتهد ومثابر.. وفوق كل ذلك حسن الهيئة، مهندم..

رغم أنه بالفعل شعر بالخجل حينها، وهذا قلما يحدث. لكنه شعر بأنه يريد سماع المزيد من المدح والثناء، ربما لأنه عاش عمره محرومًا من كلامٍ كهذا. شعر أيضًا ببعض الإعجاب تجاهها، وأخبرها أنه كتب مجموعة قصصية، ويحلم بأن ينشرها يومًا ما.. طلبت منه بحماسٍ مُتقد أن يريها جزءًا مما كتب، فأخرج قصة منها مكتوبة على ورقة كان يضعها في جيبه تحسبًا لأي وقت يقابل فيه أي ناشر ويجد حينها بعض الجرأة ليتحدث معه، ويعرضها عليه..

بعدما قرأت القصة، لمحَ مروان في عينيها دمعة؛ كانت القصة تتحدث عن فتاة مظلومة في حياتها، تحيا وحيدة لم تجد من يفهمها، ويفهم أن انكسارها ليس سوى صمت يعيش بداخلها، وملل من تكرار الشكوى دون جدوى..

- ماذا بكِ يا أستاذة ريهام؟ سألها بقلق

- لا شيء، فهذه القصة تتحدث عني تمامًا.. كيف عرفت كل ذلك بالله عليك.. كيف استطعت وصفي بتلك الدقة؟!

- رغم أنني أجيد الوصف، لكنني لا أستطيع وصف سعادتي بكلامك هذا يا أستاذة ريهـ...



قاطعته بنبرةٍ حادة لا تخلو من انكسار: لا تقل لي أستاذة مرة أخرى.. اسمي ريهام، ثم أنك أكبر مني سنًا، على الأقل الفارق بيننا ٣ أعوام.

- نعم، هو كذلك تقريبًا.. لكنك الأكبر مقامًا..

كان ذلك حين لمح من بعيد وفاء نعمان نخلة، تعبر الشارع متجهة إلى المكتبة. تهللت أساريره بداخله وتفاجأ أن ريهام تركته فجأة وذهبت إلى قسم كتب الأطفال بمجرد أن لمحتها..! بينما أقبلت وفاء عليه..

- أين صاحب المكتبة يا...؟

- أهلا بكِ يا أ. وفاء.. صاحب المكتبة سيحضر بعد ساعة.

- حسنًا، أخبره أن يطلب من دار النشر مئة نسخة من كل رواية لي من أجل حفل توقيعي الأسبوع القادم، وأن يحاول إحضار مقاعد زيادة كي لا يحدث ما حدث آخر مرة..

- نعم، أنتِ محقة تمامًا، فقد كان هناك حوالي عشرين قارئًا ظلوا واقفين طوال الندوة.. حسنًا سأخبره.

- شكرًا يا.. معذرة دائمًا أنسى اسمك.

- مروان جبر.. اسمي مروان جبر، كنت أريد أن أعرض عليك قراءة إحدى قصصي التي...

قاطعته: لالا ليس الآن فأنا لدي مواعيد كثيرة ومشغولة للغاية.. وفقك الله يا كريم.

- مروان.. اسمي مروان يا أستاذة.

- حسنًا يا مروان.. لا تنس ما أخبرتك به.. ولا تنس أن يكون المفرش الذي ستضعه على المنضدة أبيض ناصعًا..إلى اللقاء.

بمجرد أن خرجت من المكتبة عادت ريهام مرة أخرى، ممسكة بكتابٍ في أدب الأطفال. سألها لماذا تركته هكذا فجأة عند دخول وفاء، أطرقت

وهي تزم شفتيها، وشعر أنها لا تريد أن تجيب عن سؤاله.. وغيّرت الموضوع..

- هل تعلم أنني أحب أدب الأطفال جدًا؟

- حقًا.. شيءٌ غريبٌ..

- لا ليس غريبًا.. فأدب الأطفال كان بدايتي في الكتابة.

- هل تكتبين فعلًا؟ هل لديكِ أعمال منشورة إذن؟

أشاحت بوجهها بعيدًا وقد اكتسى وجهها ببعض الضيق قبل أن تنظر له مرة أخرى وتسأله: ما رأيك في روايات وفاء نخلة؟

- مممم في الحقيقة أنا قرأت كل أعمالها، ولا أستطيع أن أصف جمال قلمها، خصوصًا أول ثلاث روايات.. غير أن الروايتين الباقيتين لم أشعر أثناء قراءتي لها بنفس شعوري أثناء قراءة أوائل أعمالها، وهذا ليس رأيي وحدي، فمعظم رواد المكتبة كان هذا رأيهم، وذات مرة طرح عليها أحد القراء هذا السؤال، لكنها لم تجبه وبدت متوترة وانفعلت عليه.. رغم أن من المفترض أن الكاتب يطوّر نفسه دومًا..

نظرت له مبتسمة فاستطرد: ولكني أثق أنها ستعود لمستواها لاحقًا، فلكل جواد كبوة، ويوجد كُتَّاب كثر مروا بهذه الحالة. لكنها في النهاية الكاتبة الرائعة وفاء نخلة، إحدى أفضل الكاتبات في مصر، وأعتقد أنها ستعود لمستواها قريبًا.. قال متحمسًا، فقاطعته بهدوء:

- أما أنا فلا أعتقد.. واستأذنته، بعدما تركت في المكتبة عبق رائحتها الساحر، الذي تسلل إلى روحه لساعات..

بعد ذلك تقابلا خارج المكتبة عدة مرات، دراسته لشخصيتها جعلته يدرك كم هي تحب الشخص الطموح، فأظهر هذا الجانب من شخصيته لها. عرف أيضًا أنها فسخت خطبتها منذ شهرين، وتعيش في حالة

ضعف وفراغ عاطفي، حاول استغلال ذلك لصالحه. وفي أحد الأيام بينما كان جالسًا معها وجد أن ثمة تشابه بين اسمها واسم وفاء..

- هل أنتِ من نفس عائلة الكاتبة وفاء نخلة؟

- هل تعرف اسمها بالكامل؟

- نعم.. وفاء نعمان نخلة.

أخرجت بطاقتها له فذهل حين رأى اسمها بالكامل «ريهام نعمان نخلة» فاندهش وسألها:

- لماذا لم تخبريني من قبل أنها أختك؟..

- لأنه ليس شيئًا يدعوني للافتخار.. حاول أن يسألها لماذا لكنها قاطعته قبل أن يسأل: أرجوك يا مروان، دعنا نتحدث عن أي شيء آخر.

لكنه ألح عليها وعرف منها أنها هجرتهم منذ فترة كبيرة، حكت له عن أشياءٍ كثيرة حدثت بين وفاء وبينها ووالدتها، شعر بالأسى مما سمعه منها، رغم أنه لم يصدق بعضًا ما قالته، خصوصًا أنها أخبرته أنها سبب كل هذه الشهرة التي تحظى بها أختها، سألها لماذا فأخبرته أنها سرقت منها أول ثلاث روايات، وقدمتهم باسمها لإحدى دور النشر، والتي وافقت على نشرها لسببين؛ الأول روعة القصص والحبكات واللغة فيهم. والثاني بسبب تقديمها لبعض التنازلات، ففهم عن طريق تعبيرات وجهها المقززة ما هي هذه التنازلات.

تقابلا عدة مرات شعر بعدها أنها ارتاحت له بل وأحبته فتظاهر لفترة بعدم الاكتراث حتى صارحته بذلك. شعر هو أيضًا بانجذاب ناحيتها رغم عدم تأكده من مصير علاقتهما. فشتان الفارق في الشخصية بينهما. لكنه كان يفكر كثيرًا في أنه إذا استطاع أن يتزوجها فسيكون هذا بالأمر العظيم، يكفي أنه سيكون زوج أخت الأديبة وفاء نخلة. ومن



المحتمل أن يكون هذا دافعًا أن تساعده في نشر مجموعته القصصية، أو على أقل تقدير إذا قابل أي مدير نشر يخبره بقرابته منها.. فهذا وحده شرف كبير، وخطوة كبيرة قد اجتازها...

ورغم ذلك، فهو لا يستطيع إنكار أن ريهام قدمت له ما لا كان يتوقعه، عارضت أمها التي رفضته منذ أول وهلة رأته فيها، فألحَّت عليها حتى وافقت مضطرة. ولم تبد له أي اعتراض حين أخبرها أن الشقة ستكون إيجارًا. تحملت معه فترة خطوبة ثلاث سنوات كي يدخر مرتبه الذي يحصل عليه من المكتبة، وكافيه يعمل فيه بعد الظهر، حتى استطاع أن يشتري غرفة نوم ومعيشة وسفرة، وتكفلت هي بباقي الأثاث. . كان منزلهم في بداية زواجهم بسيط الحال يدل على فقرٍ طفيف، وإن لم يكن قد بلغ حد الحاجة، ساعدته كي يعمل في شركة كبيرة كمندوب مبيعات، وفي نفس الوقت كانت تشجعه ليكتب، وتقرأ ما يكتبه فتنصحه بإجراء بعض التعديلات. فيفعل..! وحتى بعدما نشر روايته الأولى وأصبح كاتبًا مشهورًا معروفًا.. شجعته أن يكتب روايته الثانية والثالثة..

تفرغت له واستقالت من وظيفتها كمعدة بناء على طلبه، وطالما سهرت على راحته في أيام العطلات كي تخلق له عزلة يستطيع بداخلها أن ينكبَّ بالساعات على دفتره ليكتب.. ظلت تشجعه وتحفزه وتحمسه، باعت جزءًا كبيرًا من ذهبها، القطعة تلو الأخرى بعدما قدم استقالته من العمل ليتفرغ للكتابة. إلى أن أصبح واحدًا من أهم كُتَّاب هذا الجيل.

«بأي وجه أقابلها الآن وكيف ستلتقي عيني بعينيها؟!» حدَّث نفسه ووهو يطرف بعينيه سريعًا لا إراديًا..



انتبه من شروده حين جلست بجانبه سيدة مع رضيعها الذي كان يبكي، نظر له مبتسمًا وأخذ يداعبه حتى غفا قبل أن يقترب الأتوبيس من المستشفى، ونزل..!

سأل أحد الموظفين عن رقم الغرفة التي بمجرد أن دلفها وجدها نائمة على ظهرها وعيناها نصف مغلقتين، معلق بجوارها محلول، اقترب منها كي يقبّلها فلفتت انتباهه آثار دموع أسفل عينيها لم تجف بعد..! مسحها بأنامله قبل أن يحتضن وجهها بكلتا يديه، وهمس في أذنيها - كذبًا - أنه يحبها. في الوقت الذي دخلت فيه الطبيبة مع الممرضة الممسكة بجهاز لقياس نبضات الجنين. سألته الطبيبة:

- هل حدث لها أي شيء سلبي في الليلة الفائتة؟ لم تكن بتلك الحال ليلة أمس في عيادتي حين فحصتها

- لا أفهم قصدك، لماذا تسألينني هذا السؤال؟ سألها قلِقًا..

- لأنه من المفترض أن تلد بعد أسبوع من الآن، وليس اليوم. بالإضافة إلى أن ضغط الدم لديها ارتفع فجأة عمّا كانت عليه بالأمس، ونبض الجنين بدأ يقل. ودخولها غرفة العمليات الآن سيكون خطرًا جدًّا عليها..

- وما العمل إذًا..؟ سألها بقلقٍ بالغ، فأجابته: نحن سنفعل كل ما بوسعنا.. ونتابع نبضات الجنين كل ربع ساعة، ونعمل على خفض ضغط الدم لديها كي نكسب بعض الوقت، فكل دقيقة تأخير هي في صالحها هي والجنين.. ربتت على كتفه: لا تقلق، واذهب للخزينة كي تدفع تكاليف الولادة والمستشفى.

ترك ريهام مع الطبيبة والممرضة، وذهب إلى الخزينة فوجد حماته واقفة هناك تسأل عن التكاليف..



«معذرة يا حماتي» أخذ مكانها أمام موظف الخزينة ليعرف كم المبلغ، وأعطاه ما طلب ثم أخذ إيصال الدفع.. لم يتحدث إليها قط، لأنه يعرف جيدًا أنها إذا تفوهت بحرفٍ لا يروق له، سينفجر فيها وفي أي شخص يتدخل..!

عاد بعد ذلك إلى غرفة ريهام فوجد الممرضة تخلع عنها خرطوم المحاليل وتهيئها لدخول غرفة العمليات، كانت قد بدأت تستفيق، نظر مروان لها وتلاقت عينيه بعينيها فوجد في زواياها حزن العالم بأكمله، تألم قلبه لذلك رغم كل شيء، ولم يستطع إبداء أي رد فعل منه سوى أنه بكى وهو ينظر إليها. ندم؟.. ربما..! شفقة؟ ربما..! مجرد واجب؟.. ربما..!

دخلت عليهم ممرضة أخرى ومعها الملابس الخاصة بالعمليات، أقبلت عليها لتخلع ملابسها وتستبدلها بهذه الملابس. ظهر حينها جزء من صدرها، فأخفته عنه بكلتا يديها وهي تنظر له بنظراتٍ مذعورة، مرعبة، متوترة. وكأنه رجل غريب عنها. شعر حينها بأن خنجرًا قد اخترق صدره ومزق قلبه أشلاء، وشعر حينها أنه حقير، وضيع ودنيء.. غير أن ذلك الشعور لم يمنعه من استراق نظرة إلى مؤخرة الممرضة حين انحنت لتلتقط ترمومترًا سقط منها..

هبَّ ليساعد الممرضات على حملها لينقلوها من سريرها إلى السرير المتحرك، رفع بعد ذلك قدميها ودثرها بالغطاء، كل قدم يغطيها كان يقبّلها وهو يبكي قائلًا:

- لن أفعل بعد اليوم أي شيء يغضبك مني أبدًا يا ريهام، سأظل خدّامًا تحت قدميك إلى آخر لحظة في عمري..» قبَّل قدميها مرة أخرى: «أرجوكِ سامحيني يا حبيبة قلبي..» لم ترد عليه، اكتفت فقط بزم شفتيها

وبالكاد منعت نفسها من البكاء، طلبت الطبيبة منه بحزم ألا يتحدث معها بأي شيء يثير حزنها كي لا يرتفع الضغط مرة أخرى، كان بودها أن تطرده خارج الغرفة بعدما أحست أنه السبب في ارتفاع ضغطها..

وضع «البونيه» الأزرق على رأسها قبل أن يقبّل جبينها ويديها. ثم مضت مع الممرضة..

نحو غرفة العمليات..

جلس القرفصاء في الطرقة المواجهة لغرفة العمليات، جاءت حماته فوقفت أمامه تمعن النظر فيه، انتابته حينها رغبة قوية أن ينهض ويفرغ فيها كل ما بداخله من طاقة سلبية على هيئة صفعة أو لكمة على وجهها الكئيب الذي جلب إليه النحس.. كما يرى..!

لكنه اكتفى بأن يشيح بوجهه بعيدًا عنها، ظلَّ مترقبًا انفراج الباب لمدة نصف ساعة مرت عليه كساعات، قبل أن يقرر الذهاب لمسجد المستشفى، ليتوضأ ويصلي ركعتين. في الركعة الثانية شرد قليلًا وتذكر أنه جاء هنا بعدما ضاجع نهال مباشرة، نجسًا، دون أن يغتسل..! في نفس الوقت الذي رنَّ فيه هاتفه فقطع صلاته في منتصفها وأجاب ببساطة..!

- آلو..

- نفس نبرة الصوت الساحرة التي طالما سمعتها في برامج التليفزيون والراديو، وطالما طربت أذني.. كان الصوت أنثويًا هامسًا، سألها: من المتحدث؟.. فأجابته بنفس النبرة

- أنا ياسمين يا أستاذ مروان، ياسمين الإتربي التي أرسلت لك عبر البريد الإلكتروني، لا تتصور كم أنا سعيدة لأنني أتحدث إلى الكاتب العظيم مروان جبر، والذي يجعلني أسرح وأسرح بين سطوره وحروفه، وأعيش بخيالي معه دائمًا..

تذكر ملامحها في الصورة التي أرسلتها له، خرج من الجامع ساهمًا، جلس على أحد الكراسي المواجهة للباب قائلاً «ويحك يا ياسمين، لا أنكر أنني أشعر بسعادة عارمة تعتريني على حين غرة حينما أسمع إشادة أحد القراء لي. وخصوصًا حينما تأتي هذه الإشادة من امرأة جميلة مثلك..

- أنا الآن ازدت سعادة وجمالًا من كلامك هذا.. وشهادتك هذه بمثابة وسام شرف..

- ها ها ها .. ليس للدرجة، فأنتِ تعلمين جيدًا أنني لا أبالغ يا ياسمين. فأنتِ جميلة بالفعل، وشعرك ناعم ولونه مثلما أحبه تمامًا..

- كنت سأقصه وأغير لونه الأسبوع القادم، لكن بعد كلامك هذا فقد قررت الآن أن أتركه هكذا.. سكتت فتعمد ألا يرد عليها كي يستدرج اشتياقها وانبهارها في قول كل ما لديها، فاستطردت بالفعل: هل لي أن أطلب منك شيئًا ما..؟

- النساء الجميلات لا يسألن طلب شيء، هم فقط يأمرن مباشرة.. يعرف جيدًا وقع كلامه هذا عليها، وكان مُتأكِدًا من أنها ستطلب مقابلته. وبالفعل.. أجابته بنبرة سعيدة «هل أستطيع مقابلتك ورؤيتك؟

اختار كل حرف يقوله لها، وتعمّد التلاعب بأعصابها بأن يبدأ إجابته بـ: في الأغلب الأعم أنا لا أقابل قارئات.. ساد الصمت بينهما لهنيهة قبل أن يمدها بخيط أمل: لكن حينما يكون الأمر متعلقًا بقارئة جميلة مثلك.. فأعتقد أنني لا أستطيع الرفض.

- يا إلهي.. أشعر وكأنني في حلم.. سأموت من فرط فرحتي..

- بعيد الشر عنكِ يا ياسمين.. سنتقابل أول الأسبوع القادم إن شاء الله.. أستأذن منك الآن لأن لديَّ اجتماع.

- تفضل يا أستاذ مروان.. وشكرًا جزيلًا على ذوقك ورقتك في الكلام معي.

- لا تقولي لي يا أستاذ مرة أخرى.. اسمي مروان فقط.

- حسنًا يا أستاذ مروا.. معذرة.. حسنًا يا مروان.

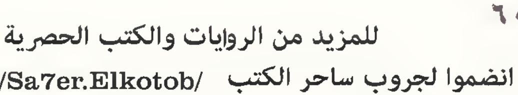
أغلق الهاتف مبتسمًا، مستمتعًا بتوترها أثناء التحدث معه وهي تحت تأثير الرهبة من هيبته لديها.. سرح قليلًا وهو يتلفت حوله فتذكر أنه في المستشفى، وأن لديه زوجة الآن داخل غرفة العمليات، عاد إليها مرة أخرى فوجد الممرضة تفتح باب غرفة العمليات وتخرج منه حاملة بين يديها ابنه، شعر بأنه على وشك الإغماء حين رأى قطعة من صلبه. أقبل على الممرضة التي مدت إليه يدها بالوليد..

- ألف مبروك يا أستاذ مروان، من المؤكد أنه سيصبح كاتبًا رائعًا مثل حضرتك..

- كاتبًا مثلي؟!! هل تعرفين؛ رغم أنني كاتب روائي، وأستطيع وصف أي مشاعر بدقةٍ بالغة. لكنني لا أستطيع وصف حالتي الآن. وإن كان هناك أسعد شخص في العالم في هذه اللحظة فمن المؤكد سيكون أنا..!

- بارك الله لك فيه.. عن إذنك.

شعر بسعادة عارمة، غير أن هذه السعادة لم تنسه أن ريهام لازالت بالداخل، نادى على الممرضة وسألها عنها فأخبرته أن حالتها غير مستقرة الآن، والطبيبة معها بالداخل تجري لها بعض الإسعافات.. وقع قلبه عند قدميه، وشعر بالتوتر يجتاحه وبخدرٍ سرى في كامل جسده. في الوقت الذي ظلت فيه حماته تبكي بجواره فوترته أكثر. أخذت الممرضة الطفل منه كي تضعه في غرفة الاعتناء بالأطفال الرضع. ولتعرضه على طبيب أطفال ليتفحصه.



جلس القرفصاء مرة أخرى أمام غرفة العمليات لربع ساعة حتى خرجت الطبيبة بوجهٍ متجهم عبوس وهي تخلع من يديها القفازات المطاطية. نهض وهو يسألها في لهفة:

- طمنيني يا دكتورة، كيف صحتها الآن..؟

أجابته بنفس السحنة: بخير والحمد لله.. وستخرج بعد خمس دقائق. تنفس الصعداء لكنه عاد ليسألها مرة أخرى: إذًا لماذا تبدين عبوسة هكذا.. هل حدث شيءٌ تخبئينه عني؟

- لا.. ولكنني ألوم عليك لأنك السبب في ارتفاع ضغط الدم، وقد سمعتها منذ قليل وهي تحت تأثير البنج، تقول إنها رأتك في وضعٍ مخل مع سيدة تدعى وفاء نخلة.

- لا لا لا يا دكتورة.. نفى كاذبًا محاولًا إبعاد هذه التهمة عنه: فكما قلتِ إنها تحت تأثير البنج، ومن المرجح أنها تهذي بأي كلام.

هزت رأسها عن غير اقتناع ومضت، تنفس الصعداء فالتفتت إليه مرة أخرى تسأله:

- أليست وفاء هذه الكاتبة المشهورة أختها؟ فقد رأيتك معها في عدة برامج..

- قلت لكِ إنها تهذي يا دكتورة.. فأنا ليس لي علاقة وطيدة بوفاء، كل ما بيننا هو هذه الحلقات فقط، وغالبًا تكون بالصدفة.. رغم أنها أخت زوجتي هذه مجرد زميلة في الوسط الأدبي فقط.

هزت رأسها مرة أخرى ومضت.. في الوقت الذي خرجت فيه ريهام على السرير المتنقل، غائبة عن الوعي تمامًا.. مسك يدها وسار بجوارها بمحاذاة السرير إلى أن نقلوها في غرفتها، لم تكد تسمع صوت صراخ ابنهما الذي أتت به الممرضة، حتى فتحت عينيها مبتسمة، وأخذت تمسح



بهما الغرفة في غير وعي حتى رأتها، ناولتها الممرضة لها فاحتضنته.. وارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يراهما الاثنين أمامه. وقال بصوتٍ خافت مبتسمًا وهو تحت تأثير اللحظة

«أسرتي الجديدة..»

وقرر في داخله ألا يخون هذه الأسرة مرة ثانية..

أبدًا..!

***

بعد مرور أسبوع.. عيادة د. نشأت للأمراض النفسية

وصل مروان إلى هناك، وجد موظفة الاستقبال جالسة وممسكة بمرآةٍ صغيرة وتعبث في حاجبيها بملقاط، سألها عن دكتور نشأت، فأخبرته أنه كان ينتظره بالداخل منذ عشر دقائق. وحينما تأخر أدخل حالة أخرى بدلًا منه إلى أن يحضر، جلس لينتظره حوالي نصف ساعة، وكان يجلس أمامه أربع حالات منتظرين أدوارهم.. قضوا طوال الوقت ينظرون في عيني بعضهما البعض، كل منهم يحاول جاهدًا توقع ما يعاني منه الآخر.. إلى أن انتزعه من شروده صوت فتح الباب، فخرجت منه سيدة غاية في الجمال ليس بها عيوب سوى بعض الدوالي في سمانة قدمها اليسرى، أو هكذا بدا له، دخل الغرفة فاستقبله دكتور نشأت لائمًا..

- ادخل أيها الأديب صاحب المواعيد المتأخرة.. أنت هكذا دائمًا، كل مواعيدك ليست منضبطة.

استقبله بالأحضان قبل أن يجلس، طلب من الموظفة أن تحضر لهما فنجانين من القهوة، سأله:

- كيف حالك يا صديقي.. وما آخر أخبارك؟

- رزقني الله بطفل، أسميته يوسف.

- أخبرتني زوجتي بذلك، واتصلتُ بك يومها لكنك لم ترد عليَّ.

شرد قليلًا، فسأله نشأت: ماذا بك؟.. حالك لا يعجبني يا مروان

- كيف؟ سأله ولازال سارحًا.. أخشى ألا تكون قد فعلت ما اتفقنا عليه يا صديقي.

- ألا وهو؟! سأله متظاهرًا أنه لا يعلم ماذا يقصد.

- الإقلاع عن الأدوية التي كتبتها لك لتتناولها أسبوعين فقط، واكتشفتُ بعدها أنك داومت عليها لأكثر من ثلاثة أشهر دون علمي، وقد حذرتك منها مرارًا وتكرارًا يا مروان.. قل لي بصراحة، هل لازلت تتناولها؟

حاول مروان الهرب بعينيه منه فنظر إلى الجهة الأخرى، لفت انتباهه خزينة بأحد الأركان: لماذا هذه الخزينة؟ وكم مليون بداخلها؟ سأله متهكمًا، فانفلتت من نشأت نصف ضحكة متندرًا عليه.

- وهل تظن أنها لو كان بها ولو مليون واحد كنت سأجلس أمام صديق بائس متعب مثلك؟.. وإن كنت تتحدث عن القيمة، فبداخل هذه الخزينة ما هو أكثر قيمة من المال، وأكثر سرية من أي شيء تتخيله... على الأقل بالنسبة لي.

- وما هو هذا الشيء؟ سأله ولازال معلقًا نظره إلى الخزينة، خشية أن تلتقي عيناه بعيني نشأت فيفتضح أمر عدم إقلاعه عن الدواء. فأجابه نشأت مسايرًا له:

- ملفاتي وأوراقي الهامة بالإضافة إلى شرائط تسجيل الجلسات التي أجريها مع المرضى، والمُتعِبين مثلك، والذين يتفنون في الهروب من الأسئلة الهامة.

عاد مروان بنظره إليه مرة أخرى وأجابه مُنفعِلًا: نعم.. لازلت



أتناولها، لا أستطيع أن أقلع عنها كما أخبرتك منذ شهر ونصف، ماذا أفعل؟ أنت تعرف جيدًا أن الإقلاع عنها صعب، إن لم يكن مستحيلًا..

قاطعه نشأت بانفعالٍ أكبر: نعم أعلم، ولكنه كان أنسب دواء في هذه الفترة، وكتبت لك بديلًا كي يساعدك على الإقلاع عنه تدريجيًا، والآن أنا متأكد أنك لم تأخذ الدواء البديل، وبطبيعة الحال لم تفعل ما طلبته منك، ما طلبته منك كصديق قبل أن أكون طبيبك النفسيّ..

علق نظره عليه بعينين واجمتين: لا أستطيع يا نشأت.. نفس الرجل يظهر لي كثيرًا، جربت الدواء البديل لكنه بلا جدوى، أما هذا الدواء يقلل من ظهوره أمامي والتحدث إليَّ..

- هراء - صاح به - هذا الذي تقوله ليس إلا هراء، وكما قلت لك، هذا الرجل ليس سوى تهيؤات، وإن أردت منعها، يجب عليك أن تتحلى بالرغبة في ذلك وتقلع عن الدواء أولًا.. ثم الاهتمام بزوجتك وابنك ثانيًا.. أما ثالثًا فالبُعد عن الكتابة لشهرين أو ثلاثة أشهر.. هذا بالإضافة إلى الإقلاع عن الخمور، إن فعلت ذلك أعدك ألا ترى هذا الرجل أو غيره مرة أخرى.

أطرق مرة أخرى بعدما شعر بالصداع يفتك به، ضغط بكلتا يديه عليها لكن بلا جدوى..

- عدني الآن أن تفعل كل ذلك..

- سأحاول.. قالها بلا مبالاة وهو ينهض عازمًا الرحيل. نهض نشأت: إن لم تفعل ذلك، صدقني يا مروان إن لم تفعل ذلك، فسيزداد الأمر سوءًا.. وسينتهي بك الأمر إلى إيداعك مستشفى الأمراض العقلية لا محالة، صدقني.. حذره مردفًا: زوجتي أخبرتني بما قالته ريهام في غرفة العمليات بعدما أجرت لها عملية الولادة..



- أنت تعرف جيدًا أن الإنسان تحت تأثير التخدير يقول أي شيء كاذبًا، وأخبرت زوجتك بذلك.. لماذا تكبرون الموضوع يا نشأت؟؟!!

- أنا أعرف جيدًا أن الإنسان تحت تأثير التخدير يقول ما يجول بخاطره وما حدث له في الساعات الأخيرة قبل العملية.. بالإضافة إلى أنني أعرفك جيدًا منذ أيام الجامعة، لا تكذب يا مروان..

مثل أمامه متذمرًا كتلميذ خائب تم اكتشاف كذبه، قال له وهو يحك أنفه: حسنًا.. سأفعل ما طلبته مني، ولكن بعدما أنهي علاقاتي القائمة حاليًا، ولن أستطيع إنهاءها فجأة، يجب أن أفعل ذلك تدريجيًا.

- أتمنى أن تكون صادقًا، أيضًا عدني الآن أن تقلع عن الخمور، وأيضًا هذا الدواء الذي سيدمر عقلك، وأن تستخدم الدواء البديل، وتتوقف عن الكتابة لثلاثة أشهر.

- سأبدأ في كل ذلك في نفس اليوم الذي سأنهي فيه كل علاقاتي.. بعد أسبوع على أكثر تقدير..

- حسنًا.. سأراك بعد أسبوع.. أقبل عليه وربت على كتفه: أنا صديقك يا مروان، ولن تجد في هذه الدنيا صديقًا يخاف عليك أكثر مني.. ثم إنني أتعجب من كاتب رومانسي حالم مثلك، وتقيم علاقة مع كاتبة أكبر منك بخمسة أعوام، ومَن؟! أخت زوجتك يا مروان..! إنها سادية وهذا يظهر في جميع كتاباتها. أقسم لك إنني إذا أجريت معها جلسة واحدة سأكتشف فيها جميع الأمراض النفسية التي أعرفها..!

- وستكتشف أيضًا أنها تملك أجمل مؤخرة في العالم.. وأكبر..

قاطعه ضاحكًا: أنت وغد كبير يا مروان.. اذهب.. اذهب ولا تعد لي إلا وأنت إنسان آخر، غير الذي أنت عليه الآن.

احتضنه وأخذ يربت على ظهره مشجعًا وشادًا من أزره: أنت رجل قويّ يا مروان.. وستستطيع تغيير حياتك للأفضل.. أنا واثق من ذلك.

اومأ له بابتسامة قبل أن يرحل، لكنه سرعان ما التفت له عند الباب قائلاً:

- آه، تذكرت شيئًا صغيرًا.. هل تعلم أني كافر بكل الأطباء النفسيين؟.. وما الطبيب النفسي سوى شيخ أو قس، يذهب إليه الناس كي يعترفوا له بكل شيء يخشون سرده لأي شخص عادي، يخشون سرده حتى بينهم وبين أنفسهم.. ولم يأخذوا منه سوى هزات رأسه كل ثوانٍ. غير أنني كافر بكل الشيوخ والقساوسة، لهذا أنا معك هنا الآن، ولهذا أنا حكيت لك كل ما لدي، لسببٍ واحدٍ فقط، وهو ما يميزك عن هؤلاء الشيوخ والقساوسة، هو أنك تستطيع أن تحدد لي دواء أو دوائين من إجمالي عشرة أدوية تحفظ أساميهم عن ظهر قلب فقط لا غير.. إلى اللقاء يا صديقي.

- ها ها ها .. لن تتغير.. إلى اللقاء.

***

في خلال الأسبوع الماضي، كلما يحاول مروان أن يعالج الشقاق الذي حدث بينه وبين ريهام، يجد ألف شيء يحول بينه وبين ذلك، حتى ريهام فكرت عدة مرات في أن تطلب الطلاق، لكنها خشيت أولًا شماتة أمها، ثانيًا لأنها تحبه.. رغم اتصال خطيبها السابق بها كل يوم تقريبًا، لكنها في كل مرة تصده وتخبره أنها نسيته تمامًا ولم تعد تحبه، بل تحب زوجها فقط، وكانت مقاومتها تلك تعتبر في حد ذاتها ضغطًا عليها وعلى أعصابها. وكثيرًا ما كانت تسأل نفسها، ما الذي يجعلها باقية عليه إلى هذه الدرجة؟! لماذا لم تخونه ولو لمرة واحدة مثلما فعل معها مرارًا وتكرارًا حتى أصبح يتنفس الخيانة؟!

من ناحيته، فكر مروان كثيرًا في أن يطلقها لكنه الآن لديه مانع يحول دون ذلك، ألا وهو ابنه، الذي أصبح يمثّل نقطة ضعفه. اتصل بها وطلب منها بدون إلحاح أن تعود إلى البيت وأن تنسى ما رأته تمامًا.. فقالت له إنها سوف تفكر في الأمر وطلبت مهلة لذلك.. فوافق، وهو في قرارة نفسه لا يستطيع أن يلومها في شيء؛ لأن ما رأته كان صعبًا فعلًا، ولا يمكن لنساء كثيرات تحمّله. وهذه التي رأتها معه لم تكن امرأة عادية، بل هي أختها. غير أنه في نفس الوقت لم يكن يريد أن تعود مرة أخرى. فقلبه انغلق ناحيتها تمامًا ولم يعد يتحمل رؤيتها، لا يدري سببًا واضحًا لذلك، وإن كان هناك سبب، فسيكون حبه لوفاء، والذي أخذ من قلبه ما كان - من المحتمل - سوف يعطيه لريهام إن لم تكن وفاء موجودة في حياته..!

في خلال نفس الأسبوع أيضًا تحدث هاتفيًا عدة مرات مع ياسمين التي كانت تجاذبه الحديث في كل اتصال فلم يجد مانعًا لتجاوبه معها، خصوصًا أنها حسناء كما رآها في الصور. اتفقا خلال هذا الأسبوع على أشياءٍ كثيرة.. أعربت له عن حبها وعشقها وشغفها به.. وأنها على استعداد أن تفعل المستحيل من أجل أن تعيش معه للأبد، شعر مروان من كلامها أنها تتحدث بصدق، وأنها، بالفعل كما أخبرته، على استعداد أن تفعل أي شيء لأجله. كان أحيانًا يعبّر لها عن إعجابه بها، لكنه في أحايين كثيرة كان يبدو أمامها مُتحفظًا، كي لا يزول انبهارها به. وفضوله لرؤيتها ومقابلتها كان - فقط - للتأكد من مدى صدقها في كلامها.

وأخيرًا، حان وقت مقابلتها اليوم، في مطعم فاخر بأحد الفنادق الكبرى بالقاهرة، جلس مروان على منضدة منزوية بعيدة نسبيًا عن مدخل المطعم كي لا يراه أحدٌ من قرائه أو الصحفيين. جاءت في موعدها تمامًا،

لكنها لم تكن بمفردها، وإنما كان معها ابنها والمربية الآسيوية التي تحمله وهي تسير وراءها، ما إن لمحته حتى ارتسمت على وجهها ابتسامة وضّاءة، وأمرت الخادمة أن تجلس بالطفل على منضدة بعيدة عنهم.

لم تكد تخرج الخادمة من المطعم حتى حثت الخطى نحوه بشوقٍ بالغ رغم عدم شعوره نحوها بأي شوق، لكنه تظاهر أنه يبادلها مشاعرها وشرع يديه حين دنت منه ودخلت حضنه بسلامٍ آمنين. تسلل عطر ساحر من بين خصلات شعرها لأنفه وكل حواسه فأيقظته من سباته العاطفي، وأشعلت فيه نار الشبق الخامدة، كان لانسيابية جسدها الغض، البض. عامل قوي ومؤثر كي يطبق يديه عليها ويضمها بقوة واضطرام إلى صدره، شعر حينها أنه يعانق أجمل سيدة رآها في حياته، بدت أجمل مئة مرة من الصور التي أرسلتها له على بريده الإلكتروني.

شعر حينما عانقته أنها كانت تبحث عنه لاهفة طيلة حياتها وأخيرًا وجدته، لاحظ ذلك أيضًا من شهقاتها حين مشت بكفها على ظهره فانتابته قشعريرة لم يشعر بها منذ زمن طويل، سأل نفسه حائرًا «كيف عرفت أن هذه اللمسة تثيرني..!» كان سيخبرها بأن هذه اللمسة تثيره لكنه تراجع، فهي أولًا وأخيرًا بالنسبة له كغيرها، لذا استعاد شيئًا من تحفظه وبادر بإنهاء العناق.. سحب لها الكرسي لتجلس فظلت تنظر له مليًا، بادر بالحديث كسبًا للوقت.

- هل تعلمين أن صوتك في الحقيقة أجمل بكثير من الهاتف؟ ليس صوتك فقط، وإنما أيضًا عينيكِ، جسدك، شعرك.

- حقًا يا مروان؟ أنت الذي لا تعلم ماذا أشعر حين تطرأ عليّ بكلامك هذا، ومن تلك التي لا تحلم بأن تسمع كلام كهذا من الكاتب الكبير مروان جبر؟؟!!»



- أنا الآن لست الكاتب الكبير مروان جبر، أنا فقط مروان.

- أنت حبيبي مروان.

قطب جبينه وتحدث معها بجدية أكثر: ياسمين، أريد أن أتأكد من أشياء كثيرة قبل أن تنشأ علاقة بيننا وتقوى، وحينها سيكون الأمر صعبًا على كلينا، هل تفهمين ما أقصده؟

- لا.. لا أفهم.

- يا ياسمين، يجب أن أتأكد أن الأمر ليس فقط مجرد إعجاب امرأة بأحد الكتاب وحسب، يجب أن أختبر مشاعرك.. يجب أن يعرف كلانا كل شيء عن الآخر.. فبالرغم من كثرة مكالماتنا في الأسبوع الماضي لكن لازلت لديَّ عدة تساؤلات.

- سلني وسأجيبك فورًا يا حبيبي، وبالنسبة لحبي لك، فسأترك ذلك للأيام، وستثبت لك كم أنا أحبك..

نظر بعيدًا وهو يعض شفتيه بحثًا عن سؤال: كيف كانت العلاقة بينك وبين زوجك؟

هربت بعينيها بعيدًا ونظرت إلى لا شيء وقد أذرفت عينيها حين قالت: كنت أحبه حتى خانني، دخلت الشقة فوجدته يمارس الجنس مع امرأة أخرى، كان ذلك قبل وفاته بأربعة أشهر.. خانني.. قالتها وقد التمعت عيناها بدمعة كادت أن تسقط..

تظاهر بالتأثر من وقع الكلمة..! تذكر ريهام في هذه اللحظة، ويعرف جيدًا طعم الخيانة بالنسبة لسيدة تعشق، ويعرف جيدًا أن ريهام لم تكن تهوّل الأمور حين طلبت منه الطلاق ذات مرة. وها هو الآن، جالسٌ مع سيدة تعاني ما تعانيه هي، وتشكي له من زوجها الخائن البغيض، والذي لا يفرق شيئًا عنه..!



- ومن يعلم؟! فربما تجلس ريهام هي الأخرى مع رجل وتشتكي له مني، وتخبره أنني خنتها، وتعاني من خيانتي لها، وهذا الرجل أيضًا يخون زوجته.. دائرة فارغة.. وممتلئة في الآن معًا..!» هكذا شرد لثوانٍ محدثًا نفسه

- هل خيانته لكِ هي ما شجعتك على مقابلتي، وهل كنتي ستفعلي نفس الشيء لو لم تكوني أرملة؟ سألها

- مروان.. أنا أحبك منذ أكثر من عامين حين قرأت أول مجموعة قصصية لك، أو لأكون دقيقة كنت معجبة بك حينها، الرجل الذي يشعر بكل شيء تشعر به المرأة هو رجل نادر في هذا الزمان، أو كائن قد انقرض. وبعد أن تعرفت عليك أكثر حينما رأيتك في التلفاز بأحد البرامج، زاد إعجابي بك، وتحول لحب حين تحدثت إليك في الهاتف وعرفت أشياء كثيرة عنك. وأدركت الحرمان الذي تعيشه، وهذه الزوجة التي أحسدها ليل نهار، وأتعجب من إهمالها لك.. حينها ارتفع سقف طموحي وفكرت في أمور أكبر..

- وهي أن نتزوج.. أليس كذلك..؟

- لماذا غضبت حين أخبرتك بذلك أول أمس؟! سألته حين جاء النادل فطلبتْ عصير ليمون وطلب قهوة إسبريسو ميكاتو، أجابها منفعلًا بعدما ذهب النادل: لأن الموضوع ليس بهذه السهولة،كل منا متزوج، وله حياته الخاصة والمعقدة، علاوة على أن لدينا أطفال..!

- بالنسبة لي فابني ليس مانعًا في شيء، ولست محتاجة إلى شقة أو أثاث، فلدي فيلا وشقتان وملايين. وبالنسبة إليك فأعتقد حسبما أخبرتني، أن الحياة بينكما الآن أصبحت مستحيلة.. فما المانع من أن نصنع حياتنا سويًا.. وأسير بجوارك مفتخرة بك أمام كل الناس؟



نهضت مستطردة بتفاخر: أنا.. زوجة الكاتب الكبير والأديب الساحر صاحب القلم الرشيق.. مروان جبر، ولا تشاركني فيه أي امرأة أخرى في العالم...

نهض، أمسك يدها وجذبها لأسفل ليجلسها: اجلسي يا مجنونة.. ستفضحينا بجنانك هذا.. استطرد مبتسمًا: الموضوع ليس بهذه السهولة يا ياسمين.

- هل أستطيع أن أعرف ما هي طبيعة الحياة بينكما؟ طبيعة علاقتكما؟

- هل تعلمين يا ياسمين، من الممكن جدًا أن تستمر العلاقة الزوجية ليس فقط إن كان بين الزوجين حب وعشق ولهفة. ولكن يمكنها الاستمرار أيضًا إن كان بينهما شجار دائم أو حتى عراك. لأن هذه المشادات من الممكن أن تنتهي يومًا ما.

أطرق رأسه لثوانٍ ثم أردف: ولكن حالتنا نحن، هي الحالة التي لن يجدي فيها أي استمرار. حالة اللاشيء، الملل، البرود العاطفي، قلة الشغف بل انعدامه، نحن لا نحب بعضنا البعض ولا نكره بعضنا البعض. هل تعلمين هذه المنطقة الوسطى؟ حالة اللاسلم واللاحرب؟!

ابتسمت وهزت رأسها متفهمة: نعم.. أعلمها جيدًا يا حبيبي... وأؤيدك جدًا في تطليقها. بل أتمنى أن تفعل ذلك.

- لا أنكر أنني أريد تطليق ريهام، لكن...

أطرق متظاهرًا بالتأثر والعبوس، سألته أن يكمل، فأكمل بنفس الكذبة المعتادة متظاهرًا بالأسى: لكن ما يمنعني يا ياسمين هو مؤخر الصداق، نصف مليون جنيه، نصف مليون جنيه لا أعرف كيف كتبتهم على نفسي في قسيمة الزواج.. هذا المبلغ الملعون الذي يمثل شوكة في ظهري منذ ذلك الحين..

ظن أنه سيصعقها حين يخبرها بالمبلغ، لكنها هي التي صعقته بردها حين قالت بنبرة عازمة جادة لا يشوبها هزل: وما المشكلة في ذلك؟!! سنعطيهم لها بكل بساطة وتذهب إلى حال سبيلها...

- وكيف ذلك؟ سألها محاولًا إخفاء التماعة عينيه، احتضنت وجهه بيديها: يا حبيبي، قلت لك مرارًا وتكرارًا. سأكون العون لك في تخطّي أي مشكلة تقابلك. ولا تنسَ أنني مثلما أخبرتك منذ قليل، أمتلك أموالًا طائلة قد ورثتها عن الكلب الذي كان زوجي.. لكن للأسف، هذه الأموال ليس لها ثمن بجانب رجل يحبني وحدي ويهتم بي، فأكثر شيء يهم المرأة هو الاهتمام من رجل يعشقها وحدها دون سواها، يغير عليها، يجعلها تشعر أنها أجمل امرأة في الكون..

أمسك يديها قائلًا: أنتِ بالفعل أجمل امرأة في الكون يا ياسمين، ولم أرَ في حياتي كلها امرأة في جمالك.

جذبت يديه نحوها وقبّلتها: قل لي، هل لديك عائق آخر في حياتك يجعلك حزينًا؟

- وهل يمكن لرجل أن يكون حزينًا ومعه امرأة مثلك؟! من أين أتيتِ لي يا ياسمين؟

- لا تسأل من أين أتيت لك، الأجدر بك أن تفكر في مستقبلنا.. إنني أحبك يا مروان، ولأجل سعادتك لدي استعداد أن أفعل أي شيء.

- السعادة هي أنتِ يا ياسمين.. وسيكون إهداء روايتي القادمة لكِ، بل كل رواياتي القادمة.

- والسابقة أيضًا.. قالت «وطالما ستطلق زوجتك بعدما تعطيها نصف مليون جنيه مؤخر صداقها، فأعتقد أن اسمها في الإهداء برواياتك السابقة ليس له داع.



فكر قليلًا: حسنًا، سأخاطب دار النشر كي يبدلوا جميع إهداءات رواياتي لتكون لك وحدك يا حبيبتي. قال كذبًا قبل أن يرمق ساعته.

- مرَّ الوقت بسرعة جدًّا، ستتقابل مرة أخرى ونكمل كلامنا يا حبيبة قلبي..

أمسكت يديه: مروان.. عدني أن تكون لي وحدي. وتهتم بي، وبابننا الذي سيكون ثمرة حبنا، والذي سيعيش مع أولادنا.

سألها ضاحكًا: وما يدريك أنه سيكون ولدًا؟!!

قبلت باطن كفه فزادته شبقًا إليها: حتى لو كانت بنتًا.. أهم شيء أن أرى شيئًا من صلبك ينمو في أحشائي.

- هيًا بنا إذًا. قال لها وهو يغمز بعينيه، فأطرقت وتضرج وجهها بحمرة الخجل قائلة: - قريبًا يا حبيبي، قريبًا سنفعل كل شيء يحلو لنا، الأهم الآن هو أن نتخلص من تلك المرأة التي أحالت حياتك إلى جحيم، وأبعدها عن حياتنا تمامًا.

- حسنًا، أراك على خير في المرة القادمة يا حبيبتي.. سأذهب أنا الآن.

- وأنا أيضًا سأذهب.. أشارت للخادمة أن تجهز نفسها.

- سأتصل بكِ الليلة مثل كل يوم، قبل أن تخلدي إلى النوم..

كان بعدها لديه موعد مع إحدى الصحفيات لإجراء حوار في مجلة ثقافية، استمتع بالحوار جدًّا مثلما استمتع برؤية صدرها بالكامل حين انحنت أمامه لتلتقط قرطها الذي سقط من أذنها أثناء الحوار. الذي لم يكد ينتهي حتى وردته مكالمة من وفاء،

- آلو...

قالت له باقتضاب وصوت منفعل يعيه جيدًا: «قابلني بعد نصف ساعة في جروبي»

استقل سيارة أجرة متوجهًا إلى جروبي بوسط البلد.. داعبته رياح الذكريات حين أقبلت عليه موجة هائجة قوية أبية..

تدعى وفاء..

***

منذ ستة أعوام..

بعدما تزوج ريهام، تحدث معها بشأن كتاباته التي يحلم بأن ينشرها، وطلب منها أن تعرضها على أختها كي تساعده في ذلك الأمر، لكنها في كل مرة كانت تتهرب منه وتسأله أن يسلك أي طريق آخر غير أختها.

- لماذا؟! لماذا نبحث عن طريقٍ آخر وأختك موجودة؟!! سألها منفعلًا

- أرجوك يا مروان، لا أريد أن أتحدث في هذا الأمر. فقط أنصت لي ونفذ ما أقول

- لا.. لن أنصت إليكِ إلا بعد أن تخبريني حقيقة ما بينك وبينها، ولماذا لم تحضر حفل زفافنا؟ وما هو طبيعة الشقاق بينها وبينكما أنتِ وأمك؟

- الأيام القادمة كثيرة يا حبيبي، سوف أخبرك بكل شيء ولكن في وقته، كل ما أريدك أن تعلمه فقط الآن هو أن هذه الإنسانة منحطة وقذرة وسارقة.. سرقت مجهود عامين كتبت فيهم ثلاث روايات أخذتهم منّي، أقصد سرقتهم..

- من تلك التي سرقت منك روايات؟ أجننتِ يا ريهام؟ ألهذا الحد وصلت بك الغيرة إلى أن تتهمي أختك؛ الكاتبة المشهورة وفاء نخلة. أنها سرقت رواياتها منكِ؟ كيف!!

- بما إنك لم تصدقني، فلن أجبرك على ذلك.. قالتها مبتسمة



- هل تقصدين أن أشرب من البحر إذًا؟

- مروان.. كيف سأقص عليك قصتها معنا وأنت كذّبتني في أول شيء حكيته لك؟! ولكنني لست مندهشة، فقد كنت أشعر أنك لن تصدقني، حسنًا.. افعل ما تشاء، وإن كنت تريد مساعدة الهانم فاذهب إليها، ولكن لاتلوم إلا نفسك حينها

- هل ستقتليني حينها؟

- مروان.. أرجوك كف عن التحدث في هذا الأمر.. افعل ما تشاء بعيدًا عني..

كانت وفاء في ذلك الوقت في الجزائر، تلقي عدة ندوات هناك، فانتظر قدومها إلى مصر على أحرّ من الجمر، إلى أن عادت بعد ثلاثة أسابيع وعرف أنها ستذهب إلى دار النشر في اليوم التالي، فانتظرها أمام العمارة.. وعرَّفها بنفسه مرتبكًا:

- أستاذة وفاء.. أنا أنا مروان جبر.. زوج ريهام أخت حضرتك.. هل تتذكرينني؟

نظرت له بعينين نصف مغمضتين متظاهرة أنها تحاول تذكُّره: مروان؟؟ آه آه أنت الذي كنت تعمل في مكتبة الـ...

قاطعها مرتبكًا: آه بالضبط يا أستاذة..

- مبرووووك لقد علمت بزواجكما لكن اعذرني لم أستطع الحضور، كيف حالكما، وكيف الزواج، هل هو جيد أم سيء؟ سألته مازحة

- الحمد لله يا أستاذة كله خير بفضل الله، كنت أريد أن أتحدث معك في موضوع مهم.

- لا تقل لي أستاذة، سأصعد إلى دار النشر، سأتحدث معهم في عدة موضوعات وسأنزل بعد ساعتين، أين ستكون؟

نظر حوله يمينًا ويسارًا إلى أن وقعت عيناه على جروبي: هل يناسبك الجلوس في جروبي يا أستاذة وفاء؟

- ألم أطلب منك منذ قليل ألا تقول أستاذة؟ أطرق رأسه خجلًا فأردفت: حسنًا سأحضر بعد ساعتين، انتظرني هناك..

لم يكن يصدق نفسه حين كانت جالسة أمامه هكذا، دون ندوة أو حدث ثقافي مهم. لم يكن يصدق حينها أنه يتحدث إليها بشكل طبيعي، كانت رائقة المزاج في ذلك اليوم، ليس كما يراها في ندوة لها أو برنامج ثقافي، فوجد المناخ مناسبًا في مفاتحتها في موضوع مجموعته القصصية، فطلبت منه نسخة دون اهتمام حقيقي لمسه منها. كانت جاهزة معه وأعطاها إياها ورحلَ بعدما سألته عن علاقته بريهام وشعر حينها أنها مشتاقة لمعرفة أشياء كثيرة عنهما، أراد لو يسألها عن سبب الشقاق الذي بينهما لكن جرأته لم تسعفه على ذلك، غير أنه شعر أن ما بداخلها أنقى مما بداخل أختها ريهام، أحس أنها تحقد عليها وتنقم.. بعدما تحدثا لمدة نص ساعة استأذنته لترحل، ترجّاها حين نهضت أن تقرأ مجموعته. فوعدته أنها ستقرأها في أول فرصة توقف عن كتابة روايتها القادمة.

في اليوم التالي كان كعادته في المكتبة، فوق السلم الخشبي لينظف الأرفف العلوية ويزيل التراب من فوق الكتب. دخلت المكتبة وهي تنادي عليه قائلة بدهشة: هل أنت فعلًا الذي كتبت ذلك؟ أومأ لها رأسه بالإيجاب، محاولاً عدم إبداء أي تعبير من وجهه...

صاحت قائلة: ما هذا أيها الكاتب العظيم؟ كيف استطعت وصف مشاعر المرأة بهذه الدقة؟ وكيف استطعت تطويع لغتك هكذا؟

نزل من السلم وقد شعر أن فرحة العالم كله لم تستطع أن تسع قلبه، استطردت قائلة:



- عادة لا تستهويني الكتابات الرومانسية، لكنك استطعت أن تأسرني بقلمك.. قل لي...

اقتطعت كلامها حين رأته مطرقًا وهو يمسح عينيه، اقتربت منه فلاحظت أنه يبكي، وضعت يدها على كتفه فشعرت بارتجافة طفيفة تهز جسده، أحست بوهنٍ وضعف لا يتناسبان مع هيئتّه الجسمانية، وأن رجل في هيئته هذه ويبكي لسببٍ بدا لها تافهًا، لهو أمر عظيم. هذا الضعف الذي بدا عليه جعلها تنظر له من اتجاه آخر، ربما يكون إعجاب، أو شفقة... أحدهما أو كليهما. أكملت كلامها:

- ...قل لي كيف استطعت وصف هذه المشاعر بمنتهى الدقة؟!! كيف مسح دموعه وهم ليجيبها فقاطعته: منذ هذه اللحظة أنا مؤمنة جدًا بك، وبموهبتك، وسأبذل كل ما في وسعي كي أنشر لك هذه الرائعة الأدبية، فهذا هو أنسب وصف لها.

عرضتها على دار النشر التي تنشر لها أعمالها، وبالكاد استطاعت إقناعهم بنشرها. بعد مرور شهرين على نشرها، لم يبع منها سوى خمسين نسخة فقط، فبدأت تتحدث عنها لقرّائها في ندواتها، راهنت عليه كثيرًا وكانت تعرفهم به وتخبرهم أنه الكاتب القادم بقوة. بدأ يتنسم رائحة الشهرة شيئًا فشيئًا. وبات القراء يعرفون أن ثمة كاتبًا يدعى مروان جبر. وبدأت مجموعته القصصية في الانتشار. وكل من يقرأها يتحدث عنها فيزداد الانتشار.

شجعته بعدها أن يأخذ عدة خطوات أخرى، أول خطوة أن يبدأ في كتابة رواية، فهي التي ستجعل القراء يتعلقون به أكثر، أخبرها أنه كتب رواية من قبل لكن تم حرقها، ساعدته في كتابتها من جديد، كان يلاحظ في عينها نظرات غير عادية، وفي الحقيقة بدأ يتجرأ عليها أكثر، وانهار

جدار الرهبة القائم بينهما بعد أن طلبت منه الذهاب إليها في المنزل كي يكمل كتابة روايته. في نفس الوقت الذي قدمته فيه لجمهورها وقرّائها بإحدى ندواتها. بالإضافة إلى أنها كانت دائمة ذِكر اسمه واسم مجموعته القصصية في كل حواراتها الصحفية، وكانت تشيد به.

ثمة علاقة نشأت بينهما بعد ذلك، ومقابلات كثيرة، خصوصًا بعدما ترك المكتبة وأصبح يحصل على أموال كثيرة من الكتابة، توطدت العلاقة بينهما، كان منبهرًا بها وبجمالها الآسر وجاذبيتها، ونظراتها التي ألهبت في صدره الرغبة فيها. رغم أن أختها أجمل منها، لكنه أصبح لا يرى امرأة سوى وفاء.

حدثت مقابلات كثيرة تحدّثا فيها عن كل شيء، وأخبرته بماضيها كله، وائتمنته على كل أسرارها، وهو أيضًا فعل نفس الشيء. ونشأت بينهما علاقة قوية تدرجت بعد ذلك إلى حب..!

بعدما تفرغ للكتابة وترك العمل في المكتبة وفي الشركة التي جعلته يعمل فيها، باعت ريهام ذهبها القطعة تلو الأخرى كي تنفق على البيت، كان خائفًا جدًّا من أن يفشل، ولكن اسمه بدأ يتردد أكثر داخل الأروقة الثقافية. طلبت ريهام حينها أن تعود إلى العمل كمعدة في التليفزيون مرة أخرى، لكنه رفض ذلك رفضًا قاطعًا، سألته بهدوء ما سبب رفضه فأجابها أن رفضه هذا بدون سبب. حاولت مناقشته في الأمر فانفعل عليها وضربها، وأهانها.

انتهى من إعادة كتابة روايته الأولى، واكتشف بعد نصائح وفاء أن حرقها آنذاك كان خيرًا، كل حرف في هذه الرواية كتبه أمامها، بجوارها، معها..

كل كلمة كتبها، لم ينسَ أبدًا الظروف التي أحاطته حينها، فأثناء

كتابتها احتسيا سويًّا أول كأس خمر، والذي شجعته هي عليه، فلم يكن يشرب من قبل. وأثناء كتابة هذه الرواية أيضًا لم يستطع كبح إعجابه بها، ولم تستطع منع اشتياقها له. وفي اليوم الذي صرح لها بإعجابه، كان نفس اليوم الذي ضاجعها فيه..

للمرة الأولى..

تم نشر الرواية، وانتشرت بسرعة مذهلة، داخل مصر وخارجها، وأصبحت الكتابة مصدر رزق معقول يستطيع أن يعول عليه، وأصبحت وفاء هي السيدة الأولى في حياته، بينما زادت الفجوة بينه وبين ريهام..! بعدما شعرتْ أن حياته بها امرأة أخرى، ومع الوقت أصبح نساء أخريات. لكنها لم تكن حتى تتوقع أن وفاء من بينهن..! رغم أن أحيانًا كانت تضطرم بداخلها بعض الشكوك، لكنها كانت تستبعد تمامًا أن يكون بينهما أكثر من زمالة في وسط واحد.

طلبت منه وفاء أن يطلّق أختها ليتزوجا بعدها، لكنه أخبرها كذبًا أن مؤخر صداقها نصف مليون جنيه، معتمدًا على أنها لم تحضر تفاصيل زواجهما. فاقتنعت. وقامت علاقتهما هكذا وتطورت بدون زواج إلى أن يجدا حلًّا لهذه المشكلة التي تحول دون زواجهما..

يدرك جيدًا ما يمكن أن تفعله وفاء إذا تناهى إلى علمها أن حياته بها امرأة أخرى غير أختها ريهام..! لم ينسَ يوم رأته يتحدث إلى إحدى الفتيات بعد حفل توقيعه، في هذا اليوم أكملا سهرتهما في بيتها، شربا زجاجة خمر وسيجارتين حشيش، ضاجعها بعد ذلك، وإذ بها أثناء ذلك تخدش صدره بأظافرها فأحدثت بوحشية جرحًا غائرًا، انثعب الدم إثرها، تألم حينها وحدق فيها غير مستوعبٍ، متسائلًا: لماذا فعلت ذلك، فأجابته بوجهٍ متغضن:



- فعلت هذا كي لا تنسى نفسك في المرة القادمة وتقف مع أي قارئة، أو أي فتاة عمومًا وتغازلها، يكفي تحمُّلي أنك متزوج من أكثر امرأة أكرهها، وأنها تنام بجوارك كل ليلة..! لكن احذر، احذر يا مروان، وفاء نخلة ليست السيدة التي يخونها شخصٌ أحبته.

أجابته باقتضاب قبل أن تنهض وتصب كأس بيرة وتشعل سيجارة بكل هدوء..!

***

حين وصل جروبي وجدها جالسة مع رجل غريب الهيئة لم يره من قبل، صافحهما فنهض الرجل بعد أن استأذن من وفاء. جلس قبل أن يسألها من هذا الرجل، فقالت له إنه أحد الناشرين الجدد يريد أن ينشر لها روايتها القادمة، والتي لا تستطيع كتابة حرف فيها رغم وجود الفكرة لديها.

- لماذا لا تستطيعين كتابة روايتك الجديدة؟

- كيف أكتب وعقلي مشغول بمئة شيء، أولهم بُعدك عني خلال الفترة السابقة.. ماذا بك يا مروان؟!

أشاح بوجهه بعيدًا كي لا تلتقي عيناه بعينيها، فأعادته إليها بأناملها مرة أخرى.

- انظر لي.. انظر. - قالت بنبرة خفيضة رغم حدتها - انظر لي يا مروان، هل تخبئ عني شيئًا، انظر، أنا وفاء نعمان نخلة، هل تعرف من هي وفاء نعمان نخلة؟!! أنا التي تنازلت عن كبريائها إرضاء لك.. لك وحدك!!

أطرق مرة أخرى فأعادته إليها: ما الذي غيَّرك هكذا؟!!

- لم أتغير يا وفاء، كل ما في الأمر هو أنني مللت من حياتي مع

زوجة لا أحبها، ربما أكون مخطئًا، وربما أكون قد ظلمتها بالزواج منها، ولكني فعلًا مللت، ولست راضيًا عن أن حياتي ستمر هكذا.

- إذًا طلقها، ما المانع لديك؟! نظر لها مندهشًا رافعًا حاجبيه فتذكرت «آآآآه لقد نسيت، نصف مليون جنيه مؤخر الصداق، هل كنت سكيرًا حين كتبت على نفسك هذا المبلغ؟ هل يوجد رجل في الدنيا يفعل ما فعلت أيها المغفل؟!

أطرق فأعادته إليها مرة أخرى: ما هذا؟ لماذا تهرب بعينيك مني هكذا يامروان؟!! مروان، هل يوجد شيء آخر تخبئه عني؟ هل خنتني؟!

- أمعقول بعد كل هذا الذي حدث بيننا وتشكين في حبي لكِ أو تظنين أنني أخونك؟! أنت تعلمين جيدًا أنكِ سر حياتي، والهواء الذي أتنفسه.

- كنت أصدق هذا الكلام قديمًا، حين كنت مروان المرتجف، مروان الذي يحلم أن يلمح طيفي عابرًا أمامه، أما الآن فأشك في كلامك..

- كيف؟!

- قل لي أولًا ولا تتهرب من سؤالي.. هل أقمت أي علاقات في الفترة السابقة؟.. قل لي الصراحة.

- أفيقي يا وفاء، فعلاقتي معك أصلًا خيانة..! فأنا أخون زوجتي معك، زوجتي التي هي أختك، وأنتِ تخونين أختك معي، أختك التي هي زوجتي.. أمسك يدها «انتِ زوجتي الشرعية يا وفاء وليست أختك، أنتي التي أحبها وأعشقها وبسببك لم ألمسها قط.

- لم تلمسها قط؟!! وكيف أنجبت منك إذًا؟

- كانت غلطة.. أقسم لكِ..

- حسنًا.. عدني يا مروان أن نصلح الحياة من حولنا لنتزوج، ونفكر في أي شيء لنتفادى مؤخر الصداق الضخم الذي كتبته على نفسك.



- اتركي هذا الأمر الآن.. وسنفكر فيه فيما بعد.. لأنني الآن مرهق، حاولي أن تكتبي وتستكملي روايتك الجديدة.

- وأنت حاول أن تقلع عن الدواء الذي تأخذه، فقد كنت مخطئة حين طلبت منك ألا تقلع عنه.

- إن شاء الله.. سأذهب أنا الآن لأنني أريد أن أنام..

- تعال معي الآن، فالبواب ليس جالسًا عند باب العمارة، سافر البلد و..

- لالالا ليس اليوم.. فأنا مرهق.. وسنعوّضها يومًا آخر.

***

حين وصل إلى البيت، قبل أن يلج المفتاح في الباب. تفاجأ، حين وجد الملاءة داخل سلة المهملات أمام الباب، إنها الملاءة التي كان نائمًا عليها مع وفاء حين رأتهما ريهام.. لمح من خلال ثقب العين السحرية أن الشقة مضاءة من الداخل على عكس ما تركها، فأدرك أن ريهام قد عادت إلى المنزل، دعا الله أن تكون نائمة، وألا تتشاجر معه إن كانت مستيقظة.

فتح الباب ودخل الشقة محتقن الوجه، تسلل إلى أنفه عبق رائحة حضورها يملأ المكان، فرغم كل شيء، وجودها له رائحة معينة لا تخطئها أنفه. وجدها مستلقية على جانبها الأيسر، يتدلى منها ثديها وهي مبتسمة تراقب طفلها وهو يقاوم برأسه وكفيه الصغيرين كي يضع حلمة ثديها في فمه الصغير الشبيه بمنقار عصفور وليد. وقف يحدق فيهما بوجهٍ متجهم شارد. رمقته ريهام لثوانٍ فانتبه لها مقتربًا منها. أعاد خصلة منحرفة عن شعرها إلى مكانها ولازال ساهمًا لدقيقتين، تركها بعد ذلك ودخل الحمام، دخن بالداخل سيجارتين وأخذ دشًا وخرج فرآهما على

نفس الوضع. غير أن الصغير قد نام، استند بكوعه على الباب وعلق نظره عليها دون أن ينبس بكلمة، فبدأت هي الحديث وهي ترمقه بنظرة لوم تحجب ما تداريه بداخلها من انكسار وهوان.

- انصت جيدًا لما سأقوله يا مروان، لا توجد امرأة في هذا الكوكب تستطيع أن تحتمل رؤية ما رأته، ولن تجد امرأة لديها قلب كبير مثل قلبي، أنا عدت فقط لأنني أحبك، وألقيت بكرامتي في سلة القمامة التي أمام باب المنزل قبل أن أدخله.. هل لديك العقل الواعي الذي يعي هذا الكلام أيها الكاتب الكبير.. أم لا؟!

- لا تحاولي أنتِ إقناعي بأنك عدت لأنك تحبينني فعلًا، أنا أعلم جيدًا أنكِ هنا الآن كي تسلمي من شماتة أمك فيكِ لو علمت أنك أصبحتِ مطلقة، ولا تحاولي إقناعي أنكِ لست زوجة نكدية تعشق الهم والاغتمام، تستريح حينما ترى الشجار يملأ البيت.. وللعلم. أنا بالفعل على علاقة بوفاء، ولا أدري إلى متى سنكون مع بعضنا البعض، كذلك لا أدري إلى أين ستنتهي علاقتنا، وكيف! وبالمناسبة، أنا أقيم علاقاتٍ أخرى غيرها» قال الجملة الأخيرة وهو يستحضر في خياله ياسمين الإتربي وجسدها الثائر المثير، وآهات نهال التي لازالت تتردد في مسامعه إلى الآن. استطرد وهو يضع يده على شعرها بسماجة:

تأكدي يا ريـ.. أبعدت يده عنها بانفعال، فسكت لهنيهة مغمضًا عينيه ثم أردف:

- تأكدي يا ريهام أنني حاولت أن أصلح ما بيننا كثيرًا لكنني فشلت، أعترف أنني فشلت في أن أكون مخلصًا لكِ وجعل هذا البيت قائمًا، لا أريد أن أعرف السبب، ولكن من المؤكد أن هذا السبب هو بكل بساطة أنتِ.

قالها ثم ذهب إلى الغرفة الأخرى، جلس على حافة السرير قائلًا لها بصوتٍ عالٍ كي تسمعه: إن كنتِ تريدين حقك الشرعي تستطيعين المجيء إليَّ في خلال ربع ساعة قبل أن أنام

- لا أريده منك يا مروان حتى لو كنت في أشد الحاجة لذلك، فأنا لست امرأة لعوب رخيصة تتسكع في شارع الهرم.. صاحت بصوتٍ أعلى غير آبهة بالجيران.. شعر مروان حينها أنه قد تمادى في إهانتها. وأنه لم يكن من الصواب أن يتحدث معها هكذا ويهين كرامتها بهذه الكلمات الجافة. شعر بالندم دقيقتين أو ثلاث قبل أن يمدد جسده. لم تكد تمر دقيقة، حتى سمع صوت نغمة ورود رسالة إلى هاتفه الذي نسيه على الكومود..!

قالت بصوتٍ عالٍ: يا حضرة الكاتب العظيم، الست ياسمين هانم، تخبرك أنها تفتقدك جدًا وتفتقد حضنك، وتريد أن تعرف هل غدًا سيناسبك أم لا..!

انتفض من مكانه وخطف منها الهاتف ليتأكد من الرسالة وهو شارد الذهن، دلف الغرفة الأخرى قبل أن يمسك الهاتف بعصبية كي يرسل لياسمين رسالة توبيخ يخبرها فيها أن كل شيء بينهما كأن لم يكن.. كتب:

«ما هذا الذي تفعلينه أيتها الغبية العاهرة الحمقاء..؟! كيف تعطين الحق لنفسك أن ترسلي إليَّ رسالة وأنا في البيت؟! لك فاعلمي أن كل شيء بيننا اعتبريه انتهى، ولا تحاولي الاتصال بي مرة أخرى..»

لم يكد يضع سبابته فوق زر «إرسال» حتى علق يده لدقيقتين فكر فيهما في عدة أمور جعلته بكل بساطة لا يرسل الرسالة، وحذفها ليكتب بدلًا منها:

«أنا أيضًا أفتقدتك يا ياسمين، وأفتقد حضنك جدًا. سنتقابل غدًا في

تمام الساعة الخامسة في جروبي بوسط البلد..»

علق سبابته هذه المرة أيضًا فوق زر «إرسال».. وأخذ يفكر، هل يرسلها أم لا؟ ظل حائرًا بين نعم ولا إلى أن قرر حذف الرسالة. وفي الوقت الذي أغمض فيه عينيه قبل أن يضغط على زر «حذف الرسالة»، فتح عينيه مرة أخرى وضغط بسرعة على «إرسال» ليتم إرسال الرسالة بسلام إلى ياسمين..!

في قرارة نفسه، لا ينكر أنه شعر ببعض الندم بعد إرسال الرسالة، ظل يفكر في هذه الحالة الغريبة التي هو عليها، والتي كانت بسيطة في السابق وأصبحت الآن مشكلة كبيرة، تكبر وتكبر كل مدى حتى استوحشت بداخله وأصبح لا يستطيع مقاومتها. شعر بالندم على إرسال الرسالة لأنها ستفتح له بابًا أمام علاقة جديدة، علاقة ندمَ أنه بدأها أصلًا. فقد قرر أن ينهي كل علاقاته القديمة، ويعيش فقط لوفاء بشكل أساسي، وريهام وابنه إلى أن يطلقها أو يتفق معها على قواعد ولوائح معينة لحياتهما! فكيف يبدأ علاقات جديدة تزحم حياته وتوتره؟!

قرر في داخله أن يعيش بأي شكل مع زوجته وابنه ويتفرغ لتربيته وحقن أوردته بمبادئه - الحسنة فقط - وفي الجانب الآخر لا يقيم أي علاقة سوى بوفاء، لكنه حين يقرر ذلك، يعود ليتذكر أي فتاة أو سيدة تحاول التقرب منه فيحاول إنشاء علاقة معها.. اغرورقت عينيه وتلفت يمينه ويساره باحثًا عن ورقة وقلم وأخذ يكتب..

«ألا لعنة الله على الفضول، الذي يعيش بداخلي ويحثني على المضي قدمًا في هذه العلاقة، بعد أن أوهمني أنني قوي وأستطيع إنهاءها في أي وقت.. والحقيقة هي أنني ضعيف أمام أي جسد أنثوي جديد.. لعنة الله على الفضول الذي يحثني أن أتذوق جسد ياسمين الجائع، وأن أنهل من

نهر حنانها الذي لم يجلس على ضفتيه أحدٌ قبلي كما أخبرتني، سأختبر صدق كلامها ووعودها لي. سأحصل على كل ما وعدتني به، وبعدما أحصل عليه وأنتهي منها أعود أدراجي بمنتهى البساطة إلى أسرتي وعشيقتي..فقط.. لا غير! ولكن، هل ستصفح عني ريهام مثلما فعلت في كل مرة؟!»

تلفت حوله كالمجنون حين سمع صوتًا لا يعلم مصدره، يجيبه: «نعم ستصفح عنك» وصوتًا آخر يقول «لن تصفح عنك، لأنها ببساطة تخونك مثلما تخونها، وتأخذ من رجل آخر ما يستوجب أخذه منك، بدليل أنها أخبرتك منذ قليل أنها ليست محتاجة لك» هز رأسه مؤكدًا الصوت الذي سمعه أولًا وكأنه طوق نجاه، غير مكترث بالصوت الآخر. ربما لأن هذا ما يرضي ضميره.. «نعم ستصفح عني» علاوة على أنه يعرف بالفعل كل نقاط ضعف ريهام، وأنها تحبه الحب الذي سيجبرها حتمًا على نسيان كل ما فعله.. وما سيفعله..!

وضع الورقة والقلم على الكرسي بجانبه قبل أن يغمض عينيه ويشرد بعيدًا يفكر في كل ما سبق، ثم هز رأسه مرة أخرى وهو يقول بصوتٍ خافت لم يتعد أذنيه: نعم.. نعم ستصفح عني وستسامحني. وياسمين ستكون آخر علاقة إن شاء الله..!

سكت هنيهة ثم أردف .. «ونهال أيضًا»..!

***

في صباح اليوم التالي..

اليوم الذي لن يكون عاديًا...! ولن يمر على أحد بسلام

لم يعرف مروان حين استيقظ أن هذا اليوم لن ينساه طوال عمره، وأن حياته بعده ستنقلب، بحق. رأسًا على عقب...!

استيقظ وأخذ حمامًا قبل أن يدلف المطبخ ليعد ثلاثة أكواب قهوة ويدخل بهم إلى غرفة مكتبه ليعمل على روايته الجديدة، والتي كان يشعر تجاهها بخوفٍ شديدٍ، وجفَّ بئر السرد العميق الذي كان ينهل منه عند كتابة رواياته السابقة. والآن كلما يمسك قلمًا ليكتب يجد نفسه شاردًا، غريبًا عن شخوصه الجُدد، لا يستطيع التكيُّف والاندماج معهم مثلما كان يفعل من قبل مع أي رواية سابقة، وكثيرًا ما تهرب منه الأحداث والشخوص فلا يستطيع الإمساك بهم والتحدث بالنيابة عنهم، فلا يشعر أنه منهم..!

ظل سارحًا لوقتٍ طويل في الورقة البيضاء. يرى فيها صورة زوجته وهي تبكي، ووفاء أختها تتوعده وهي تنظر له بعينين يتطاير منهما الشرر كحمم بركانية، إن أقام علاقة أخرى. أبعد وجهه مُتأففًا عن الورقة البيضاء ناظرًا إلى الجدار لثانيتين قبل أن يُعيد نظره إلى الورقة مرة أخرى. رأى فيها طفلًا في السادسة من عمره يتلصَّص النظر عبر فتحة صغيرة في باب غرفة النوم المغلق ليرى والدته على الفراش مع رجل غريب أثناء سفر والده، أغمض عينيه فرأى ذلك الطفل في ظلمة جفونه؛ يفتح الباب، فارتعد بينما انتفضت والدته والرجل الذي يضاجعها.. رفع رأسه لأعلى وفتح عينيه ناظرًا إلى السقف فرأى عينيهما وقد ملأهما الرعب والذعر حين اكتشفا أنه يراهما.. أمسك رأسه بكلتا يديه وضغط بهما على رأسه الذي كاد ينفجر من فرط الألم إلى أن اختفى المشهد من أمامه.

أطرق ومدَّ يده ليخرج سيجارة من العلبة فانتفض من مكانه حينما رأى أمامه الرجل ذا الجلباب الأبيض وقد أمسك العلبة قبله، نظر إليه مبتسمًا وأخرج منها سيجارة ووضعها في فمه ليشعلها ثم أعطاها لمروان

الذي لم يمد يده ليأخذها منه، مكتفيًا بتثبيت نظره عليه ولكن بجفنٍ مرتعش وعينين جاحظتين يملأهما الخوف. فوضع الرجل السيجارة بين شفتي مروان رغمًا عنه وجلس أمامه ينظر له مليًا بعينين واثقتين ثابتتين، بنظرات جادة..

لم تمر ثوانٍ حتى أطلق ضحكة كان يكتمها، ارتج لها قلب مروان هلعًا.. بادر الرجل بسؤال:

- ماذا بك يا مروان؟ كتم ضحكته مرة أخرى وهو يسأله: لماذا لا تستطيع الكتابة يا حبيبي؟

- كيف تصل بك الحماقة أن تأتي لي هنا؟ هل تعلم ما يمكنني فعله لك الآن؟

ضحك الرجل بصوتٍ عال «وماذا ستفعل بي أكثر مما فعلته في روايتك الأخيرة؟ قتلتني بست رصاصات وجعلت زوجها يمسك بي ويقبض عليَّ ويمثل بجثتي.. ألم تشفق عليَّ.. ألم يؤنبك ضميرك وأنت تكتب ذلك المشهد؟!

- أشفق على من؟ عليك أنت؟!! وماذا عني أنا الذي لم أجد من يحنو ويشفق عليَّ؟ أشفق عليك؟! كيف أشفق على شخص حقير وضيع يضاجع امرأة متزوجة، وفي بيتها، على سرير زوجها.. ماذا تظنني فاعلًا بك غير ذلك.. كان يجب أن يأتي زوجها ويقتلك بمئة رصاصة وليس ستة فقط..! لم أفعل معك شيئًا سوى القصاص العادل.. وهو قتلك ولولا أنني كنت صغيرًا حينها لكنت قتلتك.

- لماذا؟ لماذا كان يجب عليك قتلي؟.. سأله صارخًا، هل لأنني ضاجعت امرأة متزوجة؟ ألم تضاجع وفاء نخلة عشرات المرات بل مئات؟»



«ضاجعت وفاء عدة مرات. لا أنكر، ولكنها ليست متزوجة!»

- وهل سألت نفسك لماذا هي ليست متزوجة إلى الآن؟ ألم تعدها كذبًا بأنك ستتزوجها بعد أن تطلق أختها؟ فقدت عذريتها تحت جسدك بعدما صنعت من فشلك شخصًا ناجحًا مشهورًا، وبعد كل هذا لم تفِ بوعدك معها يا ابن الكلب؟!

- هذا الموضوع له جوانب كثيرة لا تعلم عنها أنت شيئًا.. أنا أتحدث معك الآن عن امرأة متزوجة أيها الأحمق.. أمي

- إن أردت الحقيقة، فلا يوجد أحمق في هذه الغرفة غيرك يا مروان، هل تعلم كم امرأة متزوجة أقمت معها علاقة وضاجعتها؟ سواء قارئة أو صحفية أو حتى موظفة بمكتبة أيها الأديب الكبير العظيم؟!! قالها ساخرًا كأنه يؤدي دورًا شكسبيريًا على خشبة المسرح. أردف: ثم إنك بعد يومين أو ثلاثة أيام ستضاجع ياسمين.. ها ها ها الأرملة، التي لديها ابن

- إنها أرملة كما قلت وليست متزوجة، ثم من قال لك إنني سأضاجعها؟ أتحداك أنني لن أفعل ذل...

قاطعه بنبرة يملؤها التحدي: أنا الذي سأتحداك أنك ستفعل.. هل تود أن نعقد صفقة؟

- ؟؟

- انظر وانصت لي جيدًا.. إن كنت تريد ألا أظهر لك مرة أخرى، أمامك حل من اثنين، إما أن تضاجع ياسمين أو أي امرأة أخرى متزوجة، في وجود ابنها الصغير، مثلما فعلتُ معك قديمًا وأنت صغير.. ها ها ها تذكر ذلك طبعًا.. وإن لم تستطع فعل ذلك، فعلى الأقل تضع هذا المشهد في روايتك الجديدة، وأكون أنا البطل فيه، ولكن دون قتلي..

ساد الصمت بينهما لهنيهة ثم نظر الرجل لأعلى وهو يحكّ ذقنه بيده ويستطرد كأنه يقرأ صفحة من رواية ما «وظل يضاجعها..» صرخ مروان متألمًا فأردف الرجل «.. بينما كان ابنها يرى كل شيء من بين خصاص باب غرفة النوم..» وقف مروان واضعًا يديه على أذنيه كي لا يسمعه، لكن الرجل أكمل مردفًا بصوتٍ أعلى اخترق سمعه «..ومنذ ذلك الحين، والطفل لم ينس كل ما رأته عيناه، والمشهد يتكرر أمامه مرات ومرات، وظل عائشًا طوال حياته بهذه العقدة التي..»

صرخ مروان في وجهه بأعلى صوتٍ لديه حتى تشققت حنجرته «اسكت.. اسكت.. لا تتفوه بحرفٍ آخر..» جلس الرجل على أحد الكراسي وأردف بنبرة أبطأ معلقًا عينيه بعيني مروان «..حتى بعدما كبر وأصبح كاااااتبًا عظيمًا، كان دائمًا يضع هذا المشهد في رواياته، أو مشاهد مشابهة بأكثر من زاوية في أكثر من موقف..»

وقف ودبّ بقدمه على الأرض منفعلًا كطفلٍ صغير وهو يأمره بالسكوت حتى أمسك بفنجان القهوة وألقاه عليه، في نفس الوقت الذي دخلت فيه ريهام وقد وقفتْ مشدوهة أمام الفنجان المحطم على الأرض، والقهوة التي انسكبت على الكرسي فلطختـه، بينما كان مروان واقفًا مُنتصبًا واضِعًا يديه على خصره وبالكاد يلتقط أنفاسًا لاهثة كأنه كان يعدو ألف ميل، شاخصًا ببصره صوب الكرسي الفارغ، والذي لا يجلس عليه أحد، انتقلتْ ريهام بعينيها إلى مروان وظلت تنظر إليه بنظراتٍ خالية من أي معنى، قبل أن تعود لغرفتها مرة أخرى دون أن تنبس..!

نادى عليها فلم تجب، ثارت ثائرته وهرع وراءها منفعلًا حتى لحقها عند باب الغرفة بعد أن أغلقته على نفسها من الداخل، حاول

دفعه لكنها قاومته وأغلقته بالفعل، أطرق عدة مرات فلم تفتح الباب. وهي تعرف جيدًا أنه يكره الأبواب المغلقة. أطرق عدة مراتٍ أخرى فلم تجب، ثار أكثر وأكثر وغلى الدم في عروقه. دفع الباب بكتفه مرتين وانفتح في الثالثة بقوة وانكسر معه الزجاج. دخل وأمسك شعرها بقوة ولف جدائله على كفه وهو يسألها:

- كيف تدخلين الغرفة وتفتحين الباب دون أن تطرقي أولًا؟ ولماذا كنتِ تنظرين لي هكذا؟ وكيف تعطين الحق لنفسك أن تغلقي الباب في وجهي وأنتِ تعلمين جيدًا أنني أكره تلك الفعلة؟ وكيف أصلًا أنادي عليكِ ولا تردين؟!!

لم تستطع الرد من فرط الألم الذي كانت تشعر به وأخذت تصرخ وتتأوه، تركها وكرر عليها نفس الأسئلة بانفعالٍ أكبر، لم تجبه واكتفت بنظرة احتقار، أمسك ذراعها بقوة:

- هل تظنيني مجنونًا؟ أنت لا تعلمين مع من أتحدث.. بل تظنين أصلًا أنني قد جننت وأصبحت أتحدث إلى نفسي.. أليس كذلك؟!

قالت له بينما تتألم: لا يهم مع من كنت تتحدث، المهم أنك قلت بلسانك إنك ضاجعت وفاء عدة مرات.. هذا... هذا ما يهمني.

جذبت ذراعها بقوة فأفلتته من قبضته وقالت له وهي تبكي: وعمومًا.. أنا أعلم جيدًا أنك لم تكن بمفردك.. أنت تتحدث إلى شيطانك الذي أرسله الله لك كي يخلّص منك كل ما فعلته بي.. أرسله لك كي تواجه به خيانتك لي مع جميع السيدات القذرات اللائي أقمت معهن علاقاتك الحيوانية.. وهذا الشيطان ليس سوى نفسك، أنت.. أتعلم يا مروان.. الرجل الغالي هو الذي تنجذب إليه النساء وهو لا يعيرهم أدنى اهتمام إخلاصًا لشريكته، أما أنت فرخيص.. أسكرتك



الشهرة فنسيت من تحملتك طيلة ستة أعوام وجعلت منك ذلك الرجل، أبهرتك أجساد النساء من حولك وكلامهن المعسول لك فعميت عن أشياء كثيرة واجبة عليك. أنت مشاع يا مروان.. جسدك كجسد أي حيوان، مشاع لأي حيوانة تصادفها في حياتك البائسة، فالكلب لا يتردد لحظة إن صادف كلبة أغرته على قارعة الطريق أن يعتليها و...

لم تكمل جملتها حتى انهال على وجهها بالصفعات وسقطت على الأرض باكية، منهارة..

- ماذا تقصدين بعلاقاتي الحيوانية؟ هه... أنا حيوان؟ هذا الحيوان وافق على مضض أن يتزوجك ويرضى بكِ، هذا الكلب هو الذي عاش معك أسود ست سنوات في حياته، هذا الحيوان ارتضى العيش مع إنسانة جاهلة سطحية مثلك أيتها المغفلة..

- أصبحتُ الآن امرأة سطحية وجاهلة، هذه المرأة كنت تقول لها يومًا ما يا أستاذة، هذه المرأة كانت لامعة يومًا ما قبل أن تعرفك فأطفأتها، هذه المرأة رفضت أن تخونك عشرات المرات، ليس فقط لأنها تحبك، ولكن لأنها نشأت في بيت سيدة أحسنت تربيتها، هذه المرأة ارتضت الذل والمهانة لأنها للأسف أحبتك..

ركضت كالمجنونة إلى باب الشقة وأطرقت عليه بعنف بينما انهارت أكثر في البكاء، أردفت: وفي النهاية لم تترك صديقة أو جارة إلا وخنتني معها، وكثيرًا ما سامحتك..! وحين انتهيت منهن جميعًا خُنتني مع أكثر شخص ظلمني في هذه الدنيا، أختي، ومع ذلك أيضًا سامحتك! لتضربني في النهاية، مثلي مثل أي عاهرة وجدتها تحت أحد أعمدة الإنارة في شارع جامعة الدول العربية..

لم يستطع أن ينطق بكلمة، استطردت وهي تمسح دموعها بباطن

كفها: أنت لست مُخطِئًا يا مروان... ضربت الحائط المجاور لباب الشقة بكفها عدة مرات بانفعال وهيستيريا وهي تستكمل كلامها صارخة: أنت لست مخطئًا، فأنا التي تستحق ذلك، وأنا التي يجب عليها تحمل قرارها وضعفها وهوانها..

أطرق رأسه، فهرعت إلى المكتبة ملتقطة إحدى الجرائد من الرف ملوّحة أمام عينيه:

- الكاتب العظيم مروان جبر، والذي يتشدق ليل نهار بحقوق المرأة ويناهض العُنف ضدها في قاعات مؤتمرات أفخم الفنادق، يضرب زوجته المتعبة النفساء.

رمت الجريدة بقوة ناحيته مردفة: مروان الكاتب العظيييم يُضاجع الكاتبة الكبيرة، وفاء نخلة أخت زوجته، وأكثر شخص يكرهها وأكثر شخص ظلمها.. وبرغم سكوت زوجته الغبية التي رأتهما معًا في فراشها، عادت له وسامحته ثم ضربها وأهانها..! لست مخطئًا يا مروان.. أنت لست مخطئًا صدقني..!

ساد الصمت بينهما للحظات قبل أن يقول لها مروان:

- هل تصدقين نفسك فعلًا أنكِ عدتِ إلى بيتك لأنك الزوجة المضحية؟.. أنتِ كاذبة، أنتِ عدت كيلا تشمت أمك فيكِ، كيلا تنتصر عليكِ وفاء وتأخذني منكِ.. أنتي عدتِ يا أستاااااذة ريهام كيلا تجدين نفسك مُطلّقة، وحيدة، مشردة ليس لكِ أحد، لن تجدي من يتزوجك أو يرتبط بكِ بعدي، ولن تشعري بالأمان حين تواجهين الحياة والمجتمع كمطلقة، وبعيدة عن حياتي ككاتب صاعد مشهور

- وهل أنا الآن أشعر بالأمان؟!!.. لم أشعر معك لحظة واحدة بالأمان يا مروان، وبالنسبة لكونك كاتبًا مشهورًا فأعدك أن شهرتك

ستخبو قريبًا جدًّا حين يكتشف أي رجل علاقتك مع زوجته.. وتكون فضيحتك على كل الألسنة

لم يجد أي كلمة يتفوه بها ليدافع عن نفسه، فكل ما قالته صحيحًا.. استيقظ الصغير فنهضت وحملته لترضعه قبل أن تصرخ في وجه: اخرج من هذه الغرفة، لا أستطيع رؤيتك. نظر لها واهنًا دون أي رد فعل، فدفعته بكلتا يديها خارج الغرفة: قلت لك اخرج.. اخرج... صرخت، فخرج ووارب الباب.

دخل المطبخ ليعد كوب قهوة آخر، وعاد إلى غرفته ونظف الكرسي والأرضية من القهوة التي ألقاها قبل أن يجلس ليستأنف الكتابة مرة أخرى، شرد يفكر في أحداث الرواية الجديدة، فتجسد الرجل أمامه مرة أخرى لكن مروان لم يعره انتباهه قيد أنملة، وكتب صفحتين خاليتين من أي جماليات، لكن على أي حال يجب أن يكتب أي شيء، حتى لو كان يعلم أن الذي سيكتبه الآن سوف يذهب أدراج الرياح بعد ذلك، أو سيستبدله حتى..! أهم شيء ألا يضيع في دوامة عقدة الصفحة البيضاء التي تصيب بعض الكتاب.. والذي كان يرعبه مجرد التفكير فيها.

بعد ساعة ونصف اتصلت به نهال، تخبره أنها زعلانة منه، لأنه لم يتصل بها منذ آخر مرة كانت في بيته ولم يسأل عليها..

- معذرة يا نهال، فقد كنت مشغولًا جدًّا في الفترة السابقة

- لن أقبل اعتذارك حتى تصالحني.. قالتها في غنج أثاره

- وكيف أصالحك إذًا؟ سألها مبتسمًا وكأن لم يكن حدث شيء منذ قليل..

- إن كنت تريد حقًّا مصالحتي، فلنتقابل اليوم، سأكون في مكتبك بعد ساعة من الآن.



- لا لا .. مكتبي اليوم مغلق، لن تستطيعي المجيء

- حسنًا، سأقابلك في المهندسين، أو تعال إليَّ هنا في بيتي، ما رأيك؟

لمعت عيناه، وشعر حينئذٍ أنه فعلًا يحتاج إليها الآن، أردفت بنبرة مبتهجة: زوجي ذهب اليوم إلى مأمورية في الصعيد، وابني سأرسله إلى أمي حالًا

- مأمورية؟ ماذا يعمل زوجك؟

- ضابط شرطة

- مممممم.. ازدرد ريقه وقد ومض في أقل من ثانية مشهد رؤيته لأمه مع ذلك الرجل، تذكر حينها كلامه حينما طلب منه منذ قليل مضاجعة ياسمين أو أي امرأة أخرى في وجود ابنها..

- ليس ضروري أن ترسلي ابنك إلى والدتك، كم عمره؟

- ست سنوات يا حبيبي..

- حسنًا، اتركيه معنا في الشقة، واجعليه يخلد إلى النوم قبل الساعة العاشرة مساء، سأحضر عندك في ذلك الوقت

- سأحصي الساعات والدقائق إلى أن أراك.. اكتب العنوان

بعدما أخذ منها العنوان، نظر في ساعته فوجد أن أمامه ساعة ونصف على موعده مع ياسمين، قضى منها نصف ساعة في إجراء بعض التعديلات فيما كتبه. دلف بعدها المطبخ، أخذ من الثلاجة تفاحة أكلها وهو يعد فنجان قهوة ليحتسيه مع سيجارة وهو يرتدي ملابسه، وانطلق بعدها إلى جروبي بوسط البلد..

وصل في الموعد تمامًا، فوجد ياسمين جالسة، عاقدة أصابعها تحت ذقنها تنتظره، أقبل عليها فنهضت، ونهضت معها جميع مفاتن جسدها التي لا يخفيها الفستان الرائع الذي ترتديه، صافحها وجلس أمامها



يتأمل في حسن وجهها الصبوح، والخصلة التي انحرفت عن شعرها وانسدلت على جبهتها لتخفي جزءًا من عينيها السوداوين الواسعتين الساحرتين، واللاتي كانتا تنظران له بشوقٍ وولعٍ ووله شديد.. نظر لها وانطلقت منه نصف ضحكة تنم عن اندهاشه من تصرفاتها معه، بادرتْ بالكلام:

- أعلم جيدًا يا حبيبي أنك مازلت لا تصدقني، ولست مستوعبًا مقدار حبي لك، أليس كذلك؟

- الأمر ليس كذلك بالضبط، أنا أعلم أنك تحبينني، أو بالأحرى تحبين ما أكتبه، تحبين فيَّ إحدى شخوص رواياتي. لكن تحبيني شخصيًا..! فالأمر يحتاج لوقت كي أستوعبه على الأقل.. أشاح بوجهه بعيدًا لهنيهة يفكر فيما سيقوله ثم التقت عيناه بعينيها مرة أخرى وأردف: ماذا تعرفين عني يا ياسمين؟

- أعرف عنك كل شيء، أنا امرأة ذكية يا مروان..

أمسكت يديه: يكفي أنني أعلم جيدًا أنك تفتقد الأمان والسكينة في بيتك

انطلقت منه ضحكة أخرى: هذا ليس بجديد.. فأنا الذي أخبرتك بذلك آخر مرة قابلتك فيها..

- كنت أعلم ذلك قبل أن تخبرني يا حبيب قلبي، فبرغم ابتسامتك الدائمة وضحكتك في لقاءاتك التليفزيونية لكنني لمحت في عينيك حزنًا دفينًا، أنا فقط التي أستطيع أن أنتبه له..

ظلت تتحدث إليه لساعةٍ كاملة، وتصف شعورها له، بينما كان شاردًا في الرجل الجالس خلفها ويضحك بصوتٍ عالٍ. نظرت له شزرًا قبل أن ينفض رأسه ويدلك عينيه حتى ينقشع بعيدًا عنه وعن مخيلته.



قطعت ياسمين حديثها ونظرت وراءها فلم تجد شيئًا ثم نظرت إليه مرة أخرى لتسأله باندهاشٍ إن كان بخير، فأجابها بإيماءة من رأسه قبل أن يقول لها بلسانِ المسكنة..

- دعك من الأمان والحنان والاستقرار الذين أفتقدهم، فأنا منذ وقت كبير أعوّد نفسي على ذلك وأحاول أن أمتثل للأمر، وراضٍ تمامًا أنني سأعيش وأموت على هذا الحال، ولا مشكلة لديَّ في ذلك. المشكلة الحقيقية الآن، والتي تمنعني جديًا من التعلق بكِ، هي أنني كيف سأصنع بيتًا ثانيًا وحياة ثانية؟

- مثل كل الناس..! قالتها بلا مبالاة..

- أي ناس يا ياسمين..!! لذلك قلت لك إنك لا تعرفين عني أي شيء، أنا تركت عملي منذ عامين بعدما تفرغت تمامًا للكتابة، الكتابة التي لا أقتات منها سوى الفتات..! لا تغرنك هذه الشهرة الكاذبة، فأنا بالكاد أستطيع أن أعول زوجتي وابني، كيف سأنفق عليكِ لتعيشي في نفس المستوى الذي تعيشين فيه؟ عقدت أصابعها مرة أخرى تحت ذقنها وقد ارتسم على صفحة وجهها ابتسامة ممزوجة بثقة فاستطرد مروان..

- هذا بعدما نفترض أنني استطعت تدبير نصف مليون جنيه، مؤخر الصداق كما تعلمين

أجابته بهدوء يشف عن استعدادها لكل ما أخبرته به في الأمس: كل ما قلته للتو لا يمثل عندي أي شيء، مبدئيًا لا تقلق بخصوص هذا المبلغ اللعين الذي يمثل شوكة في ظهرك، أما بالنسبة لباقي الماديات، فأنا مستعدة لتحمل كل شيء، كل شيء حرفيًا. الأهم من كل ذلك هو أنني أشعر أنك تحبني بالفعل يا مروان، تحبني من كل قلبك وأن تكون على أتم استعداد أن تفعل أي شيء لأجلي..

- ألا تشعرين بحبي لكِ في نظرة عيني الآن؟ أمسك يدها فسألته بلهفة: حقًا يا مروان، هل تحبني حقًا؟!

- نعم يا ياسمين، ولن أحبك بمفردك، سأحب كل شيء ينتمي لكِ، أولادك، أصدقاءك، أهلك. أشعر أن الدنيا ستصالحني بكِ

- أنا التي أشعر أن الدنيا ستصالحني بك يا مروان، أتمنى الآن أن ألقي بنفسي داخل حضنك وأبكي إلى أن تجف دموعي تمامًا، دموعي التي كبحتها وسجنتها بداخلي طوال سنواتٍ كثيرة، وأحكي لك عما حدث لي طوال كل هذه السنوات السوداء التي قضيتها مع رجل خائن..

قبّلت يده ثم سألته كالتي تذكرت شيئًا: كم عمرك ياحبيبي، كل مرة أريد فيها أن أسألك عن عمرك، أنسى.

لوى فمه امتعاضًا: لماذا تريدين معرفة عمري، أخبريني أنتِ أولًا كم عمرك ثم سأخبرك بعدها... سألها وهو يعرف مُسبقًا أنها تكبره بخمسة أعوام على الأقل، وبالفعل أخبرته أن عمرها خمسة وثلاثون عامًا.

خمسة وثلاثون عامًا...

في قرارة نفسه، يعرف جيدًا أن المرأة في هذا السن تبدأ في التفكير عن عمرها فيما أهدر، تحصي كل لحظة، وتحسب كم ثانية عاشتها سعيدة، أو العكس. يعي جيدًا أن المرأة في هذا السن تبدأ في التفكير في حياتها العاطفية والجنسية. بسبب ذكائه وفراسته وخبرته أيضًا، أدرك من كلامها أنها تعاني من حرمانٍ عاطفي وجنسي. تخيل كم هي محرومة من هذين الشيئين حين أجابها أن عمره ثلاثون عامًا. لم يبد على وجهها الانزعاج، لأنها أحبت فيه رجاحة عقله وتفكيره كرجل أنيق يجيد جيدًا التعامل مع المرأة، وكاتب حاذق يستطيع بأقل الكلمات التعبير عن كل الحالات التي تعتريها. بالإضافة إلى هيئته الجسمانية التي تشي بأن لديه القدرة على



إشباع كل رغباتها، والتي كانت على أتم استعداد في فعل أي شيء مقابل إشباع هذه الرغبات، ولكن بشرط؛ أن تكون مع رجلٍ أحبته.. مثله كما تظن؛ لمح في زوايا عينيها كل ما سبق، وقرر أن يستخدم رغبتها فيه كورقة رابحة. ويستغل شبقها هذا أفضل استغلال..! بدت أمامه وهي تتحدث عن حياتها أنها مغتمة.. سألها:

- ألهذه الدرجة حزينة يا ياسمين؟

- وأكثر، ألم أخبرك منذ قليل أنني أتمنى أن ألقي نفسي بداخلك، وأنت أكثر شخص يعرف معنى أن امرأة تقول ذلك مُعترِفة.

- وخصوصًا حينما تكون هذه المرأة فائقة الجمال مثلك، من الظلم أن تحيا حزينة ولو يومًا واحدًا، أنتِ يجب أن تعيشي كملكة متوجة

- لا تعتبرني مغرورة حين أقول لك إنني بالفعل ملكة، لكن للأسف الشديد كنت أعيش مع رجل أقل ما يقال عنه أنه حيوان، كان يعاملني كخادمة

بينما اغرورقت عيناها وهي تتحدث، لاحت نصف ابتسامة على شفتيها: مروان، لا أحتمل الانتظار أكثر من ذلك، هل لديك مانع أن تقضي معي الليلة؟

- الليلة؟ هل جننتِ

- لماذا تقول ذلك؟ وفرضًا كنت مجنونة، هل الجنون في الحب شيء سيء؟

- لا بالطبع.. ولكن.. قالها وقد لاح أمامه الرجل ذو الجلباب الأبيض، ممسِكًا يده اليسرى باليمنى وهو يشير له إلى الساعة، فتذكّر أن موعده مع نهال بعد نصف ساعة.. في نفس الوقت الذي رن فيه هاتفه وكان المتصل هي.. فتأفف قائلًا:



- لا أدري من أين جاء الصحافيين بكل هذا القدر من الإلحاح.. إنها صحفية ظلت تلح عليا منذ أسبوع أن تجري معي حوار صحفي.. استأذنك، سأنهض لأرد عليها.. سمحت ياسمين له بإيماءة من رأسها فنهض وابتعد عنها ليرد:

- آلو.. نهال.. مساء الخير يا حبيبة قلبي..

- مساء الحب يا أجمل شخص في حياتي.. عندي لك خبر سيء

- ما هو؟

- والدتي جاءت فجأة لتزورني وسيحضر أخي ليأخذها في العاشرة والنصف ليلًا، وسنضطر أن نؤجل موعدنا إلى الساعة الحادية عشر، هل لديك مانع؟

حمدًا لله أن تأجيل الموعد جاء من جهتها هي، تنفس الصعداء وهو يقول لها: لالالا ليس عندي مانع.. سأكون عندك في الحادية عشرة تمامًا

عاد إلى ياسمين، وجلس أمامها مرة أخرى «حسنًا يا حبيبة قلبي، فلنذهب الآن، ولكن سأتركك في العاشرة والنصف لأن ورائي موعد مع تلك الصحفية السخيفة

- مممممم حسنًا..

- أين سنذهب إذًا؟

- في فيلتي، بيتي

- بيتك؟!! كيف..؟ سألها وقد بدر من وجهه تعابير أضحكتها، أجابته:

- لا يوجد أي شخص هناك سوى الخادمة وابني، وسأجعلها معه في إحدى الغرف طوال وجودك معي يا حبيبي، حتى أمي التي تقيم معي هذه الأيام بشكل مؤقت ليست هناك



- حسنًا.. فلنذهب الآن

طلب الشيك ودفع قيمته قبل أن يخرجا، أشار لتاكسي ليستوقفه لها، فضحكتْ وأخبرته أن السائق الخاص بها ينتظرها في الجانب الآخر، نظر فوجد سيارة مرسيدس آخر موديل، ابتهج في داخله لكنه لم يُبيّن لها ذلك، أشارت له فوقف أمامهما وجلسا في الخلف..

أشعل سيجارة قبل أن يسألها ما هي المفاجأة التي أخبرته عنها منذ قليل؟ فرفضت أن تخبره، ألح عليها حتى أخبرته هامسة في أذنه:

- سأعطي لك المبلغ الذي تقيدك به زوجتك، لتلقيه في وجهها وتطلقها وننتهي منها للأبد

نظر لها مشدوهًا غير مصدق ما تقوله: نصف.. مليون.. جنيه؟!!!!

- نعم... قالتها بمنتهى البساطة ثم أردفت: وليس كذلك فقط، قلت لك إنني سأغير حياتك رأسًا على عقب، سأجعلك تتطور أكثر وستتحول رواياتك إلى أفلام.. ابن عمي لديه شركة إنتاج كبيرة، وأستطيع أن أجعله يتعاقد معك على تحويل رواياتك لأفلام، وبذلك ستصبح من أكبر الكتاب الروائيين، وأيضًا السيناريستات.. هل تعرف شركة النسر الذهبي؟

- لا.. لا أعرفها

- لا يهم.. كل ما أريد تأكيده لك، أن حياتك ستتغير مئة وثمانون درجة، ثق بي

- حسنًا.. سنفكر في هذا الأمر لاحقًا

- لا أصدق أنني سأكون في حضنك بعد قليل. قالتها وهي تحتضن كفه بكلتا يديها

- ولا أنا يا حبيبتي.. أمسك يدها وقبّلها، مندهشًا من عدم خوفها



من السائق الذي بدا وكأنه أعمى، أصم وأبكم، ساد الصمت حتى وصلا إلى الفيلا.. طلبت منه الدخول من جهة السور الخلفي للفيلا، بعدما قطعت جزءًا منه مسبقًا، ليستطيع المرور من خلاله..

- لماذا أدخل من الخلف؟ هل يوجد أحد بالداخل

- لا.. لا يوجد أحدٌ كما أخبرتكَ سوى ابني والخادمة، أمي عند أختها وستأتي غدًا، ولكني أدخلتك من الخلف كي لا يراك الحارس الجالس بجوار البوابة الأمامية

دخل مروان عبر السور إلى الحديقة الغنَّاء المليئة بالأشجار الباسقة، وتسلل إلى داخل الفيلا عن طريق شباك يفضي إلى الصالة بالدور الأرضي، بينما دخلت ياسمين من البوابة الأمامية وانتظرته في الداخل، أخذ يجول بنظره في أنحاء الفيللا الصماء المظلمة التي لا تند عنها حركة ولا تنبض بها حياة تنم عن أناس يعيشون فيها. غير أنه انبهر بالمستوى المادي الذي تعيش فيه، وروعة الأثاث الفاخر القيّم والديكورات التي يبدو عليها الفخامة والأبهة. أمسكت يده وقادته إلى السلم الذي يؤدي إلى الدور العلوي حيث غرفتها الواسعة، والتي هي في الأصل أوسع من شقته بالكامل..!

لم يكد يدخل غرفة النوم حتى أغلقت وراءه الباب بسرعة، لم تعطه الفرصة لينبهر باتساع الغرفة وديكوراتها وأثاثها هي الأخرى، عانقته عناقًا حارًا لأكثر من دقيقتين، قبل أن تستأذنه لدخول الحمَّام وتركته غارقًا في ذهوله. لتخرج بعد خمس دقائق مرتدية قميص نوم بنفسجيّ اللون، قصيرًا جدًّا. أقبلت عليه لهفى وأمسكت رأسه وقبّلت شفتيه قبلة حارة ثم عانقته مرة أخرى لنصف دقيقة قبل أن تمدد جسدها على السرير وهي تنظر له نظرات مليئة بالرغبة تحثه على الإقبال عليها والتهامها.

اتسعت عيناه من هول انبهاره بها وبحضنها وجسدها الممشوق، وبقميص النوم الذي خُلِقَ من أجل هذا الجسد البض. وعبق رائحتها الذي جعله يترنح من روعته، وشعرها الغجري المموّج. شعر لوهلة أنه لم يكن يعرف نساء قط، لمسة يديها غير أي لمسة أحس بها من قبل، طريقتها في بدء كل شيء، بدءًا من العناق وحتى خلع ملابسه قبل أن تصطحبه معها إلى البانيو الذي كانت قد أعدته ووضعت فيه زهور اللافندر بعدما ملأته بالماء المختلط بالمسك الأبيض..!

شعر أنه قضى معها أجمل أوقات عمره، أوقات مغلفة بشبق لم يصل له من قبل.. بعدما انتهيا مدد جسده بجوارها بينما وضعت ياسمين رأسها على صدره وبدأت تكمل له سرد حياتها البائسة، وعن زوجها وما آلت إليه علاقتهما قبل وفاته.. وأخبرته أيضًا ما ستنتوي فعله في المرحلة القادمة.. بعدما انتهت طلبت منه أن يرتدي ملابسه لتريه شيئًا..

- ماذا ستريني؟ سألها بفضول

- على الرغم من أنني لا أحب الرجل الفضولي، لكني أحب فضولك جدًا يا حبيبي.. قالت مبتسمة: لا تتعجل، ارتدي ملابسك وتعالَ معي

ارتدى ملابسه في عجالة، أخذت بيده وقادته إلى الدور الأرضي، كان الضوء فيه خافتًا لكنه لم يستطع الرؤية بوضوح. هرب الدم منه حين رأى المربية الفلبينية متنافرة القسمات وكانت تتحدث في الهاتف بصوتٍ خافت، نهرتها ياسمين وأمرتها بنبرة حادة أن تدخل غرفتها وتجلس مع ابنها وتعتني به ولا تخرج منها أبدًا.. أكملا المسير حتى وصلا إلى المدفأة، وقفت أمامها واضعة يديها على خصرها وظلت تنظر لها مليًا وكأنها تفكر في شيء ما..

- في ماذا تفكرين يا ياسمين، وما هذه المدفأة؟ هل كنتِ تريدين أن تريني إياها أم ماذا؟!!!



نظرت له وعلقت عينيها بعينيه لثوان قبل أن تقول له: ما سأريك إياه الآن يا مروان، لم يرَه أحد من قبل، ولن يره أحدٌ بعدك..

أزاحت المدفأة المثبّتة على عجلات غير مرئية يمينًا، لتكشف عن خزينة كبيرة خلفها، خزينة مهيبة، وصف مروان مثلها في إحدى رواياته لكنه اكتشف حينئذٍ أن وصفه سطحي جدًّا بالنسبة لشكلها الواقعي. مشت ياسمين بيديها على سطح واجهتها الخارجي ببطء، تقديرًا لها ولما تحتويه بداخلها..

بها اثنى عشر زرًا، ثلاثة أزرار رأسيًا وأربعة أفقيًا وفوقها شاشة صغيرة إضاءتها أزرق خافت، يظهر عليها ما يكتب رقميًا من أرقام لكلمة السر.. كان مروان واقفًا خلفها يقطر جبينه عرقًا، ينقل نظره بين ياسمين ولوحة الأرقام، مندهشًا وقد حبس أنفاسه ترقبًا لما سيراه، قبل أن تدخل ياسمين أرقام كلمة السر التفتت له:

- كلمة السر هو أول يوم تحدثت إليك فيه عبر البريد الإلكتروني يا حبيبي.. قالت مبتسمة..

أدخلت كلمة السر ففتحت الخزينة بسلام، كاشفة عن أموال طائلة، رِزمات فوق رزمات من الأوراق المالية فئة مئتين جنيه، شعر مروان حينها أن الكلام حشر في حنجرته، ريقه لم يستطع ازدراده، وعرقه يقطر على ظهره. نظرت له ياسمين مبتسمة قبل أن تمد يدها لتفتح درجًا سريًا وتخرج منه حقيبة. ثم أغلقت الخزينة مرة أخرى وأعادت المدفأة مكانها وسبقته على السلم ظنًا منها أنه وراءها، نظرت خلفها فوجدته واقفًا مكانه مطرقًا، مُتعرِقًا، متسمرًا كأنما تثبّتت قدميه على الأرض..! في هذه اللحظة شرد يفكر في عشرات الأشياء، بل المئات.. لا لا كان يفكر في آلاف الأشياء..!







- ماذا بك يا حبيبي، لماذا أنت واقف هكذا؟ سألته رغم أنها تعرف جيدًا الإجابة، لم يرد عليها، فقط سار وراءها وصعدا مرة أخرى إلى الغرفة وأغلقت عليهما من الداخل

- مروان.. مروان.. لوَّحت بيدها أمام عينيه وهي تضحك لتنتزعه من شروده، حتى انتبه لها: ماذا يا حبيبي؟ لماذا أنت شاردٌ هكذا؟!

- هل فعلًا لا تعرفين سبب شرودي؟!.. ما هذا؟ ما هذا الذي أريتني إياه؟ لماذا يا ياسمين؟ لماذا فعلتِ ذلك؟

- يا حبيبي لا تلُمني على أي شيء أفعله معك أو لك، فلكل شيء مغزى، وهذه الأموال ستكون ملكك قريبًا على أية حال.. التقطت الحقيبة التي أخذتها من الخزينة لتعطيها له..

- هل تعرف ما هذا يا أجمل شيء في عمري! نظر للحقيبة ثم نظر لها ولم يزل لا يفهم شيئًا، وإن كان أحس أن بداخلها نقودًا بالتأكيد وليس ورقًا..! هز رأسه له مستفسرًا.

- هذه الحقيبة يا مروان بداخلها النصف مليون جنيه، الذي ستتحرر به من تلك الحمقاء التي لا تعرف قيمتك، ستلقيهم في وجهها وستطلقها، واترك لها الشقة أيضًا فلا نحتاجها في شيء... أشاح بوجهه بعيدًا عنها وأخذت أنفاسه تتسارع، تجول بعقله ملايين علامات الاستفهام تتصارع. ليس مصدقًا أنه يمتلك نصف مليون جنيه..

خمسمائة ألف جنيه..!

- أعلم أنك تحمل هم النفقة.. قاطعت تفكيره، فرمقها مندهشًا من طريقة كلامها الذي امتلكت فجأة من خلاله زمام كل الأمور.. أردفت: وأنا أؤكد لك ألا تحمل هم النفقة أيضًا..



- ويحك، ويحك يا ياسمين، رفقًا بي فأنت تتحدثين مع شخص، أكبر مبلغ مالي أمسكته يداه كانت خمسة آلاف جنيه، وتندهشين الآن من رد فعلي حين رأيت خمسمائة ألف؟ ومنذ قليل وقعت عيني على مبلغ أكبر..

قاطعته مبتسمة: ثلاثة ملايين جنيه بالضبط

ابتلع مروان باقي كلامه وشعر أنه على وَشَك الاختناق اقترب من الشباك وفتحه ليدخل منه هواء يعينه على التنفس.. ضحكت ياسمين من ردود أفعاله: احترس، لا تخرج رأسك من الشباك كي لا يراك الحارس

لم تكد تمر دقيقتان استطاع فيهما مروان أن يجمع شتات نفسه من جديد، التفت لها:

- لماذا تفعلين معي كل هذا يا ياسمين؟ هل أنتِ مجنونة؟

أطلقت ضحكة أخرى بصوتٍ عالٍ. فقاطعها بحدة بصوت خافت:

- أنا جاد الآن، هل أنتِ مجنونة؟ أنت لا تعرفينني جيدًا كي تفعلي معي كل ذلك!! نصف مليون جنيه؟!!! نصف ملي..

قاطعته واضعة يدها على فمه: ما بك يا حبيبي؟ لماذا تستغرب أفعالي هكذا؟

«........»

- آه، أنا أعذرك بالطبع، فأنت لم تلتقِ يومًا ما بشخص يحبك الحب الحقيقي، أنا وما أملك ملكٌ لك يا مروان، وإن كان معي آخر مئة جنيه سأعطيها لك كي أراك سعيدًا يا حبيبي، هذا هو الحب الجاد، الحقيقي، وما الحب سوى تفانٍ وتنازل وإخلاص

- من أين أتيتِ بكل تلك الأموال يا ياسمين؟

- سبعة ملايين دولار ورثتهم عن الكلب الذي أخذ مني أحلى سنين

عمري، وثلاثة ملايين جنيه من أبي، رحمة الله عليه.. أخذت منهم ثلاثة ملايين أودعهم هنا في بيتي، والباقي في البنك..

- هل يوجد وريث غيرك لزوجك أو لأبيكِ؟

- كل تلك الأموال هي حقي أنا وابني بعدما قسمنا التركة، دعك من كل هذا الكلام الآن، وأخبرني، متى ستطلقها؟

- سأطلقها حالًا، اعتبريني طلقتها بالفعل طالما معي مؤخر الصداق.. قالها وقد أضاءت في عقله فكرة أجّل التفكير فيها..

- إذًا، أحضر لي ورقة الطلاق، وخذ في نفس الوقت هذه الحقيبة لتعطيهم لها، ونتزوج بعدها وأكون زوجة الكاتب الكبير مروان جبر، أسهر على راحته طوال اليوم كي يكتب، وأبات في حضنه طوال الليل، وأستمتع معه بكل لحظة في حياتنا القادمة.

حضنته فبدا وكأنه متصلبًا وشرد في أشياءٍ كثيرة، وسيناريوهات يمكنه حبكها وتنفيذها.. انتزعته من شروده حين قبّلت شفتيه في نفس الوقت الذي رمق فيه الساعة المعلقة على الحائط فوجدها العاشرة وأربعين دقيقة.. نهال!

- ماذا بك يا مروان، في ماذا تفكر؟

- لا أفكر في شيء محدد يا حبيبتي، سأذهب الآن لموعدي مع الصحفية، واليوم سأطلّق ريهام، وسآتي لكِ بقسيمة الطلاق

- حسنًا.. اذهب الآن لتلحق موعدك مع الصحفية، إياك أن تنظر لها أو تتحدث معها في أي شيء خارج إطار الحوار الثقافي.

قالتها له بغنج قبل أن تقبّله وتقوده مرة أخرى إلى السور الخلفي للفيلا، انحنى ليعبر من السياج أمسكت ذراعه قائلة بصوت خافت: لا تتأخر عليَّ يا حبيبي، سأنتظرك، وإن كنت لا أعرف كيف سأتركك



تغادر حضني هكذا، ولكنني سأتحمل وسأنتظرك بشغف، أنا والحقيبة، والخزينة كلها

بالكاد ازدرد ريقه: حسنًا يا حبيبتي، إلى اللقاء

استوقف تاكسي ليذهب إلى المهندسين، ولم يتردد في أذنيه سوى آخر كلمة قالتها له..

الخزينة كلها..!

* * *

رنَّ الهاتف عدة مرات وكانت في كل مرة ترفض استقبال المكالمة، لكن المتصل ظل يلح على الاتصال حتى ردت أخيرًا: آلو..

- ألهذه الدرجة يا ريهام استطعتِ نسياني

- نسيان من؟!! هل جننت يا إسلام؟! لقد مرَّ على فراقنا أكثر من سبع سنوات، كيف تلومني على نسيانك بعد كل ذلك؟

- ألومك لأنني... لأنني لا أستطيع نسيانك.

- إسلام!! قالتها صارخة.. إسلام.. هل أنت سكير؟! أنت الذي تركتني وتخليت عني بعدما كنت كل شيء في حياتي، أنت دمرتني، تركتني فتات امرأة، امرأة لا تصلح لأي شيء، امرأة متخبطة ومذعورة من كل ما حولها. وتأتي بعد كل ذلك وتخبرني أنك لم تنساني؟ وما المطلوب مني حين تقول لي ذلك؟

- المطلوب منكِ أن تصدقينني وتبحثين معي عن حل لنعود لبعضنا البعض مرة أخرى..

قاطعته منفعلة: نعود؟؟؟ هل نسيت أنني الآن متزوجة؟ وأحب زوجي جدًا؟

- مروان.. مممممم مروان الذي يخونك كل يوم مع امرأة غير التي





كان معها اليوم الذي قبله؟ هل هذا هو حلمك وما تتمنينه؟ العيش مع رجل يخونك كل يوم؟

غمغمت قائلة: كيف عرفت ذلك؟!! هل تعرفه؟

- ومن لا يعرف علاقات مروان يا ريهام؟ الكل يعرف أنه زير نساء، وأنه لا يحبك

«.........» بكت

- اسمعيني يا حبيبتي، اطلبي الطلاق منه ولنبدأ حياتنا الخاصة، وننشئ بيتنا الذي طالما حلمنا به

- أنسيت أن لي ابنًا؟!

- لا لم أنس.. سنربيه معا مع أولادنا الذين سننجبهم، وتأكدي أن مروان لن يسأل عنه ولن يهتم بأمره

- أنت تتكلم كأنه طلقني وأنني مقيمة عند أمي؟

- لو لم تطلبي منه الطلاق سيطلقك هو، لن يبقي عليك كثيرًا صدقيني، أنا أعرف هذا الصنف جيدًا، ريهام، أنا لازلت أحبك ولا أستطيع نسيانك.. أعطني فرصة أخرى

ساد الصمت بينهما لثوانٍ وهي تمسح دموعها ثم أجابته

- عن إذنك.. ابني استيقظ من النوم ويجب أن أرضعه

- انتظري يا ريهـ..

أغلقت المكالمة وهي تواصل بكاءها متذكرة ما مرَّ بينهما، والحب الذي أحبته له. لم تكد تمر خمس دقائق حتى تذكرت مروان وأمسكت هاتفها مرة أخرى..

***



بينما كان في التاكسي ينظر في ساعة الهاتف اتصلت به ريهام عدة مرات لكنه كان يرفض استقبال مكالمتها في كل مرة. حتى وصل إلى العنوان الذي أخبرته به نهال، دخل مطعمًا فاخرًا بميدان لبنان، تناول دجاجة كاملة مشوية ومازال تحت تأثير دهشته مما حدث مع ياسمين وما رآه عندها، قصد بعدها صيدلية ليشتري قرص فياجرا ابتلعه بمياه غازية حين اتصلت به نهال:

- أين أنت الآن يا حبيبي، لقد تأخرت عن موعدك نصف ساعة ولم أعد أطيق الانتظار أكثر من ذلك ولا تعرف إلى أي مدى اشتياقي لك الآن

- أمامي نصف دقيقة وسأكون أمام العمارة التي أعطيتني رقمها يا حبيبتي، ماذا أفعل بعدما أصل؟

- ماذا ستفعل؟! اصعد مباشرة وادخل المصعد واضغط على زر الدور الثامن عشر..!

- هل سيعترضني حارس العقار أو...

قاطعته ضاحكة: يا حبيبي، العمارة بها ستة وعشرون طابقًا، وأكثر من ثمانين شقة، هنا لا أحد يهتم بأحد حتى لو حدثت جريمة قتل

في هذه اللحظة كان قد دخل العمارة ودلف المصعد: حسنًا، أنا في المصعد الآن، افتحي الباب

وصل إلى الطابق الثامن عشر وخرج من المصعد فهاجمته رائحة عطرها الفواح التي قادته لأن ينظر يمينًا فوجدها واقفة أمام باب شقتها، رشيقة القد، مرتدية قميص نوم شفافًا مثيرًا، مُنحرفًا منه معظم صدرها الناهد بشموخ، وكتفان عريضان يغطيهما شعرها الأسود الفاحم، استقبلته بعناقٍ حار فضمته إليها باضطرام يعكس مدى اشتياقها له، فمر أكثر من نصف دقيقة ولم تزل تعانقه.

- حبيبتي، أعتقد أننا نستطيع أن نحضن بعضنا بالداخل..!

- هاهاها اعذرني يا حبيبي فأنت لا تعرف حجم اشتياقي لك، تفضل

دخل الشقة فنالته الدهشة حين أدار طرفه في أنحاء المكان وأحسَّ بالجو الهادئ والموسيقى ورائحة العطر المثير الذي بثَّ بداخل صدره رغبة عارمة في التهامها، والأثاث الإيطالي الذي بدا كما لو أنه لم يجلس عليه أحد قَط، لفتت انتباهه صورة زفافهما المعلَّقة على أحد الجدران، وبجوارها صورة أخرى أزعجته حين وقف أمامها شاخصًا، وبالكاد ازدرد ريقه؛ كانت لزوجها بملابسه الميري ومعلق على كتفيه نجمتين، حضنته حينها من الخلف وأحاطت خصره بذراعيها وهي تنظر معه إلى الصورة، التفت لها وقبَّلها، شعر أنها تعمدت فعل ذلك أمام الصورة، انتقامًا لنفسها منه.. نظرت له نظرة تحمل إغراء ألهب شهوته، وأمسكت يده وشدته تجاه غرفة النوم فوجدت صورة أخرى لزفافهما..! صاح متندرًا:

- لماذا تضعون صورة زفافكما على كل جدار بالشقة هكذا؟! هل تنسون أنكما متزوجان أم ماذا تحديدًا؟!!

ضحكت وهي تضع يديها على كتفيه وتجذبه نحوها وهي تخلع عنه قميصه بتعجل وهو يتجول بنظره في غرفة النوم التي أشبه بغرف الفنادق السبع نجوم. سألها عن ابنها فأخبرته أنه نائم في غرفته منذ ساعة، ولزيادة الأمان أغلقت عليه الغرفة من الخارج.. شعر حينها بنغزة قوية في قلبه وومض في ذاكرته نفس المشهد المعتاد.. لم يدع عرضه يكتمل في مخيلته ونفض رأسه ليطرده قبل أن يطلب منها إطفاء النور. ذهبت لتطفئه فوجد الرجل واقفًا بجوار مفتاح الإضاءة عاقدًا يديه



أمام صدره كعادته وهو يغمز له ويبتسم ابتسامة ظفر وتشجيع. لم يعره انتباهه فاختفى حين أغلقت نهال الإضاءة. فأصبحت الغرفة مُعتمة تمامًا، ولم يستطع رؤية أي شيء، لكنه شعر بجسدها الغض، ونهديها حين حضنته والتصقت بجسده. فاعتملت كل مشاعر الرغبة بداخله، فحملها وألقاها برفق على السرير..

***

بعدما انتهى منها بعد ست وعشرين دقيقة تقريبًا، اكتشف بعدها أن المرة السابقة حين ضاجعها في بيته لم يشعر معها بأي متعة، والسبب في ذلك هو تفكيره في خبر ولادة زوجته الذي جاءه عبر الهاتف حينها، وجعله غير مندمج معها بشكلٍ كامل، وظن حينها إما أن لديها برودًا جنسيًّا أو أصابه هو العجز الجنسي، لكنه الآن أدرك كم كان مُخطِئًا..! زرعت قبلة على صدره قبل أن تنهض وتدخل الحمَّام. أضاء الغرفة وعاد إلى السرير ليشعل سيجارة نفث دخانها ببطءٍ شديدٍ وهو يُمدد جسده على السرير وأخذ يفكر

ماذا لو دخل علينا ابنها الآن؟! لكنه استدرك الأمر بسرعة أنه داخل غرفته المغلقة عليه، عاد وسأل نفسه سؤالًا آخر، ولكن ماذا لو استيقظ وبكى وكانت تأوهات أمه أعلى من بكائه؟؟!! شعر ببعض الذنب ينغز قلبه الذي انخلع حين سمع باب الحمَّام ينفتح لتخرج منه نهال متهادية بخطواتٍ مثيرة، تتيه بحسنها وبثدييها العاجيين المنتصبين وجسدها المبلل، الذي زاد من إثارته قطرات الماء وهي تتساقط منه. صعدت على السرير ووقفت أمامه مرتكزة على ركبتيها.

- في ماذا تفكر يا حبيبي؟



- لا أفكر في شيء، أنا مرهق قليلًا، وهذا يحدث غالبًا في فترة كتابة رواية جديدة

- ستحكيها لي.. أليس كذلك؟.. سألته بحماسٍ وثقة، فأومأ برأسه مبتسمًا أن نعم، لكنه يعلم في قرارة نفسه أنه لن يحكيها لها مطلقًا، فالشخص الوحيد المخوّل له ذلك هو وفاء فقط لا غير..

- قل لي، ما رأيك في معطر الجو الذي رششته قبل مجيئك؟

أخذ نفسًا عميقًا من السيجارة وقال لها مبتسمًا: رائع جدًّا، ولكن هل تعلمين ما هي الرائحة التي أحبها أكثر؟

جلست على فخذيه وداعبت شعر صدره وهي تسأله: ما هي يا حبيبي؟!

- تلك الرائحة الناتجة عن أنفاسنا وتأوهاتنا واختلاط عرقي بعرقك أثناء ممارسة الحب، بينما الغرفة مغلقة علينا تمامًا، تلك الرائحة ستلاحظينها بقوة حينما تخرجين من الغرفة لدقيقة ثم تدخلينها مرة أخرى، ستهاجم أنفك حينها هذه الرائحة..

صاحت: نعم، فعلًا، حينما خرجت للتو من الحمّام شممت هذه الرائحة..

غمز لها وهز رأسه واثقًا قبل أن ينام على بطنه، فارتكزت بركبتيها ومال جذعها وأخذت تدلك ظهره لدقيقتين ساد الصمت بينهما إلى أن عدل وضعيته ونام على ظهره فأخذت تدلك كتفيه وهي تسأله في غنج..

- لديَّ سؤال كنت أود أن ألقيه عليك يوم الندوة لكنني لم أجد فرصة من كثرة القراء الذين كانوا يسألونك..

- اسألي يا حياتي

- لماذا معظم السيدات في رواياتك خائنات، ويضاجعون رجالًا آخرين غير أزواجهن؟ أليس ذلك غريبًا؟

انتابه الخرس فجأة حقًا من فرط دهشته. اعتدل جالسًا وقد صُرَّ ما بين حاجبيه متعجبًا من سؤالها، هز رأسه مُستفهِمًا أكثر، فاستطردت:

- أقصد أن هذا ليس الواقع، ليست كل السيدات خائنات لأزواجهن، ليس كلهن بلا رحمة مثل بطلات رواياتك»

أمالت الدهشة رأسه للوراء، وقد تغضن وجهه متعجبًا من كلامها الذي كان وقعه عليه صادمًا، لدرجة أنه لم يجد ما يقوله لها حقًا، ولم يجد رد فعل مناسب تجاهها سوى أن ينظر لها من أعلى لأسفل، ومن أسفل لأعلى وهي عارية أمامه.. علَّها تدرك وتستوعب ما كانت تفعله معه منذ قليل، علَّها تستدير لترى هيئتها في المرآة التي خلفها، علها تدرك أن ابنها من المحتمل أن يكون الآن مستيقظًا يبكي من ظلمة الغرفة، علها تدرك..

انقطع سيل أفكاره، وارتخت أعصابه فجأة حين سمع صوت مفاتيح تفتح باب الشقة، وصوت زوجها وهو يسعُل في الخارج، ألقى السيجارة وانتفض فجأة، ففز قفزة رشيقة كان بعدها بثانية داخل الدولاب، بينما ركلت نهال ملابسه تحت السرير.

قابلته زوجته بترحابٍ ممزوج بخوفٍ ورعب لم يلاحظهما تقريبًا، لكنه لاحظه من نبرتها. سألته عن سبب إلغاء مأموريته فأخبرها أن مرؤوسيه أجلوها ثماني ساعات، بينما كان مروان داخل الدولاب ينتفض رعبًا، ظل حابسًا أنفاسه منتظرًا أن يخرج زوجها من الغرفة أو يدخل الحمام أو يفعل أي شيء كي يستطيع الهروب آمنًا، لكنه - على ما يبدو - سال لعابه حينما رآها عارية، فألقاها على السرير الذي لا يزال دافئًا بأنفاسه منذ قليل.. استغل مروان انهماكهما وبحث بهدوء عن أي شيء يرتديه ليكون جاهزًا



للهروب حين يتسنى له ذلك، وجد جلبابًا أبيض اللون ارتداه بهدوء دون أن يصدر أي صوت، وشبشبًا من الفرو على هيئة دبدوب وضعه تحت قدميه التي اصطدمت حينها بصندوق متوسط الحجم، استغل خيط ضوء متسلل من أعلى ضلفة الدولاب ليرى ما بداخل هذا الصندوق، بدا له أنه مثل الصناديق المزخرفة التي يُقتنى بداخلها ذهب، كان وزنه حوالي كيلو أو أكثر قليلًا، فتحه بهدوء شديد، فشهق في نفس الوقت الذي كان يشهق فيه الزوج حين وصل لمرحلة الذروة، لمعت عيناه حين فتح الصندوق ووجده ممتلئًا عن آخره بالذهب. سمع الزوج وهو يخبر نهال بأنفاث لاهثة أنه سيدخل الحمَّام وطلب منها أن تحضر له ملابس داخلية وبشكيرًا.

فتحت نهال الدولاب وكاد قلبه حينها ينخلع من مكانه. أخبرته بإشارات من يدها أن زوجها دخل الحمَّام. وأنها ستدخل له لتشغله حتى يتسنى له الخروج في أمان. فهز رأسه. دخلت نهال الحمَّام حين وجد حقيبة رياضية ملقاة بجانبه، فتحها وأفرغ فيها محتويات الصندوق قبل أن يخرج من الدولاب بحذرٍ شديد والتقط ورقتين فئة مئة جنيه وجدهما على الكومود. انطلق بعدها بسرعة البرق نحو الباب، لكنه مرَّ بغرفة ابنها فوجد الباب مواربًا، والطفل واقفًا بالداخل عبوس الوجه، توقف لثانية أو ثانيتين التقت فيها عيناه بعيني الطفل الذي ظل شاخصًا نظره عليه ولم ينطق بكلمة، بينما زمّ مروان شفتيه وهو يهزّ رأسه وانطلق بعدها هاربًا..! بعدما أيقن في قرارة نفسه تمام اليقين أن هذا الطفل..

سيصبح يومًا ما..

كاتبًا.





الساعة الحادية عشرة وأحد وعشرون دقيقة مساءً

ظل يسير أسفل المنازل والشرفات بجلباب أبيض وشبشب على هيئة دبدوب، كان أهم ما شغل باله حينها ألا يراه أحدٌ من قرائه بهذه الهيئة، حتى لاح أمامه أحد محلات الملابس المشهورة فاتجه إليه بسرعة ودخل بالدبدوب الذي أثار فضول الموظفين وانتزع ضحكاتهم وسخريتهم، لم يأبه لهم قيد أنملة، واستبدله بحذاء جديد ارتداه، ثم ذهب بعدها إلى قسم الملابس الرجالي فاشترى قميصًا وبنطلونًا جديدين ارتداهما داخل غرفة «البروفة» تاركًا مكانه الجلباب ودفع ثمن ما اشتراه في الدور الأرضي..!

استقل بعد ذلك سيارة أجرة متجهًا إلى جروبي في وسط البلد ليحتسي فنجان قهوة ليهدئ أعصابه، لكنه لمحَ عند الباب بعض أصدقائه الكُتّاب، تردد في الدخول. وقف ثواني يفكر أين يذهب، حتى قرر في النهاية أن يجلس في مكانٍ آخر، وليكن مقهى البستان. فاشترى علبة سجائر وذهب إلى هناك.

ما إن جلس وألقى بجسده على الكرسي، رفع رأسه متنفسًا الصعداء وأخذ يفكر فيما حدث له في الساعتين الأخيرتين، والأسبوعين الأخيرين، بل وفي حياته كلها بشكلٍ أعمَّ وأشمل..! مرَّ بجانبه شاب وفتاة عائدان من إحدى المكتبات وقد اشتروا روايته الأخيرة وصادفوه جالسًا رافعًا رأسه، صاحت الفتاة:

- أستاذ مروان..! ياللصدفة الرائعة، انظر.. قالت الفتاة وهي تخرج روايته من حقيبتها .. أنا سعيدة جدًّا لأنني اشتريت روايتك الأخيرة للتو، وسأكون أسعد إن وقّعت لي عليها.

نظر لها مندهشًا قاطبًا جبينه قائلًا كذبًا في محاولة للهروب منهم:





مهلًا مهلًا، مروان من؟ أنا لست مروان..!!! أنتِ مخطئة

- كيف؟! من الممكن أن أخطئ في معرفة أي شخص سواك، فأنا أعرفك جيد..

قاطعها منفعلًا بنبرة حادة وصوت عالٍ: قلت لكِ أنا لست مروان، أقسم لكِ بالطلاق إنني لست مروان؟ أطرقت الفتاة خجلًا فجذبها صديقها وابتعدا عنه درءًا للإحراج..!

يقول هيجل: الأشياء العظيمة في العالم تحدث مرتين.. وأضاف إليه ماركس أن في المرة الأولى يحدث الشيء بشكلٍ مأساويّ، وفي المرة الثانية يحدث بشكلٍ ساخرٍ هزليّ..

«هل ما حدث لي اليوم، هو صورة كربونية ونسخة طِبق الأصل مما حدث لي منذ أكثر من عشرين سنة؟!!» سأل نفسه.. «ولكن الصبي لم يرانا بينما أنا رأيت والدتي، لكن ما الذي يجعلني متأكدًا أن نهال أحكمت عليه إغلاق الباب، وبالتالي فمن المحتمل أن يكون ابنها قد رآنا بالفعل دون أن ندري..!

أخرج علبه السجائر، التقط منها سيجارة بشفتيه وأشعلها قبل أن يضع الحقيبة التي أخذها من الدولاب بين قدميه على الأرض ليحكم سيطرته عليها أكثر.. أردف حديثه مع نفسه:

«في النسخة التي حدثت لي حينما كنت صغيرًا، رأيت ما رأيت وعدت إلى غرفتي أبكي، بعدها بقليل جاء والدي ورآهما، فذبح أمي وحُكِمَ عليه بالإعدام شنقًا..

ترى، هل رآنا الولد أم لا؟ هذا الولد الذي سيكون - بطبيعة الحال - خلال أيام، ابنًا لأم خائنة مقتولة وأب محكوم عليه بالإعدام.. وبطبيعة الحال سيتم إيداعه في ملجأ للأيتام إن لم يكن له عم.. ويجب عليَّ حينئذٍ

أن أذهب إليه وأخبره أنه سيصبح كاتبًا حينما يكبر.. مثلما حدث نفس الشيء معه..

جاء النادل يسأله ماذا سيحتسي، فطلب فنجانين قهوة قبل أن يستطرد:

«ترى، هل الرجل الذي رآني ذات مرة عند الميكانيكي الذي كنت أعمل عنده حينما كنت صبيًا، وربت على كتفي وأخبرني أنني سأصير كاتبًا يومًا ما، هو نفس الرجل الذي كان يضاجع والدتي؟» عصر ذاكرته كي يتذكر شكله لكنه لم يستطع.. «هل هذا الرجل كان كاتبًا هو الآخر؟ وإن كان كاتبًا، ما اسمه..؟!»

حاول أن يتذكر مَن مِن الكُتَّاب كانت والدته تقرأ له وكانت مغرمة به مثلما تغرم به نهال.. لكنه لم يستطع وشعر أنه أمام حائطٍ سد.. تجسد له الرجل ذو الجلباب الأبيض لأقل من ثانية ثم اختفى مثلما ظهر.. أطرق رأسه واضعًا سبابته وإبهامه على عينيه وأخذ يئن..

***

منذ ساعة ونصف تقريبًا..

حين دخل زوج نهال البيت لاحظ رائحة دخان سجائر، شكّ في أمر زوجته نهال التي بدا عليها الارتباك حين تفاجأت بمجيئه. وتأكد شكّه أكثر لمّا لمح بطرف عينيه حين كان يضاجعها عقب سيجارة ملقى بجوار الكومود على الأرض بينما كان مروان داخل الدولاب.

وحين دخل الحمَّام شعر بحركة غريبة في الخارج، حين فتحت نهال الدولاب ليفر مروان هاربًا. خرج بعدها من الحمَّام عاريًا، سألها من كان هنا قبل مجيئه فأجابته متوترة أنه لم يكن هنا أي أحد،



فأومأ برأسه شاردًا وارتدى ملابسه، وأخبرها أنه سينام أربع ساعات قبل أن يذهب لمأموريته..!

خلال الليل نهض الزوج والتقط ملابس مروان واستخرج منها كارنيه اتحاد الكتاب قبل أن يتسلل إلى غرفة ابنه النائم، أوقظه وأخذ يلاعبه ويتحدث معه، سأله مستدرجًا هل رأى أي شخص دخل البيت اليوم؟ فأخبره الطفل بفطرته أنه رأى رجل ووصفه له. وأكد كلامه أكثر حين أراه أبوه صورته في الكارنيه، فصاح الولد مؤكدًا أنه هو هذا الرجل الذي كان هنا.. وخرج مرتديًا ملابس غريبة..

من هنا تأكد للزوج أن زوجته تخونه، في نفس الوقت الذي استيقظت فيه ولم تجده بجوارها، نهضت بسرعة لتخفي ملابس مروان، مدت يدها لالتقاطهم فلم تجدهم، ارتعبت وهرب الدم من عروقها، ظنت أنها وضعتهم في الدولاب بالأمس ونسيت، فتحت الدولاب فاكتشفت سرقة ذهبها حين وجدت العلبة مفتوحة وخاوية، أدركت حينها أنه هو الذي سرقها.

دخل عليها زوجها وهو ممسكٌ بملابس مروان مشهرًا في وجهها الكارنيه، فوجدها ممسكة بعلبة الذهب الفارغة، ارتعبت أكثر وأيقنت أنه علم بكل شيء، اقترب منها وهو يسألها بهدوء عن الذهب الذي كان في العلبة فلم تستطع إيجاد رد مقنع. لمحت عينيه يطل منهما شررٌ فحاولت الابتعاد عنه لكنه التقطها من شعرها وأخذ يصفعها على وجهها أكثر من عشر صفعات، وكلما كانت تسقط على الأرض يلتقطها من جديد ويصفعها وهو يسألها أين الذهب، ومن كان معها بالأمس.. أخذت تصرخ ولم ترد عليه، سحبها من شعرها إلى الحمَّام وأغلقه من الداخل، ملأ الحوض بالمياة بعد أن وضع السدادة،



وأخذ يغطس وجهها في المياة لفترة طويلة وما إن يشعر أنها ستختنق يخرج رأسها ويسألها نفس السؤال، فتبكي ولم تجب.. ظل يكرر ذلك عدة مرات حتى أومأت برأسها أنها ستصارحه بكل شيء..

***

بعدما احتسى القهوة وهدأت أعصابه قليلًا، ذهب إلى البيت وأخذ يفكر، هل من الممكن أن تكون زوجته الآن مع رجل يضاجعها على سريره، وصل إلى البيت وأخرج مفاتيحه وشرع يفتح الباب:

«ماذا سأفعل إذا دخلت الآن ووجدت ريهام مع رجل بالداخل؟! ولِمَ لا، فأنا ضربتها صباح اليوم، وقرأتْ رسالة من امرأة أخرى بالأمس، ورأتني أضاجع أختها على سريرها منذ أسبوعين.. هذا غير العلاقات التي عرفتها طوال زواجي منها.. فلماذا لا تخونني؟!»

نفض رأسه عما يفكر فيه، رافضًا تمامًا أن تكون زوجته من نفس نوعية النساء اللائي يعرفهن، فهو متأكد تمام التأكد أنها أشرف امرأة عرفها في حياته، ورغم أي شيء لن تفعل ذلك أبدًا، أولج المفتاح في الباب.. فوجد زوجته جالسة في غرفة المعيشة تداعب الصغير، حاول التحدث إليها لكنها نهضت قبل أن ينطق بحرف. ودخلت غرفة النوم وأغلقت على نفسها من الداخل، رغم أنه يكره هذه الفعلة لكنه تركها ودخل غرفة مكتبه ودس الحقيبة الرياضية التي كانت معه في مكانٍ آمن بعد أن ظلَّ عشر دقائق ينظر لها مشدوهًا، ويفكر ماذا سيفعل بها، وأيضًا ماذا سيفعل تجاه ياسمين..

والنصف مليون..!

وقبل كل شيء.. خزينتها العامرة

دخل بعد ذلك المطبخ لإعداد ثلاث أكواب من القهوة تمهيدًا لصنع



مناخ يشجعه على الانتهاء من روايته اللعينة التي يجب أن يسلمها لدار النشر بعد شهرين من الآن، ولم يكتب فيها سوى القليل..!

وقف أمام البوتجاز سارحًا في النار الموقدة تحت إناء القهوة، شرد بخياله بعيدًا، في عدد السيدات اللواتي كذب عليهن وضاجعهن باسم الحب، أو وعد بعضهن بوعودٍ زائفة. سأل نفسه: هل أحب أي امرأة فيهن، وبالأحرى وفاء نخلة، التي قدمت لي الكثير وكانت السبب فيما أنا عليه الآن، هل أحب زوجتي التي تحدت العالم كله من أجلي وتنازلت عن أشياء كثيرة، من تنازلت أكثر لأجلي ومن قدمت أكثر؟ ريهام أم أختها وفاء؟!

لم يجد إجابة واضحة تجعله يشعر بالارتياح. وإن كان في أغلب الأوقات يميل نحو وفاء.. لم يستطع إ...

قطع شروده فجأة غليان القهوة وانسكابها على شعلة البوتجاز فانطفأت.. لوى فمه امتعاضًا وأدار مفتاح البوتجاز ليغلقه قبل أن يصب ما تبقى من القهوة في كوبين فقط ثم دخل غرفة مكتبه وشرع في الكتابة..

اتصلت به ياسمين وتحدثت معه قليلًا: لن أنسى ذلك اليوم أبدًا يا مروان يا حبيبي

- ولا أنا يا ياسمين ..سأكتب الآن.. تصبحين على خير يا حبيبتي

أغلق الهاتف وظل يكتب لربع ساعة قبل أن يظهر الرجل مرة أخرى.. سأله:

- هل أنت متأكد أن زوج نهال لم يرك؟

سأله الرجل فأومأ مروان برأسه نافيًا وهو ينهض ليلقي عليه كوب القهوة كي يختفي، فبدا على وجه الرجل الذعر قائلاً: انتظر.. انتظر أرجوك.. سأكف عن أي سؤال لك، سأخبرك بشيء هام وسأرحل في سلام..



- قل ما عندك.. وبسرعة..

- أولا أنا سعيد أنك نفذت ما طلبته منك.. ثانيًا يجب عليّ أن أنفذ وعدي لك، وهو ألا أظهر في حياتك مرة أخرى.. لأن ابن نهال رآكما.. مبروك أيها الكاتب العظيم.. انطلقت منه ضحكة مفزعة..

- وماذا ستفعل لي بعد ذلك؟

- لن أفعل شيئًا.. هنيئًا لك الذهب الذي سرقته، ولا تنسَ ما عند ياسمين، فهو الأهم..

- أعلم ذلك، لست في حاجة إلى أن تخبرني

- حسنًا، ليس هذا المهم، فالمهم الآن أن ابن نهال رآك، والأكثر أهمية أنك نسيت حذاءك هناك يا مسكين..

قالها وهو يكتم ضحكة أخرى: ليس فقط حذاؤك، وإنما أيضًا محفظتك.. ضحك ضحكة عالية واستطرد هامِسًا: محفظتك كانت داخل بنطالك الذي نسيته هناك.

نهض مروان كالمجنون فأمسك رأسه درءًا لصداع هاجمه فجأة حين تذكر أنه بالفعل نسي محفظته، هرب الدم من عروقه.. استطرد الرجل: لا تنس أيضًا أنك تركت هناك عُقب سيجارتك يا مغفل ها ها ها ها.. ضحك ضحكة أعلى ثم فر هاربًا واختفى.. اختفى تمامًا.. ليترك مروان وحيدًا حائرًا لا يعرف ماذا سيفعل..!

***

في اليوم التالي..

بعدما انتهى د. نشأت من الحالة التي أمامه، أشعل سيجارة وهو يتصل على سكرتيرته بالخارج ليطلب منها دخول الحالة الأخرى بعد خمس دقائق من الآن، شرب خلالهما فنجان قهوة قبل أن تطرق الحالة الباب..



«تفضل..» حين دخلت الحالة تفاجأ د. نشأت واتسعت عيناه من هول المفاجأة..

في نفس الوقت..

بعدما انتهت وفاء من ندوتها التي ألقتها في قصر ثقافة مبارك، تفاجأت من أن مروان جبر ينتظرها بالخارج، شعرت بالفرحة حينها..

- ما هذه المفاجأة الكبيرة أستاذ مروان جبر بنفسه.. هل أتيت إلى هنا لمقابلتي أم لمقابلة امرأة أخرى يا دون جوان؟

- ما هذا الهراء، أكيد لمقابلتك أنتِ.. لماذا تظنين أنني أستطيع خيانتك يومًا ما؟.. انظري لي جيدًا يا وفاء.. هل أبدو لكِ رجلًا خائنًا؟

سألها مازحًا وهو ينظر لها بسذاجة ليست لائقة عليه تمامًا.. فضحكت وهي تقول له: خائنًا فقط؟ أنت إله الخيانة عند اليونانيين القدماء..

- دعك من المزاح الآن، فأنا أريد أن أخبركِ بشيء مهم.. أعتقد أنه أهم شيء أخبرك به منذ أن عرفنا بعض..

تحولت ملامح وجهها بسرعة إلى الجديّة حينما لمحت في عينيه أن لديه شيئًا مهمًا فعلًا، وقررا الذهاب إلى أحد كافيهات الدقي للتحدث بأريحية..

في نفس الوقت

عيادة د. نشأت..

«تفضلي اجلسي يا مدام ريهام..» جلستْ فاتصل بالسكرتيرة بالخارج يطلب منها إحضار عصير ليمون.. كيف حالك وحال مروان، أتمنى أنك تكون حياتكما أفضل مما سبق..



رنت إليه دون أن تنطق بكلمة، فرنا إليها هو الآخر فالتقت العين بالعين لتنفجر عيناها بالبكاء فجأة، ارتبك نشأت والتقط منديلًا من العلبة أمامه وأعطاها إياه في نفس الوقت الذي أطرقت فيه السكرتيرة ومعها عصير الليمون، احتست رشفة هدأت بعدها بدقيقتين، فسألها نشأت:

- هل تودين أن تكون هذه الجلسة مهنية أم لا؟

- لا أعلم.. أجابته ساهمة

- ريهام، أنتِ تعرفين معزتك عندي، لذلك فسأتحدث معك بكل صراحة، زوجتي أخبرتني بما قلتِه تحت تأثير التخدير، وأعلم جيدًا أنه يوجد شقاق بينك وبين أختك وفاء.. ولست مرتاحًا من علاقتها مع مروان، ولا..

قاطعته: هل تظن أنني مندهشة من ذلك؟ أقسم لك يا نشأت إنني لست مندهشة، فهذه ليست المرة الأولى، لا أعرف كيف تربت وترعرت هذه الشيطانة في بيتنا الطيب.. وفاء أخذت مني كل شيء، منذ طفولتنا وهي دائمة الشجار معي. وتأخذ ألعابي رغم أنها لم تكن مناسبة لها، وليتها كانت تلعب بهم، بل كانت تكسرهم أمامي ثم تعطيهم لي.. ظلت تتبع هذا النهج في كل مراحل عمرنا، وفاء لم تأخذ مني شيئًا إلا وأعادته لي منكسرًا..

- هل هذا تنبؤ منك أو توقع بأنها ستكسر مروان؟

- وهذا هو سبب مجيئي لك.. لا أحد يعرف وفاء أكثر مني.. ستكسر مروان وسيندم في وقت لا ينفع فيه الندم

أمسك نشأت سماعة الهاتف واتصل بالسكرتيرة ليطلب منها الاتصال بالحالة التي من المفترض أنه سيكون موعدها بعد ساعة، لتعتذر لها

بالنيابة عنه وتؤجل معها الجلسة للغد.. ثم عاد إلى ريهام قائلًا:

- ولكن معذرة يا ريهام، بغض النظر عن أنني ضد علاقتهما تمامًا.. لكنني أعرف أن وفاء هي التي ساعدته في طريقه للكتابة وهي السبب فيما هو فيه الآن..فكيف ستكسره؟!

- إن كانت فعلت ذلك معه فلسبب واحد، لتكسرني أنا أولاً وتثبت لي أنها تستطيع أخذ أي شيء مني، حتى لو كان هذا الشيء رجلًا..
أطرقت لهنيهة وزمّت شفتيها قبل أن يسحب سيجارة من علبته والتقط ولاعة، رفعت رأسها مرة أخرى قائلة:

- مروان ليس أول رجل تأخذه مني..

اتسعت عيناه مما قالته ووضع السيجارة أمامه دون أن يشعلها، سألها: فسّري لي، كيف ذلك؟ هل كان في حياتك شخص آخر غير مروان وأخذته منك وفاء؟

- نعم.. فقد كنت مخطوبة قبل أن أقابل مروان بسنتين، شاب كان زميلي في العمل، كنت أحبه جدًا ونشأت بيننا علاقة حب كبيرة، وتوّجناها في النهاية بأنه طلب يدي من والدتي ووافقت على الفور حينما لمحت أنه يحبني، وستكون مطمئنة عليّ وأنا معه. وفجأة لاحظت أن حبه لي بدأ يقل تدريجيًا، وكنت أنا وأمي نشعر أن ثمة نظرات غريبة بينه وبين وفاء حين نجلس جميعًا في السفرة، قابلته بعدها عدة مرات لتخبره كذبًا أنني أتحدث في الهاتف إلى شباب طيلة الليل، وطلبت منه ألا يخبرني أنها قد أبلغته بذلك.

كل يوم تخبره كذبًا أشياء من هذا القبيل حتى دبّ الشك في قلبه فبدأت بجذبه نحوها حتى أوقعته في شراكها وأقامت معه علاقة. جاءني بعدها وفسخ الخطوبة.. ظلت بعدها على علاقة به وطلبت منه أن يتقدم



لها عند أمي التي رفضت في البداية حفاظًا على شعوري، فأكّد لها أن كل شيء قسمة ونصيب وأنه يحب أختي جدًا، وأنه كان يريدها من البداية، بينما كانا يتحدثان، وأنا كنت في الغرفة أسمعه وأبكي، دخلت عليهما وفاء وأخبرته أنها لن توافق عليه أبدًا.. ذُهِل حينها ولم يستطع النطق بأي شيء، وغادر.. عرفت بعدها أنه أصيب بمرض نفسي جعله فقد النطق لفترة كبيرة حوالي..

- وماذا حدث بعدها بين أمك ووفاء؟

- تشاجرا سويًا شجارًا عنيفًا انتهى بأنها مدت يدها على أمي وبصقت في وجهها، فطردتها وتبرأت منها إلى يوم الدين، تفاجأت بعدها أنها حينما لمت ملابسها سرقت من مكتبي قصصي التي كتبتها على مدار سنوات، عرضتهم على إحدى دور النشر، لأفاجأ أنها نشرتهم، الواحدة تلو الأخرى باسمها بعد أن سجلتها برقم إيداع وترقيم دولي يثبت أحقيتها فيهم.. جنَّ جنوني حينها وأقسمت إنني سأقاضيها لولا أن منعتني أمي من ذلك، ونصحتني أن أكتفي بأن أشكوها إلى الله.. ففعلت، ولكن منذ ذلك الحين لم تستطع كتابة أي رواية بنفس قوة رواياتي التي جعلت لها اسم..

بعدما تزوجتُ من مروان، حاولت بكل الطرق أن أبعده عنها لكنني فشلت في ذلك.. إلى أن ذهب لها لتساعده في نشر مجموعته القصصية، فاتصلت بي لتخبرني أنها ستحرق قلبي مرة أخرى، عرفت بعدها أنهما تقابلا عدة مرات ونشأت بينهما علاقة، في نفس الوقت الذي بدأ يتصل بي خطيبي السابق، طلب مني مقابلتي ليصالحني وأصفح عنه ونتزوج، لكنني رفضت وأخبرته أنني تزوجت، وأنني لا أستطيع خيانة زوجي، في نفس الوقت الذي كان يخونني هو مع أختى، ومع أخريات بعد ذلك



حينما عرف طريق الشهرة.. منذ ذلك الحين ولم أر يومًا سعيدًا معه، كل يوم يخونني مع امرأة، كل يوم يهينني ويضربني ويمتهن كرامتي..

- ولماذا لم تطلبي منه الطلاق طالما تعرفين كل ذلك، والأهم هو أنه يقيم علاقة حرام شرعًا مع أختك..

- إذا عرفت أمي ذلك ستموت.. ماذا سأقول لها وهي كل يوم تقول لي إنها قلقة عليَّ وخائفة أن تموت وهي قلقة هكذا، فأطمئنها كذبًا أنني بخير وسعيدة جدًّا في بيتي.. هذا بالطبع غير أنني.. للأسف... أحبه.. رغم كل ما فعله بي، ورغم الست سنوات التي ضاعت من عمري هباءً، مع رجل خائن

- هل تعرفين طبيعة المرض الذي يعاني منه؟ هل تحدث معك عن ذلك؟

- أنا أعرف أنه أخبرك بقصة الرجل ذي الجلباب الأبيض، وعن قصة أمه الخائنة وأبيه القاتل الذي حكم عليه بالإعدام.. وعن قصة حياته وكفاحه..

- ماذا تعنين؟

- هل صدقت ذلك؟

- لدي بعض الشكوك حول صحة كلامه، لكنني أعي جيدًا ومتأكد أن لديه مرض الذهان، أو الانفصام الانشقاقي ربما، لست متأكدًا من تشخيصه لأنه لا يساعدني في ذلك.. المهم..ماذا تنتوي فعله في الأيام القادمة؟

- لا أعرف، من بعد أن أجبرني على ترك العمل ولم يعد لي أصدقاء، أشعر بوحش الوحدة الذي كاد أن يتملك مني ويقتلني... كنت سأموت إن لم أقل كل ما قلته لأي شخص.



- لا تقولي ذلك يا ريهام، فأنتِ عزيزة إلى قلبي.. ويعلم الله مكانتك لديَّ.. اذهبي الآن ودعيني أفكر فيما سأستطيع فعله...

***

في نفس الوقت بأحد كافيهات منطقة الدقي، كان المكان خاليًا إلا من مروان ووفاء اللذين يجلسان منزويان في أحد أركان الكافيه بعيدًا عن أي أذن يمكنها سماعهما.. حتى بعد تقديم القهوة لهما بعشر دقائق، ظل مروان صامتًا، يفكر فيما سيبدأ به كلامه معها. بينما تركته وفاء هكذا لا تريد أن تقطع حبل أفكاره، حتى ابتدر الكلام..

- لن أطيل عليكِ بمقدمات سخيفة يا وفاء، وسأتحدث مع الجانب العقلي فيكِ..باختصار، أنا خنتك قديمًا، ليس مرة أو اثنتين بل كثيرًا..

لاحظ تغير كبير في تعبيرات وجهها: كنت أعرف أنك داعر وعينك فارغة، وكنت أشعر أنك تخونني يا مروان

- ليس هذا موضوعنا الآن، هل تسمحين لي أن نتحدث في لُبِّ الموضوع أم سنظل نهذي بكلام فارغ ونسب بعضنا بعض؟

- كلام فارغ؟ هل تريد مني حقًا أن أمرر اعترافك بخيانتك لي هكذا مرور الكرام؟ كيف؟!!

- أفيقي يا وفاء، فمجرد وجودنا مع بعضنا الآن يسمى خيانة لأختك.. فلا تندهشي حينما أخونك، فالمبدأ واحد..فأنا خائن ابن كلب وأنتِ تعرفين ذلك جيدًا.. قالها بحدة، فولَّت وجهها الناحية الأخرى، ظل ينظر مليًا لها ثم نهض فجأة: أنا المخطئ حين قررت أن أخبرك بما سأنتوي فعله بالملايين التي معي.. هيًا بنا نذهب

- لالالا.. آسفة.. سأمرر الآن خيانتك لي، لأنني فقط أحبك.. و

- جيد.. قاطعها... دعيني أبدأ كلامي بهذه الكلمة.. أنا أيضًا

أحبك.. يوم أمس كان من الأيام الفارقة في حياتي، فقد ضاجعت سيدتين، كلٌ منهما لديها كنز، أخذت كنز الثانية وهي نهال

لاحظ التماعة عيني وفاء فسألته مندهشة: كنز؟!! عبارة عن ماذا؟

- عن ذهبٍ كثير، ولكن هذا الكنز لا يساوي ربع كنز الأخرى، الأولى وهي ياسمين. إن استطعت أن أحصل عليه ستتحول حياتنا مئة وثمانين درجة يا وفاء

- وما العائق أمامك لتحصل عليه؟

- مبدئيًا، أنا أعرف مكانه، وأعرف المكان الذي سأسلكه للحصول عليه، وسأحاول أن أحصل عليه، وسنضم الكنزين مع بعضهما البعض وسنبدأ حياتنا بعيدًا عن كل هذا..

- وهل ستتركانك تفعل هذا دون أي عائق؟! وهل افترضت ولو مجرد فرضًا أنهما من المحتمل أن تعرفا أنك من فعلت ذلك؟

- وليكن.. بل بالعكس فسوف أؤكد لهما أنني من فعلت ذلك إن واجهاني.. ولن تستطيعا فعل أي شيء معي

- كيف؟ هل تمسك عليهم فديوهات أو ما شابه؟

- لا، فمعي الأقوى من الفيديوهات.. حبهم لي، وثقتهم في..

- وماذا بعد ذلك؟ ماذا سنفعل؟

- سنسافر بعيدًا بكنوزنا، وسنبدأ حياة جديدة، وسنتفرغ فقط للكتابة من الخارج، وسننشر أعمالنا في دور نشر كبرى لبنانية أو أجنبية، وسنترجم أعمالنا أو..

- مهلًا مهلًا.. وماذا ستفعل تجاه ريهام؟

- سأطلقها

- هل فكرت جيدًا في هذا الموضوع؟

- نعـم.. ومـا الـذي سـيمنعني لفعـل ذلـك؟ طالمـا أمتلـك الثـروة لا يعنينـي أي شيء، لا تعنينـي الكتابـة حتـى أو القـراء..

- حسنًا، وكيف ستحصل على ما وجدته عند ياسمين تلك؟

أشـعل سـيجارة لـه وأخـرى لهـا: لا أعـرف، ولكنـي أعـرف مدخـل خلفـي للفيـلا، وأعـرف مـكان الخزينـة وكلمـة الـسر

- ومتى ستذهب لسرقتها؟

- سـعل عـدة مـرات حتـى كاد أن تخـرج روحـه فلحقتـه وفـاء بكـوب مـاء حتـى هـدأ قليـلًا فقـال لهـا بوجـه محتقـن: سرقتهـا؟!! مـا هـذه الألفـاظ السيئة البذيئة التي تستخدمينها؟ هـذه ليست سرقة.. إنها حقي.. مقابـل حبهـا لي و...

- ومـاذا؟.. قاطعتـه.. وحبـك لهـا.. أليـس كذلـك؟!! ألم أقـل لـك إن عقلـك بـين فخذيـك؟.. ألم أخـبرك..

- مـاذا بـكِ يـا وفـاء؟ أول مـرة أراكِ غيـورة حمقـاء مثـل باقـي النسـاء؟ مـاذا حـدث لـكِ؟

- لم يحـدث شيء.. أشـاحت بوجههـا بعيـدًا ودمعـت عيناهـا فلاحظهـا مـروان وسـألها

- وفاء نعماااان نخلة تبكي؟!!

- العمر يمر بي يا مروان وكلما أفكر في محصلة ما أنجزته في حياتي لا أرَ سوى عاهرة تعيش سرًا مع رجل متزوج من أختها

- وكاتبـة عظيمـة رائعـة لم تصـل إلى مـا وصلتـه أي كاتبـة أخـرى.. ومـع ذلـك فأنـا لا أعاملـك كعاهـرة أو شيء مـن هـذا القبيـل، أنـتِ ملكـي وحبيبتـي، والدليـل هـو أنـك التـي اخترتهـا لتسـتمتع معـي بـكل الخـير القـادم.. لا تبكـي



أرجوك فأنا لست معتادًا على رؤيتك هكذا.. الحياة أمامنا واسعة وكبيرة والعمر سنقضيه سويًا.

- حسنًا يا حبيبي..

- هيًّا بنا.. سأذهب الآن للبيت للتفكير فيما سأفعله، وسأتصل بك حين تجد أي أمور أخرى

بعدما ترك مروان وفاء ظل يسير على غير هدى في شوارع الدقي حتى وصل إلى كوبري قصر النيل، ظل يفكر فيما سيفعله ومتى.. سأل نفسه هل فعلًا ما سيأخذه يسمى سرقة؟ انبثق منه شخصان يتشاجران أمامه؛ الأول نهاه عن فعل ذلك وحثه على استرجاع ما أخذه من نهال وأن يعود لحياته الطبيعية وزوجته وابنه، بينما الشخص الآخر كان الرجل ذو الجلباب الأبيض، استطاع بأقل مجهود أن يخرس الأول، وأقنعه أن كل ما فعله وسيفعله ليس إلا حقه، وإن كان سيظلم ياسمين فليكن، هي أيضًا ظلمت كل من حولها حين اصطحبته معها في الشقة، وتستأهل كل ما حدث وما سيحدث لها. واستطاع أن يقنعه أن ما سيفعله ليس إلا عدل الله في الأرض، ليس فقط مع ياسمين، وإنما أيضًا مع نهال، فهي أيضًا تستأهل ما حدث وما سيحدث لها، من طلب منها أن تأتي برجل غير زوجها إلى بيته وتنام معه على سريره؟ نفس الشيء الذي حدث مع أمه فكان عقابها الذبح.. اختفى الرجل فجأة فهز مروان رأسه حينئذٍ موافقًا على هذا الكلام.. ثم سرعان ما سأل نفسه هل يمكن أن تفعل زوجته مثلما فعلن كل هؤلاء؟! عاد الرجل بسرعة وحرك شفتيه ليتكلم، أرهف مروان له سمعه ثم ضحك ضحكة بصوتٍ عالٍ بدلًا من أن يتكلم.. فزاد الشك أكثر في صدر مروان الذي هز رأسه بعنف رافضًا فكرة خيانة ريهام له، رافضًا حتى التفكير في هذه الفكرة..



في نفس الوقت مرت من خلفه سيارة هيونداي سوداء اللون، يقودها د. نشأت وبجواره ريهام، التي تمسك بهاتفها:

- آلو.. الأديبة التي لا مثيل لها وفاء نعمان نخلة؟

- من معي؟

- أنا امرأة لم تتحدث معك أو تراكِ منذ أكثر من ثماني سنوات، لالالا أعتذر لكِ فقد أخطأت، لم تتحدث معك أو تراكِ منذ شهر تقريبًا، فقد رأيتك آخر مرة بدون ملابس، داخل شقتي، على سريري، تمتطين عضو زوجي ويديك مستندة على صدره أيتها العاهرة الرخيصة

- ريهام؟.. مممممم من المؤكد أنك اتصلتِ بي كيف تسمعين باقي ما كنت سأقوله لك يومها.. أليس كذلك؟

- لا.. بل اتصلت بكِ كي أخبرك أنني قررت أن أكشف سرقتك الثلاث روايات الأولى لك.. وسأفضحك أمام قرائك وسأوضح لهم كل الحقيقة

- بعد ماذا؟ هل تظنين أن أحدًا من قرائي سيصدقك؟ أنت نكرة، وأنا وفاء نخلة. وستكونين أمام الناس مجرد امرأة حمقاء تغير من أختها وتحقد عليها، أو التي كنت أختها.. لن يصدقك أحد.. أنتِ بائسة يا ريهام، انتي وأمك لستا سوى امرأتين بائستين.

- لا.. سيصدقوني حين أكتب رواية واثنين وثلاثة وعشرة، وسأثبت لقرائك أن التي كتبت أول ثلاث روايات نُشروا باسمك هو أنا، وسيثبت ذلك أكثر هو أن الروايتين التاليتين التي سرقتيهم ليستا بنفس المستوى، وأخيرًا أبشرك أن المكالمة مسجلة.

أغلقت وفاء المكالمة في وجهها، فضحكت ريهام وأخبرت نشأت بما حدث بالحرف.. ومضيا في طريقهما إلى البيت..

* * *



بعدما تمشى على كوبري قصر النيل، أكمل المسير حتى ميدان التحرير وشارع طلعت حرب حتى وصل إلى دار القضاء العالي واستقل تاكسي من هناك. حين وصل إلى البيت وأمسك مفتاح الشقة، ظل يفكر لهنيهة، ماذا لو دخل البيت الآن ووجد ريهام مع رجل آخر؟ هل سيذبحها أم سيذبح من معها أم سيذبحهما معًا؟!! وهل في هذه الحالة سيتم الحكم عليه بالإعدام أم ماذا؟.. غلى الدم في عروقه.

نفض رأسه مما يفكر فيه وفتح بسرعة كي لا تلحق أن تفعل أي شيء لو كانت مثلما فكر منذ قليل. دخل غرفة النوم فوجدها نائمة على بطنها مرتدية قميص نوم، وسمع صوت انهمار المياة داخل الحمَّام، ركض نحو الحمَّام وفتحه فجأة لكنه لم يفتح لأنه مغلقًا من الداخل.. ظل يطرق حتى كاد أن ينكسر وهو يصيح: افتح الباب أيها الكلب الضعيف.. افتح الباب.. استيقظت ريهام فجأة وهرعت إليه لتوقفه

- ماذا تفعل أيها المجنون؟ إن أمي بالداخل..!

نظر لها وقد شعر بالإحراج «ماذا؟ أمك.. كيف» قالها بينما تفتح حماته باب الحمَّام ومعها ابنه الذي كانت تحممه، صاحت فيه: ما الذي قلته وأنت تطرق الباب؟ هل تشك في ابنتي أيها الفاشل؟

- لن أرد عليكِ لأنك فقط في بيتي، كلمة أخرى وسأطردك من بيتي شر طردة.. قالها بصوتٍ عال فتدخلت ريهام

- ستطرد من يا مروان؟ أمي؟ أهذا هو ترحيبك بها، أهذه كلمة شكرًا التي تقولها لها مقابل جلوسها مع ابننا طوال اليوم؟!!

- وأين كنتِ؟

تلعثمت قليلًا قبل أن تجيب «كـ.. كنت عند الطبيبة كي أستشيرها في اختيار وسيلة منع حمل» قالتها وهي تبتسم ابتسامة ساخرة بجانب



شفتيها لم يلاحظها مروان الذي شعر أنه تحدث مع حماته بطريقة غير لائقة. حاول أن يتحدث إليها بتودد فصدته ودخلت غرفة النوم لترتدي حذاءها وترحل غاضبة بعد أن نظرت له باحتقار وقالت لريهام

- لقد أخبرتك قديمًا أن اختيارك له كان خاطئًا، ومهما حاولتِ تصنع غير ذلك لن أصدقك، فأنا أعلم جيدًا أنكِ تعسة مع هذا الفاشل.. نظر إلى أعلى بتحفز فاستطردت كلامها لابنتها: سأرحل، وإن كنتِ تريدين رؤيتي فلي بيت تستطيعين زيارتي فيه، أفضل من أن أهان هكذا..

بينما رحلت أمها، دخل مروان غرفته، فلاحقته ريهام: ما هذا الذي فعلته مع أمي؟ ألم تعرف كيف تتعامل مع سيدة كبيرة في السن؟ ألم تعرف كيف تعامل الأم؟!

نظر لها مليًا وقد اغرورقت عيناه: أتعايرينني لأني ليس لدي أم يا ريهام؟ فعلًا.. كنت مخطئًا حين أخبرتك بما حدث لي في طفولتي

- ماذا حدث لك؟ هل تريدني أن أصدّق ما قلته؟ كيف أصدقه؟

أقبل عليها وجذبها من شعرها واليد الأخرى من ذراعها بقوة: «ولماذا أكذب عليكِ أيتها العاهرة؟ لماذا أكذب عليكِ؟ فعلًا.. أختك كانت محقة حين قالت إنك بائسة

قالت له وهي تصرخ من فرط الألم: أختي..!! أختي التي نمت معها في شقتي دون أن تخشى الله، لم تزنِ فقط، وإنما تقيم علاقة غير مشروعة مع الملحدة العاهرة.. أقسم لك إنني سأفضحكما بعد أن أجعلها تكف عن الكتابة نهائيًا، وسأثبت لك أن ما نشرته هي رواياتي، وسأثبت لك أنك البائس وليس أنا.. أيها الفاشل



جن جنونه حين سمع كلمة فاشل وقد قالتها عدة مرات ومن قبلها أمها.. ظل يضربها ويصفعها على وجهها عدة مرات إلى أن وقعت على الأرض وأغمى عليها.. بينما استيقظ ابنهما وظل يصرخ وكاد يسقط من فوق السرير لولا أن لحقه وأعاده إلى سريره مرة أخرى قبل أن يعود إلى ريهام ليجرها إلى الحمَّام أسفل الدش ويفتحه لينهمر الماء فوقها وتفيق مفزوعة هلعة.. عاد بعدها إلى غرفة مكتبه ليخلع ملابسه ويمدد جسده، وأخذ يفكر بعمق فيما سيفعله غدًا، فظهر له الرجل عاقدًا يديه خلف ظهره قائلًا:

- ولماذا غدًا؟! أمها عند أختها، وهي الآن لوحدها في الفيللا، ولا ندري متى ستعود أمها، ربما غدًا، فماذا ستفعل حينها، سيكون الأمر مستحيلًا..

- ماذا تقصد، ماذا تريد أن تقول؟

- أريد أن أقول لك خير البِر عاجله، اذهب الآن، في الليل، وأنت تعرف طريق الدخول جيدًا، ومكان الخزينة وكلمة السر..

- لا أعلم هل أمشي وراءك أم وراء نفسي

- وما الفارق، ما أنا سوى نفسك يا صديقي..! قالها مندهشًا..

ظل صامتًا لنصف دقيقة بينما يتفرس الرجل في وجهه حتى قال بنبرة حازمة:

- لالالا، سأذهب غدًا.. قالها ونام على جنبه وظل يفكر لنصف دقيقة أخرى قبل أن ينهض ويرتدي ملابسه، ثم أخذ الحقيبة الرياضية التي تحتوي على ذهب نهال بعدما أفرغه في صندوق صغير، ثم أخذ مفاتيحه وطوى الحقيبة في يده ورحل في جنح الليل.. قاصدًا فيللا

ياسمين الإتربي.

استقل تاكسي إلى هناك ومشى بخفة بمحاذاة السور حتى وصل إلى الفتحة التي مهدتها له ياسمين من قبل. وعبرها، كان الظلام دامسًا في الحديقة، بينما ضوء خافت بداخل الفيللا في الدور الأرضي، أخذت دقات قلبه تتسارع حينها حتى كادت تشق صدره. تسلل في ظلام الحديقة عبر الأشجار وانتظر تحت إحدى الأشجار حوالي ساعة ونصف حتى أغلقت ياسمين ضوء غرفتها لتنام، انتظر ربع ساعة أخرى إلى أن اطمأن أن كل شيء ساكن، تسلل عبر شباك يطل على ردهة الفيللا، مشى بخفة وتؤدة حتى المدفأة ودفعها جانبًا دون أن يصدر منه أي صوت حتى لاحت أمامه لوحة أرقام الخزينة، حينئذٍ نسي تمامًا تاريخ اليوم الذي أرسلت فيه أول بريد إلكتروني، وقف مشدوهًا أمام الخزينة كتلميذ خائب، لم تمر سبع دقائق حتى تذكر وكتب التاريخ على اللوحة فأضاءت لمبة جانبية صغيرة باللون الأحمر دلالة على أن كلمة السر خاطئة، عكس الأرقام فأضاءت باللون الأخضر، وانفرج باب الخزينة لتنفرج معه أساريره.

لم يكد يمد يده حتى تفاجأ بيدٍ توضع على كتفه رغم أنه كاد أن يموت بالسكتة القلبية لكنه جذب اليد وانطلقت صرخة فكتم صوتها وأنفها، حاولت المقاومة والتخلص من قبضته لكنها لم تستطع، بينما كان مروان يحكم قبضته أكثر فأكثر، لاحت أمامه فكرة إما أن يهرب، أو يكمل ما بدأه، لكنه أدرك أنه الآن ليس بوسعه أن يهرب، ويجب أن يكمل ما انتوى فعله حتى النهاية. حتى تفاجأ أنها سكتت تمامًا وخفتت مقاومتها وتوقفت فسقطت بين يديه، لم يكن يمتلك رفاهية



الوقت ليتأكد إن كانت قد ماتت أم أغشي عليها فقط.. فتح الحقيبة ودس بداخلها كل ما كان بداخل الخزينة، وفر هاربًا لا يلوي على شيء..

بعدما خرج من الفيلا مشي بمحاذاة السور وهو يشعر أن كل سكان مصر خلفه ينظرون إليه، لكنه رغم ذلك لم ينظر خلفه.. إلى أن خرج على الطريق واستوقف تاكسي قاصدًا البيت..

في الطريق أمسك هاتفه: وفاء، غدًا في الصباح الباكر احجزي غرفتين متجاورتين في أي فندق

- حسنٌ يا حبيبي، ولكن لماذا؟ كانت تتحدث إليه وبالكاد تلتقط أنفاسها فسألها

- لماذا تتحدثين إليَّ هكذا بأنفاس لاهثة، ماذا كنتِ تفعلين؟

- لا لا لم أكن أفعل شيء، فقد كنت فقط بالخارج ودخلت شقتي للتو.. هـ هل لديك مانع أن تبيت عندي الليلة؟ فالجو مهيأ تمامًا..

- حقًا؟ وأين البواب؟

- سافر اليوم، هو وأسرته، إن كنت ستأتي سألقي لك مفتاح بوابة العمارة لتدخل مثلما كنت تفعل قديمًا

- لا يا حبيبتي.. ليس اليوم، فالليالي الجميلة قادمة.. المهم نفذي ما قلته لكِ، استيقظي غدًا واحجزي غرفتين متجاورتين، سأذهب أنا الآن لأستريح وأيضًا لأطلّق ريهام وأعطيها حقها.. ولا تنسي أن تجهزي أيضًا جواز سفرك، لأننا في الأغلب سنسافر غدًا..

- حاضر يا حبيبي

ظل بعدما أغلق الهاتف يفكر، ترى من هذه التي قاومته، هل ياسمين، أم أمها وقد عادت قبل موعدها؟ أم المربية؟.. ظل يفكر



بعدها مسترجعًا كل لحظة مرت، هل نسي شيئًا أم لا..! أيضًا فكر في نهال، هل علمت الآن بسرقة الذهب أم لم تكتشف سرقته بعد؟ هل أحس زوجها بشيء؟ هل أخبره الطفل بما رآه أم لا؟ شعر بعد وقت طويل من التفكير أن رأسه أوشكت على الانفجار، والدم يتدفق بقوة إلى صدغيه ورقبته، فأرجع رأسه إلى الخلف وأغمض عينيه دون أن ينام..

وصل البيت فوجد ريهام نائمة وبجوارها ابنهما أغلق عليها الباب قبل أن يدخل غرفة مكتبه وأغلق على نفسه من الداخل، أوصل هاتفه بالشاحن ووضع الحقيبة الممتلئة بالنقود تحت السرير ثم ألقى بنفسه على السرير ومدد جسده ليفكر فيما سيفعله غدًا.. حتى اقترب الفجر وغاب عن الوعي تمامًا..

في نفس الوقت..

ظلت ياسمين تنادي على المربية كي تحضر لها ابنها فلم تجب، اتصلت على هاتفها فسمعته في الأسفل دون مجيب، خرجت من غرفتها ونزلت في الأسفل لتجد الفوضى في كل مكان، والمدفأة مزحزحة والخزينة مفتوحة، هرعت للداخل فوجدت المربية مسجاة على الأرض، ارتبكت وارتعدت فرائصها من الخوف، انحنت على صدرها لتسمع أي نداء للقلب، في نفس الوقت الذي سمعت فيه ابنها يصرخ في الأعلى، فهرعت له لتهدئه..

حاولت التفكير لكنها لم تستطع، شكّت في البداية أن مروان هو الذي فعل ذلك، وبالفعل، وقعت عيناها على الفتحة التي بالسور،



وبعض الحشائش مبعثرة للخارج، فتأكد لها ما كانت تظنه.. خصوصًا لأنه هو الوحيد الذي يعرف كلمة السر بعدما أخبرته بها..

مروان جبر؟!!

«لماذا فعل ذلك؟ فقد كنت سأعطيه كل ما أملك بعدما نتزوج دون اللجوء إلى كل ذلك..!» اتصلت به على الفور فلم يجب.. أعادت الاتصال عدة مرات فلم يجب أيضًا، فكرت ماذا ستفعل الآن؟ فهي لم تعرف مكان منزله، جرَّت جسد المربية إلى جوار السلم وأمسكت هاتفها مذعورة..

***

الساعة السابعة وأربع دقائق صباحًا

استيقظ مروان وقد شعر أنه نام كأهل الكهف، أخذ حمَّامًا وصنع آخر كوب قهوة سيحتسيه في هذا المنزل قبل أن يلتقط حقيبته الممتلئة بالملايين، انفرجت أساريره حينما فتح الحقيبة ورأى رِزَمَ النقود فئة مئتين جنيه، رغب في عدِّ كل ما في الحقيبة لكنه سمع صوت الرجل الذي يتجسد أمامه يسأله: كيف؟! كيف ستعدهم يا مروان؟ إنهم ملايين؟!

لم يكترث مروان له، رفع رأسه ناظرًا إلى السقف وظل يفكر، لم تمر ثوانٍ حتى اهتدى بتفكيره إلى أن يمسك رزمة واحدة ويعدَّها، فوجدها أن الرزمة مئة ورقة فئة مئتين جنيه، وضعها جانبه وعدَّ الرزمات في الحقيبة فوجدهم مئة وخمسين رزمة، حَسَبَ المبلغ في ذهنه ليجده ثلاثة ملايين جنيه..!

رمق الحائط شزرًا، متذكرًا أنها أخبرته بورثها والذي كان سبعة

ملايين دولار من زوجها، وثلاثة ملايين من والدها، أي أنه سرق المبلغ الأقل، سمع صوت الرجل وقد عاد إليه مرة أخرى فالتفت إليه مروان متلهفًا لنصيحته: لا تفكر في الذهاب إليها ثانيةً.. لا تفكر في ذلك..

اندهش من كلامه، متوقعًا أنه سيطلب منه العكس. استطرد الصوت: قم الآن وأكمل ما كنت ستفعله فالوقت ليس في صالحنا جميعًا!

أومأ له مروان برأسه وهو فاغرًا فاه وقد تفصّد جبينه عرقًا.. أعاد المال إلى الحقيبة مرة أخرى بعد أن أخذ منه ثلاثين ألف جنيه وضعهم جانبًا على الكومود قبل أن يلفت انتباهه صوت ابنه وهو يصرخ. ذهب إلى غرفة النوم فوجد ريهام لازالت نائمة تصدر شهيقًا وزفيرًا ينم عن تعبٍ وشقاء، التقط الطفل من السرير وظل ينظر له سائلًا نفسه «هل هذا الطفل ابني أم ابن شخصٌ آخر؟!» شخص نظره إلى ريهام وهي نائمة متسائلًا: «هل خونتِني أم لا يا ريهام؟ ابن من هذا الطفل يا ريهام.. عمومًا لا يهم الكلام الآن»

- ريهام.. ريهام

نادى عليها بحدة وهو يلكزها في كتفها فاستيقظت مُنتفِضة، أعطاها الطفل بعدما هدأ واستنام، وضعته بجوارها دون أن تنظر له أو تقول كلمة وعاودت استئناف نومها فأمسك يديها وقبّلها، نظرت له باندهاش، لم يعطها فرصة ليطول اندهاشها وطلب منها أن تتبعه إلى غرفة المكتب، فتبعته إلى هناك.

أخذها في حضنه وضمها إليه بقوة، بينما كان ينظر لها بجانب





عينيه الممتلئتين بكره وحقد دفين، أجلسها على الأريكة وهمَّ ليخلع ملابسها، قاومت في البداية لكنه نزع ملابسها بإصرار، فامتثلت، ظنًا منها أنه يريد مصالحتها وندم على كل ما سبق. حملها ووضعها على سريره وضاجعها مفرغًا شهوته في دقائق معدودة، مدد جسده بجوارها يفكر كيف يبدأ كلامه، وضعت يدها بحنان على صدره وذقنه وظلت تنظر له قائلة:

- لماذا يا مروان؟ لماذا مهما فعلت بي أعود وأسامحك كأن شيئًا لم يكن؟!

نظر لها نظرات خالية من أي شيء فأردفت وهي تلامس براحة يدها خده: لأنني فقط أحبك، ولن تجد في هذه الدنيا من يحبك أكثر منّي، أحببتك من أول مرة رأيتك فيها في المكتبة، عشقتك، لست أغالي إن قلت لك لو أذن الله لي أن أعبد شخصًا بعده، لكنت اخترتك أنت لأعبدك.. أنت كل شيء في..»

قاطعها بهدوء، ونظرة لا تخلو من صرامة:

- حبيبتي ريهام.. أنتِ طالق.

نهضت وابتعدت عنه فجأة ولا زالت عارية، جحظت عيناها مما سمعته ومن هول مفاجأته لها، حشر كل الكلام في حنجرتها ولم تستطع التحدث بكلمة.. فطلقها مروان الطلقة الثانية: أنتِ طالق يا ريهام

كانت كلماته بمثابة سكينًا ثلمًا يذبحها ببطء.. كان وقعها عليها كالصاعقة، رغم ذلك ظلت متماسكة. رغم الدموع الغزيرة التي انهمرت من عينيها، لكنها لم تقل له كلمة واحدة، استطرد بنبرة واثقة وهو يلتقط من الكومود بجواره الثلاثين ألف جنيه وأعطاهم لها:

خذي هذا المبلغ، ثلاثون ألف جنيه، عشرون ألفًا مؤخر صداقك، وعشرة آلاف نفقة لكِ ولابننا، ابننا الذي لا أعرف إن كان بالفعل ابني أم لا..

همّت لتدافع عن نفسها لكنه وضع أنامله على شفتيها ليكمل كلامه: لا يهمني الآن إن كان ابني أم لا.. كل ما يهمني أن تكوني سعيدة بعد الطلاق، كان يجب أن ننفصل منذ زمن، وأعتقد أنه قد حان الوقت لذلك.. الشقة ستعيشين فيها مع ابنك لن آخذها منكِ، وسأتصل بكِ كل فترة لأطمئن إن كنتِ تريدين أي شيء..

حاولت التحدث لكنه قاطعها بنفس النبرة الهادئة: لا تتكلمي بحرفٍ واحد.. ششششش.. لا تتكلمي.. والآن اخرجي وارتدي ملابسك فالآن لا يصح أن أراكِ عارية هكذا، وأريد أيضًا أن أرتدي ملابسي، فلا يصح أيضًا أن أكون هكذا أمام امرأة لا تحل لي، وأنتِ تعرفين جيدًا أنني لست معتادًا على ذلك..

اهتز بدنها برجفة محمومة وهي تحاول عبثًا كبح دموعها، نظرت لجسدها العاري وشعرت كم هي رخيصة في عينيه فابتعدت مذعورة وانفجرت فجأة في البكاء وهي تردد:

- منك لله يا مروان.. حسبي الله ونعم الوكيل فيك... نظرت لأعلى وظلت تردد بحرقة وقد تهدج صوتها وهي تشير له بسبابة مرتعشة: اللهم أرني في هذا الرجل عجائب قدرتك وخذ لي حقي منه فقد ظلمني كثيرًا..

«اللهم أرني في مروان عجائب قدرتك وخذ لي حقي منه فقد أطفأني وسلب مني كل شيء»

لم تتحرك لـه شعرة أو تصدر منه نأمة، بمجرد أن خرجت أغلق الباب على نفسه من الداخل، جمع كل كتبه في مكانٍ واحد وبحث عن حقيبة يضع فيها هذه الكتب لكنه عدل عن أخذهم بعد أن تذكَّر أن معه ملايين يستطيع بها شراء كل هذه الكتب مرة أخرى بعدما يصنع حياته الجديدة.

وبينما لم تزل ريهام تبكي بحرقة في غرفة النوم، كان يرتدي ملابسه وهو يسمع صوت صراخ ابنه وبكاءها ودعاءها عليه، أخذ الحقيبة والذهب قاصدًا أحد المتاجر ليبيع الذهب أولًا، أخبره الجواهرجي - مستغلاً تعجله - أن قيمته حوالي مئة ألف جنيه، لم يجادل معه وباع له على الفور ووضع المبلغ في الحقيبة مع الأموال الأخرى قبل أن يذهب إلى البنك ليفتح حسابًا ويودع كل ما معه فيه، حينما وجد الموظف أن المبلغ ضخم، غاب عنه لدقائق ثم عاد له مرة أخرى وأخبره أن مدير الفرع يريد الجلوس معه والتحدث إليه، فذهب معه إلى مكتبه الذي ما إن دخله حتى انتفض المدير من كرسيه ليصافحه بحرارة:

- مرحبًا بك يا أستاذ مروان، لماذا غبت عنا بروايتك الجديدة هذه المرة يا أديبنا؟! تفضل اجلس

كاد مروان أن يبصق في وجهه فهو لا يملك الوقت كي يتحدث مع أحد في هذه الهراءات، لكنه أجابه بلباقة مرغمًا:

- بداية أنا سعيد بمتابعتك أعمالي، ولكنني لن أغيب طويلًا، شهرين أو ثلاثة أشهر وستنشر روايتي الجديدة

- إن شاء الله، سأنتظرها أنا وعائلتي بشغف... تحول وجه الرجل من الابتسامة البلاستيكية إلى الصرامة: كنت أريد من سيادتكم إثبات

مصدر هذا المبلغ، لأنك كما تعرف؛ فالبنك المركزي هذه الأيام صارمٌ في هذا الشأن بعدما تعددت حالات غسيل الأموال

- إثبات ماذا؟!!.. أجابه متعجبًا وبدأ يشعر بغصة في معدته، هذا المبلغ ربحي من رواياتي

- معذرة يا أستاذ مروان، ولكن هذا ليس كافيًا.. رمق الموظف بنظرة حادة أدرك منها أنه يريده أن ينصرف، فانصرف وأغلق الباب وراءه. اقترب مدير الفرع برأسه من مروان قائلًا له بنبرة لينة: لكن إن أردت أن أساعدك في التخلص من هذا المأزق فلا تقلق بهذا الشأن

- وما المقابل إذًا؟

- عشرة بالمئة من إجمالي المبلغ، وبالمناسبة لن تجد أي مدير بنك غيري لديه الاستعداد لفعل ذلك غيري.

كان مروان لديه الاستعداد أن يتنازل بسهولة عن عشرة بالمئة مقابل أن يودعهم لديه، لكنه خشي من الإقدام على الفكرة، ومن كلمة «غسيل أموال» ، وخشي أكثر من هذا الرجل الذي بدا على وجهه كل أمارات الشك والريبة. حك ذقنه بيده متظاهرًا أنه يفكر، ثم أخبره إنه سيفكر في الأمر، عرض عليه الرجل مُلِحًا نسبة سبعة بالمئة.

- جيد، سأحضر غدًا بعدما أستأذن من شركائي.. شكرًا لك

قالها وأخذ حقيبته وغادر البنك بعدما أعطاه الرجل كارته الشخصي. وقف في الشارع بالحقيبة لدقيقتين يفكر فيهما أين سيذهب وكيف سيخفي سريعًا هذه التهمة التي في يده. فالوقت ليس في صالحه كما أخبره الرجل ذو الجلباب الأبيض من ساعات.. قفز في ذهنه صديقه نشأت، والخزينة التي في مكتبه. طرأت فكرة في عقله للتوّ فأخرج هاتفه من جيبه واتصل به: نشأت، كيف حالك يا صديقي؟

- بخير يا مروان، كيف حالك أنت؟ أجابه بصوت كسول وهو يتثاءب

- الحمد لله، كنت أريدك في خدمة، هل تتذكر الخزينة التي في مكتبك؟.. سأله مرتبكًا

- أتذكرها كيف؟! ماذا تريد يا مروان؟

- كنت أريد أن أودع فيها حقيبة بها مبلغ كبير، أعطاني إياه صديق غالٍ مثلك، طالبًا مني أن أحفظه عندي، ولكنني سأسافر اليوم أو غدًا لمقابلة دور نشر أجنبية، فهل أستطيع أن أحفظ تلك الحقيبة لديك شهرًا أو شهرين على أكثر تقدير؟ مع الاعتبار أنني لا أئتمن أي شخص على هذا المبلغ غيرك أنت.

حاول نشأت رفض طلبه لكن بعد إلحاح مروان وافق على مضض وأخبره أن يأتي له عند الساعة العاشرة مساءً..

- لا لا لن أستطيع الانتظار إلى الساعة العاشرة، سأقابلك في العيادة بعد نصف ساعة من الآن. أعرف أنني أحمّلك فوق طاقتك وأنك نائم الآن، ولكن ليس لدي وقت.. وورائي آلاف الأشياء التي لم أفعلها إلى الآن، وكما قلت لك، ليس لدي صديق أقرب منك كي أحفظ عنده هذا المبلغ، بل ليس لدي أي صديق غيرك وأنت تعرف ذلك جيدًا..

قاطعه نشأت: حسنٌ، حسنٌ اسبقني إلى هناك وسألحق بك.. لا أعرف لماذا أنا صابر على صداقتك إلى الآن. قالها مازحًا، أغلق مروان الهاتف قبل أن يستقل تاكسي إلى الفجالة برمسيس، ليشترى حقيبة سامسونيت كبيرة الحجم، مزودة برقم سريّ. أخذها واستقل تاكسي آخر إلى عيادة صديقه الذي قابله عند الباب وهو يفتحه ودخل قبله وهو يتحدث إليه دون أن ينظر وراءه..

- كم المبلغ الذي تريد إيداعه في الخزينة يا مروان؟

- ثلاثة ملايين جنيه.. توقف نشأت فجأة والتفت له

- أتكلم بجد، كم المبلغ الذي معك؟

- أقسم لك إن المبلغ ثلاثة ملايين جنيه، بل وأكثر قليلًا.. قالها وهو يضع الحقيبة الرياضية على المكتب ويفتح الحقيبة الأخرى «السامسونيت»

سأله نشأت مشدوهًا وقد تصبب جبينه عرقًا: من هذا الذي استأمنك على ذلك المبلغ لإيداعه معك؟!! وكيف؟!

أخذ مروان يرص الرزمات بنظام، بعضها فوق بعض في الحقيبة: صديق لي قد استأمنني عليه إلى أن يعود بعد ثلاثة أشهر، ولا تسألني كيف، فقد استأمنني مثلما استأمنك أنا الآن

- ليس غريبًا أن تستأمنني، فأنا أهل لهذه الثقة بالتأكيد.. أما أنت.. فلا أحد يستطيع الوثوق بك من هنا إلى آخر هذه العيادة.. قالها مازحًا فضحك مروان مجاملة حتى انتهى من رص آخر رزمة قبل أن يغلق الحقيبة ويضبط الرقم السري ليمد يده بها وهو يبتسم قائلًا:

- ها هي الأمانة يا صديقي، سأسافر كما قلت لك، وسأعود قريبًا جدًّا لآخذها منك.. شهر أو اثنين على أكثر تقدير

- احرص على نفسك يا مروان، ولا تمشِ في أي طريق حرام

التقت العين بالعين فابتسما قبل أن يعانقا بعضهما البعض ورحل..

ما إن غادر العيادة، تنفس الصعداء وشعر أنه أخف بكثير مما كان عليه منذ قليل. ذهب إلى أحد المطاعم ليتناول ساندوتش همبرجر بالبيض وعصير تفاح بالقرفة، جلس بعد ذلك على أحد المقاهي ليحتسي فنجان قهوة يمده بالكافيين اللازم ليساعده على استكمال يومه، ما إن جلس





وهو ينادي على النادل طالبًا قهوة سادة، حتى أمسك هاتفه ليتصل بوفاء التي أجابته بصوتٍ كسول «آلو»

- ما هذا يا وفاء، أمازلتِ نائمة حتى الآن.. صاح مستغربًا

- الساعة لم تزل العاشرة يا مروان، لازال أمامنا وقت.. قل لي، متى ستذهب إلى الفيلا لتنفذ ما أخبرتني به؟

- لقد نفّذت بالأمس، وكل شيء على ما يرام ماعدا شيئًا واحدًا

- نفذت؟ كنت أشعر أنك نفذت أمس حينما اتصلت بي في الليل.. قالتها بارتباك ثم سألته بنبرة خائفة مرتبكة: وما هو هذا الشيء الذي ليس على ما يرام؟!

أجابها بنبرة هادئة بوجه متجهم: لقد قتلت..

- قتلت..!! قتلت من؟

جاءه النادل ووضع القهوة أمامه فسكت مروان إلى أن رحل بعيدًا، فأجابها بصوتٍ خافت:

- لا أعرف.. أعتقد أنني قتلت والدتها أو المربية، وربما ياسمين نفسها، فقد كان الظلام دامِسًا ولم أرَ من قتلتها، ولكن وردتني مكالمات من هاتف ياسمين، على كل حال هيًا استيقظي وجهزي نفسك الآن، وجهزي كل أوراقك أيضًا كما طلبت منك بالأمس، لأننا سنختفي اليوم إلى أن نشتري تذاكر السفر..

- حسنًا.. حـ.. حسنًا.. وبالنسبة لـ..

قاطعها: سأكون عندك بعد نصف ساعة من الآن

احتسى فنجان القهوة ثم غادر المقهى ليستقل تاكسي قاصدًا وسط البلد، لم يكد يركب حتى اتصلت به ياسمين عدة مرات طوال الطريق إلى أن رد عليها بعد تردد




- آلو.. ماذا تريدين

- لماذا فعلت ذلك يا مروان - سألته باكية - ألم أخبرك أن حياتي كلها لك؟ ألم أعدك أنـ..

قاطعها بنبرة حادة: أنصتي لي جيدًا أيتها العاهرة، أنا لا أعرفك ولم أرك أو أسمع عنكِ من قبل، وأحذرك من أن تتصلي بي مرة أخرى

أغلق في وجهها الهاتف، اتصلت بعدها عدة مرات فلم يجبها حتى وصل إلى جروبي واتصل مرة أخرى بوفاء فأخبرته أنها في دار النشر توقّع لهم على استلام نسبتها من الطبعتين الأخيرتين، وستكون عنده بعد نصف ساعة، فاحتسى فنجان قهوة اسبريسو، لم يكد النادل يضعها أمامه حتى لمحها تقبل عليه من الخارج، سألها مندهشًا:

- لماذا أتيت من جهة اليمين، ألم تكوني عند دار النشر في العمارة التي على يسار جروبي؟!

أجابته متلعثمة: نعم، كنت هناك، ولكنني مررت على مكتبة الشروق كي أشتري ديوان أمل دنقل

- أمل من؟!! هل هذا وقت دواوين؟! وأين هو هذا الديوان إذًا؟

- لم أجده.. المهم.. ماذا فعلت وكيف أخذت قرار التنفيذ بالأمس في الليل؟

- سأخبرك بكل شيء لاحقًا، الأهم الآن هل حجزتِ غرفتين في أي فندق إلى أن نخرج خارج هذه المخروبة؟.. قالها وقد تصبب عرقًا.

- نعم.. فعلت ذلك، وأحضرت جواز سفري اليوم، هل تريد شيئًا آخر

- لا.. كل شيء على ما يرام، والآن يجب أن نغادر هذه المخروبة بأسرع وقت

مدت يدها في حنو لتمسح العرق المتفصد على جبينه ورقبته: نستطيع أن نذهب إلى أحد مكاتب حجز تذاكر السفر ونسأل عن أقرب وقت نسافر فيه إلى أي بلد، منطقة وسط البلد مليئة بمثل هذه المكاتب، وإن وجدنا فرصة للمغادرة اليوم فخير البر عاجله ولن نحتاج إلى إقامة في فندق ولو لساعة واحدة

أمسك يدها وطبع قبلة في باطن كفها: حسنًا، هيًا انهضي الآن

دفع حساب القهوة التي طلبها ولم يحتسِها ورحلا قاصدين مكاتب لحجز الطيران، وفي النهاية بعد ساعتين تفحصا فيهما المواعيد في عدة مكاتب، وجدا تذكرتين شاغرتين لليونان تم إلغاؤهما من أحد المسافرين، وستقلع الطائرة في تمام الساعة التاسعة مساءً، أعطاه جواز سفرهما ودفع قيمة التذاكر والخدمة ليقوم المكتب بعمل كل شيء بالنيابة عنهما، كان ذلك قبل أن يذهب الى أقرب مكتب مأذون ليطلق ريهام رسميًا وكلفهم أن يرسلوا لها قسيمة طلاقها على عنوانها بعد ذلك

***

يوم الأحد ١٠/ ١٠/ ٢٠١٠ ـ مطار القاهرة ـ صالة المسافرين

الساعة الثامنة وستة وأربعين دقيقة

على جميع الركاب المسافرين إلى اليونان، الاستعداد، حيث ستقلع الطائرة بعد خمس عشرة دقيقة

حين صدح ميكروفون الإذاعة الداخلية بمطار القاهرة بتعليمات المسافرين، كان مروان جبر ووفاء نعمان نخلة عند شباك جوازات السفر لختم الباسبور استعدادًا للذهاب إلى الطائرة.. بعدما ختم الموظف جوازاتهم لاح من وراء ظهره ضابط شرطة ينظر إليهما:

- حضراتكم أستاذ مروان جبر وأستاذة وفاء نخلة؟

- نعم يا حضرة الضابط، خير؟



- هل تسمحان بتشريفنا في غرفة شرطة المطار قليلًا؟

ارتبكت وفاء ولم تدر ماذا تفعل أو تقول، بينما نظر مروان إلى ساعته قائلًا للضابط:

- الطائرة ستقلع بعد عشر دقائق، ليس لدينا وقت، هل أستطيع أن أعرف ماذا تريدون؟

- سنخبرك هناك، من فضلك تعال معنا دون أي مقاومة

- مقاومة..! رددها وراءه مروان مندهشًا ولم يستطع أن يزدرد ريقه، وهو ينقل نظره بينه وبين وفاء، هزّ رأسه وأمسك يد وفاء ومشيا بصحبة الضابط، كل منهما شرد في أشياء كثيرة، رَأَيا أمام ناظريهما شريط سينمائي فيه آخر شيء فعلاه آخر ثلاثة أيام، فلم يجدا شيئًا مبشرًا، وبالذات مروان.

جلسا في غرفة التفتيش أمام حقائبهما ويفتشهم أمين شرطة، قبل أن يأتي ضابط آخر، أعطى ورقة ما إلى الضابط المتواجد في المطار، فختم له عليها ثم أقبل ثلاثة أمناء شرطة أمسكوهما من ذراعيهما فثارت ثائرة مروان..

- ما هذا، ماذا تفعلان؟ ألم تعلما من نكون؟ كيف تعاملونا هذه المعاملة وإلى أين ستأخذوننا؟!!

- ستعرف كل شيء في النيابة.. أجابه الضابط بحزم

كان في انتظارهما سيارة شرطة في الخارج، دفعاهما أمناء الشرطة إلى الداخل وركبا معهما، حتى وصلا إلى قسم شرطة النزهة، ألقاهما أمناء الشرطة والضابط الذي معهما في إحدى الغرف المعلق على بابها يافطة مطموس بعضها كانت نحاسية لامعة يومًا ما، مكتوب عليها «الملازم خالد الكحكي»، ما إن رآهما حتى نظر لهما بوجهٍ متجهم قليلًا، عاقدًا



يديه وراء ظهره وأخذ يتفرس فيهما حتى انطلقت منه ضحكة رجّت دواخلهما ووصل صداها إلى الدور السفلي في القسم..

- هل تظنان أن بإمكانكما الهروب؟ هكذا؟!! أقسم لكما بحياة أمي، سأريكم ما لم ترياه يومًا في حياتكما قط، هل تعرفان غرفة الإنعاش؟!!

- ما هي غرفة الإنعاش؟ وكيف تتحدث معنا بهذه الطريقة، أنا الكاتب مرو..

- حتى ولو كنت نجيب محفووووظ، لا أحد هنا فوق القانون، ولا أحد يستطيع الهروب من جرائمه ويسافر اليونان.. قالها وأطلق ضحكة أخرى، أردف: أقسم لك لولا الأوامر منعتنى أن أنعشك، لكنت جعلتك تشاهد غرفة الإنعاش صوت وصورة.

اقترب من وفاء وقد سال لعابه حين خطف نظرة إلى مفرق صدرها، اقترب منها ونظر لها بنظراتٍ شاخصة لثوانٍ قبل أن يطلق ضحكة أخيرة ويرن الجرس للعسكري بالخارج، فدخل منكسرًا مرتعشًا..

- تحت أمرك يا خالد بيه

- خذهما على الغرفة المقابلة، وأرسل لي وليد دبرياش من غرفة الحجز.

بمجرد أن دخلا الغرفة المقابلة، أغلقها العسكري عليهما، وقد هرب الدم من عروقهما، سألته وفاء بشفتين مرتعشتين:

- مروان.. هل تتذكر إن كنت تركت وراءك دليلًا حين كنت عند ياسمين أم لا؟

- لا.. لا أتذكر، ولكني كنت أرتدي قفازًا، صمت قليلًا ثم استكمل: ولكني لا أظن أن وجودنا هنا بسبب هذا الموضوع

- وماذا تظن إذًا؟!



لم يـرد عليهـا، شرد بعقلـه بعيـدًا، بعيـدًا جـدًّا.. مـرَّ أمـام عينيـه كل مـا حـدث حينـما كان عنـد نهـال، وقارنـه بمشـهد والدتـه المقتولـة، تذكـر جيـدًا مـا قالـه لـه الرجـل ذو الجلبـاب الأبيـض، أنـه بالفعـل تـرك عقـب سـيجارة في شـقة نهـال، وكارنيـه عضويـة اتحـاد الكتـاب وعليـه صورتـه واسـمه، ربـما قتلها زوجهـا واستوقفوه ليستجوبوه!! وربـما يُتَّهَـم هـو بجريمـة القتـل هـذه في حالـة هـروب زوجهـا..! والأطـرف مـن ذلـك هـو أنـه هـرب بجلبـاب أبيـض هـو الآخـر.

«تحدث الأشياء العظيمـة في حياة الإنسـان مرتـين، مـرة بشـكل مأسـاوي والأخرى بشـكل هـزلي..!!!»

تـرددت هـذه الجملـة عـلى مسـامعه قبـل أن يقـول لوفـاء بنـبرة بطيئـة ولم يـزل شـاردًا:

- أظـن أن الموضـوع يتعلـق بنهايتـي يـا وفـاء.. أرى حبـل المشـنقة الآن يلتـف حـول رقبتـي..

وضعـت يدهـا عـلى سـاعده وهمّـت أن تتحـدث فقاطعهـا: لا تسـأليني كيـف أرى ذلـك.. لا تسـأليني.. كل مـا أسـتطيع إخبـارك بـه الآن أنـك خـارج هـذا الموضـوع، فـكل شيء خـاص بي أنـا.. ونهايتـي اقتربـت.

قضيـا هـذه الليلـة في القسـم، عـلى الأرض، ومربـوط كل منهـما بأصفـادٍ حديديـة مربوطـة في الجانـب الآخـر بجنـش مثبـت في الحائـط..

كل منهـما رأى في أحلامـه كوابيـس، جعلـت وفـاء تسـتيقظ كل نصـف سـاعة تقريبًـا عـلى صرخـة، فتبكـي حينـما تكتشـف أن مـا حلمـت بـه مـا هـو إلا جـزء مـن الحقيقـة الواقعـة فيهـا الآن، ولم تكـن مجـرد أحـلام كـما رأت.

أمـا مـروان فلـم ينـم خمـس دقائـق متواصلـة، ظـل معلقًـا نظـره في السـقف، وكل الأفـكار والظنـون والاحتـمالات تتحـرش بعقلـه. أخـذ يفكـر كثـيرًا في



ابنه الذي استطاع بمنتهى السهولة أن يبعد عنه ويسافر من أجل لا شيء، وزوجته التي تحبه أكثر من حبها لنفسها، وضحّت بالغالي والثمين من أجله، اختلج قلبه غمًا وسأل نفسه كيف باعهما هكذا في طرفة عين..! هل هذا القرار كان صائبًا؟!

في قرارة نفسه، كان يريد أن يبكي على ما فعله طوال حياته، بئر عميقة من الكذب والخداع والخيانة كان غارقًا فيها حتى أذنيه، لكن عزة نفسه واعتداده بها منعاه من البكاء، تمنى لو رأى الرجل ذا الجلباب الأبيض حينئذٍ، لكنه لم يظهر له. لم يظهر له سوى أفعاله التي تجسدت أمام ناظريه وحدثت أمام عينيه مئة مرة، إلى أن أرسلت الشمس أولى خيوطها ففزعا حين فُتِح الباب عليهما، لم يكن سوى الملازم خالد الكحكي، ولاح من وراء كتفه عسكري طويل البنية، كث الشارب، فك قيود ووفاء واقتادها إلى الخارج، أمسك مروان فيها وهو يسأله: إلى أين ستأخذها؟.. فصرخ فيه خالد الكحكي: ما الذي تقوله هذا يا ابن العاهرة؟ أتظن أنك هنا في جروبي؟!!

رحل الضابط بينما جذبها العسكري بعد أن فك يد مروان من ساعدها واقتادها إلى مكتبه..

بعدما دخلت مكتبه جلس على مقربة منها وظل ينظر لها بعد أن انزاحت البلوزة التي ترتديها إلى أسفل قليلًا، فظهر جزء من صدرها جعل خالد معلقًا نظره عليها يتفحصها حتى نهض واقترب بوجهه من وجهها يتنسم رائحة عطرها وقد تلاقت عيناه بعينيها قبل أن يمد يده إلى مفرق صدرها لثوانٍ قبل أن يتسلل كفه تحت حماله صدرها. بينما كانت وفاء مرتجفة وأخذ جسدها يرتعش وهي تنظر له بنظراتٍ مذعورة، لدرجة أنها لم تشعر بكفه وهو قابضًا على صدرها إلا بعد نصف دقيقة



تقريبًا، استقام ظهره ورفع يده عنها قبل أن يجلس مرة أخرى على مكتبه ويمسك خنجرًا يمنيًا وهو يسألها:

- ما هي طبيعة علاقتك بأختك؟

همّت لتجيبه فقاطعها بنبرة جادة مُحذرًا: إن تحدثتِ لي بأي حرف كاذب، سأستكمل استجوابك وأنتِ عارية ومعلقة بين كرسيين، وإن أردتِ الصراحة أنا أتمنى ذلك..

ازدردت ريقها بصعوبة قبل أن تجيبه بلسان المسكنة: لم يكن بيني وبينها سوى كل خير، حتى حدثت وقيعة بيننا بسبب والدتنا التي طردتني وكرهتها فيَّ.. فآثرتُ الابتعاد عنهما، والمعاناة من الوحدة أفضل ألف مرة من أن أراهما تنظران لي نظرة كره

- وما هي طبيعة علاقتك بزوجها، الكلب المقيد بالخارج؟

- ليست بنا علاقة سوى أننا زملاء في الوسط الأدبي

- زملاء في الوسط الأدبي يبيتان سويًا في شقة بوسط البلد، ويسافران معًا ؟

أطرقت رأسها فصرخ في وجهها مكررًا سؤاله فانتفضت من مكانها قائلة وهي تبكي: هو الذي غواني وجذبني ناحيته لنقيم علاقة، ووعدني أنه سيطلقها ويتزوجني، وأخبرني أن أختي لا تحبه أيضًا وتخونه، لذا سيطلقها ويتزوجني، فأحببته.. أقسم لك أن هذا هو ما حدث بالضبط

أخذ يقلّب أوراقه أمامه وهو يسألها دون أن ينظر لعينيها: ما هذا، أنت متخصصة إذًا، ما هي طبيعة علاقتك بخطيبها السابق؟

- لم يكن يحبها، وحاول أيضًا أن..

- أن يجذبك نحوه لتقيما علاقة، أليس كذلك؟ سألها محاولًا تفرس وجهها وتفحصه، فدخلت في نوبة بكاء وهي تجيبه:





- أقسم لك بالله العظيم أن هذا ما حدث و..

قاطعها: أين كنتِ أمس الساعة الثانية ظهرًا؟

- عند الناشر ثم قابلت مروان في مقهى ريش

قابلتِ مروان في تمام الساعة الثالثة.. أين كنتِ قبل ذلك

لم أجد الناشر في مكتبه، اتصلت به فأخبرني أنه مسافر، فذهبت لأتسوق وأشتري بعض الملابس قبل أن أقابل مروان، لأن الملابس خارج مصر باهظة الثمن

نادى على العسكري بالخارج ليأخذ وفاء ويعيدها إلى الغرفة، ويأتي بمروان الذي لم يكد يدخل الغرفة حتى انكفأ على وجهه بعد أن توقّع بل تيقن أنه متهمٌ بقتل نهال، أو والدة ياسمين، أو المربية. وتوقع حتى الأسئلة التي ستُلقى عليه، وحضّر لها أجوبة تبعد عنه التهمة بقدر الإمكان..

أشار له خالد الكحكي بسبابته أن يجلس أمامه، وظل يتفرس وجهه هو الآخر وهو ممسك بالخنجر اليمني، مدَّ يده بالخنجر ووجّهه إلى وجه مروان وبدا كالذي يتدرب على النشان.. فارتعد مروان وأغمض عينيه.. ضحك خالد الكحكي ملء شدقيه ثم تحوّلت ملامح وجهه تمامًا إلى العبوس وأصدر صوتًا خشنًا من مؤخرة أنفه:

- ماذا كنت تظن؟ هل كنت تظن فعلًا أنك ستستطيع السفر؟!!

صمت لهنيهة ثم سأله: قل لي.. ما هي طبيعة علاقتك بزوجتك يا مروان؟

- لم تعد زوجتي يا حضرة الضابط، فقد طلقتها منذ يومين.. لماذا؟

نهض واقترب منه فأمسك بطرف قميصه وهو يسأله: أين الزر الناقص في هذا القميص؟



- لا أعرف.. ربما انقطع وأنا أرتديه.. لا أعرف..

- كيف كان آخر لقاء بينكما، ومتى؟

- كان منذ يومين حين طلقتها، واتفقنا على كل شيء وأعطيتها كامل حقها، حتى الشقة تركتها لها

- وما المقابل؟ وكيف كنت ستعيش وأنت حالتك المادية غير مستقرة؟

- أنا أحب أختها، وكنا قد اتفقنا أننا سنسافر للخارج ونبدأ حياتنا..

- وبما أن حالتك المادية غير مستقرة، كيف دبرت مبلغ المؤخَّر والنفقة وتذاكر الطيران..؟

- كنت أدخر خمسين ألفًا حصيلة بيع رواياتي، بالإضافة إلى أنني أخذت ثلاثة وعشرين ألفًا من أحد المنتجين الذين عرضوا عليَّ شراء حقوق تحويل إحدى رواياتي لفيلم سينمائيّ

- ما هو اسم هذا المنتج؟

فكر مروان في ذكر أي اسم، ولكن الإنسان حين يكون مجبرًا في ابتكار أو اختلاق اسم عشوائي يجد أقرب اسم له أحد الأسماء الشائعة (محمد، أحمد، عبد الله، جورج)

- محمد أحمد.. المنتج اسمه محمد أحمد يا فندم، وأعطاني المبلغ بدون عقد، كاتفاق مبدئي

نادى الضابط على العسكري ليأخذه ويعيده إلى الغرفة مرة أخرى..

ظلا هكذا، مقيدين وجالسين على الأرض القاسية حتى انكسر جذعهما، وقد شعرا أنهما سيموتان من الجوع والعطش حتى دخل عليهما أحد العساكر بسندوتشين فول مثلجين، طلبا دخول الحمَّام في

المساء فسمح لهما العسكري بدخول الحمَّام بعد خمس ساعات، الساعة الواحدة صباحًا.. شعرا بالراحة بعد ذلك وغابا عن الوعي، ليقضيا ليلة أخرى ملتحفين كوابيسهما..

كان يستيقظان كل ساعة على صوت أحد المسجلين خطر وهم يصرخون ويسمعان صوت ضربهم طوال الليل.. حتى جاء الصباح فأخذتهما سيارة، سألا العسكري إلى أين سيذهبان، فأخبرهما أنهما سيرسلان إلى النيابة..

* * *

وصلا بعد نصف ساعة إلى النيابة، أودعهما العسكري في إحدى الغرف، دخل عليهما رجل ذو هيئة مهيبة، مرتديًا بذلة سوداء اللون، وأزرار ذهبية في أسورته، فتح الباب قليلًا ألقى عليهما نظرة ثم نادى على العسكري..

- أوامرك يا هشام بيه

- ماذا تريدان أن تأكلا؟! سألهما بوجه خالي من أي تعبيرات، فاندهشا من سؤاله رغم أنه كرره مرة أخرى فرد عليه مروان

- شكرًا، لا نريد أن نأكل، كل ما نريده هو أن نعرف بسرعة ما الجرم الذي ارتكبناه.. فقط لا غير

- بسرعة؟!! هل أنت مستعجل؟!! هل وراءكما شيء؟!

- أكيد، ويكفى أنكم ضيعتم علينا موعد الطائرة..

- لا تقلق يا مروان.. قل لي ماذا تريدان أن تأكلا، فربما ستكون هذه المرة هي الأخيرة التي تختار فيها طعامك، وفي نفس الوقت لا تتعجل، فربما يكون اليوم هو آخر يوم ترى فيه الأسفلت..

تصبب عرقًا هو ووفاء التي لم تستطع نطق حرفٍ واحد: لماذا كل هذا؟ ماذا فعلنا؟ ما هي التهمة الموجهة إلينا؟



نظر له وكيل النيابة مليًّا، ثم أمر العسكري بإحضار دجاجة مشوية لهما، وأن يقودهما إلى مكتبه بعدما يأكلان..

* * *

مثلما قُدِّمت لهما الدجاجة، مثلما رُفِعَت من أمامهما بعد نصف ساعة لم يأكلا منها أي شيء، كان هذا رائعًا للعسكري الذي التهمها بعدما اقتادهما إلى مكتب وكيل النيابة الذي أشار للعسكري أن يعيد مروان إلى الغرفة لتدخل وفاء وحدها، جلست أمامه باكية، وقد تصبب العرق على جبهتها وكامل جسدها..

دسَّ وكيل النيابة يده في درج مكتبه ليخرج منه ظرفًا بنيّ اللون، استخرج منه مجموعة صور لجثة مذبوحة، بجرح قطعي في الرقبة، من الأذن للأذن.. مسجية على الأرض، جاحظة العينين، كانت الجثة لريهام، أختها. أعطاها الصور فاتسعت عيناها من الذهول، وأخذت تبكي بهيستيريا ولم تقل سوى كلمة واحدة بصراخ عال: لم أقتلها.. لم أقتلها أقسم لكم..

قال لها وكيل النيابة بهدوء: ما سبب الخلاف الذي بينك وبينها؟

- ليس بيننا خلاف، كل ما في الأمر أنني أقمت علاقة مع زوجها اللعين، مروان جبر، والذي لم يحبها يومًا واحدًا، وقد قلت ذلك بالأمس.. ظلت تبكي لدقيقة كاملة ثم استطردت: لا أنكر أنني سرقت منها رواياتها التي كتبتها قديمًا، ونشرتها باسمي.. يمكنني أن أسرق لكنني لا أستطيع أن أقتل، لم أقتلها، لم أقتلها..

- هل سرقتِ منها رواياتها فقط؟ في التحقيقات قالت والدتك أنك أغويتِ خطيبها الأول أيضًا وليس زوجها.

- لم أغوِه، كنت فقط طامعة في أمواله، وكان ضعيفًا أمام جسدي فتركها وجرى ورائي، لكنني تركته بعد ذلك ولم تكتمل علاقتنا

- ماذا قلتِ في محضر الشرطة أمس حينما سألوكِ أين كنتِ بين الساعة الثانية والثالثة عصرًا؟

نسيت تمامًا ماذا قالت بالأمس، حاولت التذكر وكانت تعرف أن التأخر في الرد سيدينها فقالت بسرعة: كنت عند الناشر لآخذ منه عشرين نسخة من آخر رواية لي

سألها وهو يقلب أوراق أمامه: ولكنك قلتِ في المحضر أنك لم تجِدِه..

- نعم.. نعم تذكرت، لم أجده فذهبت للتسوق إلى أن يأتي موعدي مع مروان

- بالنسبة لمروان أخبريني؟ إلى أي مدى وصلت علاقتكما؟

- كنا قد اتفقنا على الزواج بعدما يطلقها، وبالفعل طلقها، حسب ما قال لي.. هذا كل ما في الأمر أقسم لكم

- إن كنتِ لم تقتليها، فأخبريني، من تتهمينه بقتلها بهذه الوحشية؟ سألها وهو يعرض عليها الصور مرة أخرى: هل تتوقعين أن يكون القاتل مروان؟

- نعم.. نعم.. بالتأكيد.. ولِمَ لا؟ فقد نشب بينهما مشاجرات كثيرة في الآونة الأخيرة، ليست بسببي في المقام الأول، وإنما بسبب مكالمات كانت تأتي لها من عدة رجال، وأيضًا بسبب عثراته المادية، وخياناته المستمرة لها.. وقد نصحته كثيرًا أن يحاول إصلاح ما بينهما لكنه أخبرني أنه لا يحبها وسيطلقها لأنه يحبني أنا، فصدقته.. لكنني لم أتصور يومًا أنه من الممكن أن يقتلها بهذه الوحشية..

انهارت حينها من البكاء، رن وكيل النيابة الجرس فهرع إليه العسكري بالخارج، أمره أن يأخذها ويعيدها إلى غرفة الاستيفاء، ويأتي بمروان.. بينما غادرت وفاء الغرفة، أشعل وكيل النيابة سيجارة، في الوقت الذي دخل فيه مروان. عرض عليه سيجارة فرفض بإيماءة من رأسه. تفرس في وجهه قليلًا قبل أن يعرض عليه الصور فانتفض فجأة حينما رآها ووقع من الكرسي الجالس عليه بعد أن ارتخت كل أعصابه ومفاصله وشعر ببرودة تسري في كامل جسده.. وكاد أن يغشى عليه من وطأة ما رآه:

- وجدنا في يديها شعرتان تنتميان لك على الأرجح، والزر الناقص في قميصك كان ملقى بالقرب منها، دلالة على مقاومتها لك قبل ذبحها..

- أقسم لك إنني لا أعرف عن هذا الموضوع شيئًا، لم أقتلها، كان أكثر شيء أستطيع فعله معها هو أنني أضربها فقط، لكن القتل؟!! كيف؟

- هل كنت تشك فيها يومًا ما؟

- ربما مرة أو اثنتين، رغم أنني أعرف أخلاقها جيدًا، وأنها من المستحيل أن تفعل ذلك، لكن ربما لأنني أعرف نساء كثيرات خائنات، فقد كنت أحيانًا أشك فيها.

أخذ وكيل النيابة يقلب في أوراقه، سأله: والدك حُكِم عليه بالإعدام لقتله والدتك بنفس الطريقة تقريبًا..

- نعم، ولكن هذا ليس مبررًا أو دليلًا على أنني قد فعلت ذلك.. غير أنني آخر مرة كنت معها تحدثت معها بشكل لائق، وطلقتها قبل أن أعطيها كامل حقوقها، ورحلت بهدوء دون أن أتشاجر معها

- عند سماع أقوال الجيران قالوا إنك كنت دائم الشجار معها.





- نعم، ولكن ليس آخر مرة كنت معها فيها، فقط طلقتها بهدوء كما قلت، ورحلت، استعدادًا للسفر

- لماذا نويت السفر، ولماذا اصطحبت معك وفاء؟

- لأنني أحبها، وهي تحبني، وقد وعدتها بالزواج منها بعد أن أطلق أختها..

- هل كان لديك علاقات أخرى غير وفاء؟ هل خنت زوجتك مع امرأة أخرى غيرها؟

- لا.. ما عدا وفاء، كل السيدات أو الفتيات لسن إلا مجرد قارئات فقط.. قالها كذبًا وقد مرَّ أمام ناظريه كل السيدات اللائي عرفهن على زوجته.

- ما هي أقوالك في كل الأدلة التي وجدناها في مسرح الجريمة، بالإضافة أننا وجدنا الجثة وقد تعرضت للاغتصاب قبل الذبح، كل الأدلة ضدك

- ليس لديّ أقوال غير التي قلتها، أقسم لكم إنني لم أقتلها، أنا كاتب، مبدع، مرهف الحس ومن رابع المستحيلات أن أفعل شيئًا كهذا.. قالها ثم دخل في نوبة بكاء حتى سقط غائبًا عن الوعي..

بعد سماع أقوال المتهم، قررنا نحن نيابة قصر النيل، الساعة الحادية عشرة صباحًا، ١٢ أكتوبر ٢٠١٠.. بإيداع المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق، لحين ظهور نتيجة المعمل الجنائي حول المني الذي وجدناه في مهبل الجثة، ومقارنة باقي الأدلة بالعينات التي تم أخذها..

***

١٤ أكتوبر ٢٠١٠

استفاق مروان وقد وجد نفسه في غرفة مكتظة بالمساجين، شعر بأن حنجرته صدئة من قلة الماء الذي لم يدخل جوفه أو أي شيء آخر منذ ثلاثة أيام، سأل أقرب شخص جالسًا بجانبه منذ متى وهو هنا، فأخبره أنه قضى طوال أمس وأول أمس في غيبوبةٍ تامة..

نهض فوجد نفسه لا يستطيع شد قامته وسقط على الأرض، نهض الرجل الذي كان يتحدث معه ووقف بالقرب من الباب، وقف على أطراف قدميه واشرأب بعنقه لينادي على العسكري الذي أتى يسأله مضجرًا ما الأمر، فأخبره أن السجين الجديد استفاق وكاد أن يدخل في غيبوبة مرة أخرى..

«عليه أن يتحمل إلى أن تأتي ساعة الغداء..» قالها له العسكري ورحل لا يلوي على شيء، غير آبهٍ به..

سجن النساء..

على مدار اليومين الماضيين، ظلت وفاء نعمان نخلة طوال الوقت سارحة، شاردة، زاهدة في أي كلام مع أي امرأة، ترمق وجوه السيدات من حولها بتقزز ممزوج باندهاشٍ شديد، بالأمس القريب كانت تشاهد مثل هذه النماذج في التلفاز، والآن هن على مقربة منها لا يفصل بينها وبينهن شيء. حاولت امرأة الاقتراب منها والتحدث إليها لكنها لم تبذل حتى عناء النظر إليها.. حتى أتت ساعة الغداء فهرعن جميعًا نحو عنبر الأكل، كانت تأكل فقط لأنها جوعى وتستطيع التفكير.. بينما ذهب مروان إلى عنبر الأكل مستندًا على اثنين من المساجين، كان يرى مناضد الأكل بعينين كسولتين وصورة متماهية حتى أجلساه السجينان على الكرسي، التقط بيدٍ ضعيفة ما أمامه على المنضدة غير مكترث ما هي



طبيعة هذا الطعام، ومما لا شك فيه أنه إن عرض عليه هذا الطعام منذ أسبوع فلم يكتف بالإعراض عن أكله فقط، وإنما كان سيركله متقززًا ويلقي به في صندوق القمامة..

أقبل على الأكل بنهمٍ بالغ، وما إن انتهى من تناول ما أمامه حتى عادت الرؤية لديه من جديد، وظهر أمامه الرجل ذو الجلباب الأبيض وأخذ يضحك مجلجلًا، ولم يقل له سوى جملة واحدة..

«اقتربت من حبل المشنقة أيها الأديب الكبير.. ها ها ها أتركك على خير» ثم اختفى مرة أخرى في غضون ثوانٍ..

أطلق الحراس صافرة الانتهاء من الطعام وهرع المساجين كالغنم، عائدين إلى محبسهم..

في اليوم التالي..

عرض كلٌّ من مروان ووفاء على أحد المحققين والذي بدوره أقفل القضية بعد مطابقة الأدلة الجنائية مع عينات من الحمض النووي لمروان والتي أثبتت أنه اغتصبها وتهجم عليها وذبحها، وكانت السكين المستخدمة عليها بصماته.

ظل يصرخ مروان نافيًا أنه قتلها، وثارت ثائرته للحد الذي وصل إلى طرق الحائط برأسه، في حين أن وفاء لم تنطق بكلمة، وظلت هادئة تمامًا بعد أن اطمأنت أنها لن يُحكَم عليها بشيء، وأن كل الأدلة ضد مروان..

***

على مدار ثمانية أيام كاملة، ظل مروان حبيسًا في غرفة مربعة ثلاثة أمتار طول × ثلاثة أمتار عرض، منتظرًا يوم المحاكمة التي بعد يومين. كلما يفكر في هذا اليوم يشعر بغصة في معدته حتى تعوّد على ذلك، طالت لحيته واشتعل بعض الشيب فيها، بضعة شعيرات بيضاء تتخلل



ذقنه على استحياء، بينما هاجم المشيب فوديه كرجلٍ سبعينيٍّ هَرِمْ.. يجلس طوال الوقت منزويًا في تلك الحجرة، والتي رغم ضيقها يشاركه فيها خمسة وعشرون سجينًا آخر..! يشرد، يسافر بتفكيره بعيدًا، فيما كان عليه بالأمس، وما هو عليه اليوم. شتان الفارق..!

– ترى، ماذا سيحكم عليّ القاضي بعد يومين؟.. من المؤكد أن يكون الحكم هو الإعدام شنقًا، مثل والدي تمامًا.. هكذا حدَّث نفسه فيعود ليتخيل نفسه في قفص الاتهام منتظرًا الحكم، ثم يدخل في نوبة بكاء فيحاول تهدئته أحد السجناء لكنه ينتفض كالمسوس وينأى بنفسه عنه ويبتعد، وينام فوق مصطبة ملتصقة بأحد جدران السجن، نام فوق هذه المصطبة متكوّرًا على نفسه موليًا وجهه للجدار، فاقترب منه سجينًا آخر، يلكزه في كتفه قائلًا له بصوتٍ أجش..

– النوم فوق المصطبة لها ثمنٌ آخر غير النوم بجوار الحائط.. إن أردت النوم هنا فيجب أن تدفع مئة جنيه زيادة، وإلا سأضطر أن أجعلك تنام في المنتصف، وأعتقد أنك جربت ما معنى النوم في المنتصف حينما جئت

– لم يعد معي سوى خمسة وعشرين جنيهًا، أرجوك اجعلني أنام هنا فليس لي سوى يومين على النطق بالحكم عليَّ بالإعدام»

– للأسف هذا الأمر ليس بيدي، المبلغ الذي أعطتني إياه انتهى بالأمس، حتى النوم بجوار الحائط لن ينفع اليوم، وستضطر إلى النوم في المنتصف.. هيّا.. قُم.. قُم.

قالها وهو يشده بقوة نحو منتصف الغرفة، يعلم جيدًا أن النوم في المنتصف يعني تحرش المساجين به من الجانبين، وربما يصل هذا التحرش إلى الاغتصاب وخلع ملابسه. هذا بالإضافة إلى الرائحة النتنة، والأكل السيء. والماء الرديء.



لم يدر بنفسه حين غفا، ليستيقظ بالفعل بعد نصف ساعة وقد شعر بيد أحد السجناء تتسلل إلى داخل سرواله وتلمس مؤخرته، وسجينًا آخر يحاول أن يخلع سترته، ظل يقاومه حتى خلعها بالفعل وتجمع بعض السجناء حوله يتناوبون الاعتداء عليه، ظل يقاوم حتى انتهت طاقته ولم يستطع مقاومة كل هؤلاء، حتى استسلم أخيرًا لما سيفعل به وأغمض عينيه مُسلمًا جسده تمامًا.. حتى فوجئ بكبير المساجين يصرخ فيهم وينهرهم، وأخذ يرفع عنه الواحد تلو الآخر، حتى التقطه من بينهم ورفعه ليجلس بجوار الحائط قبل أن يعيد إليه سترته وسرواله مرة أخرى.. وسمح له بالنوم فوق المصطبة، بعد أن نظر للسجين المختص بذلك، نظرة جعلته يمتثل للأمر ويطيعه..

- قل لي ما هي حكايتك؟ هيئتك لا تبدو عليها أنك سجين

ارتدى ملابسه بيدٍ مرتعشة: أقسم لك إنني لا أعرف لماذا أنا هنا، فكل ما أعرفه هو أن زوجتي قتلت، واتهموني في ذلك!

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. وهل لديك محامٍ؟

- لا.. فأنا مقطوع من شجرة ليس لديَّ أي شخص

- سمعتك تقول إن النطق بالحكم بعد يومين، من سيترافع عنك في المحاكمة إذًا؟!

- لا أعرف.. ولكن الموضوع أبسط من ذلك ولا يحتاج إلى محامي، فكما أخبروني أن كل الأدلة ضدي، والنطق بالحكم لن يأخذ وقتًا طويلًا، هي مجرد دقيقتين، ولو جاءني ألف محامٍ لن يستطيع أن يفعل شيئًا، سيدخل القاضي ينطق اسمي يتبعها كلمة إعدام، ويتم تحويل ورقي إلى المفتي.

- لا إله إلا الله.. أدعو الله أن يصبرك على ما ابتلاك..نم الآن ولا تفكر في أي شيء.



من يوم أن دخلت غرفة الحجز، لم تفتح قلبها لأحد أو تتكلم وتفضفض لأي سجينة من السجينات، وكانت تعاملهن بتعالٍ وهذا ليس غريبًا على سيدة مثلها كانت يومًا ما تهتز لها قاعات بالتصفيق، ومعاملتها هذه هي التي جعلت كبيرة السجينات تتعمد إهانتها وإذلالها، في اليوم التالي نادتها وطلبت منها أن تدلك لها جسدها، رفضت ما طلبته منها رفضًا قاطعًا، فأمسكتها السجينة من شعرها وجرّتها حتى مسحت بملابسها أرضية السجن، فكسرت أنفها وأدركت وفاء أنها إن لم تلبِّ لها أي طلب فسوف تلقى إهانة قصوى. فامتثلت لها، ومنذ ذلك الحين بمجرد أن تنادي عليها تنتفض من مكانها وتنفّذ بذل ما تطلبه منها بالحرف.

نامت وفاء في هذه الليلة بعد أن كسر ظهرها في تنظيف حمامات السجن والطرقة المقابلة، ثم دلكت جسد أربعة سجينات بدينات، وبمجرد أن استلقت بجسدها على السرير الصلب، شعرت بألمٍ شديدٍ أسفل ظهرها وظلت تصرخ بلا مجيب إلى أن أتت إحدى سيدات الشرطة:

- ماذا بك يا بنت الشياطين؟ لماذا تصرخين هكذا كالعاهرة النائمة أسفل رجل؟

- لا أعرف، ولكني أشعر أني سأموت

- ولماذا تترددين، موتي وأريحينا منك يا قاتلة يا فاجرة.. وقفت في وسط الغرفة وقالت بصوتٍ جهوري: هل تعلمن لماذا هذه العاهرة هنا؟!

خيم الصمت على كل من في الغرفة مدفوعات بفضولهن ليعرفن السبب، فأردفت:



- بسبب قتلها أختها بمساعدة زوج أختها، اتفقت مع زوج أختها على أن يقتلاها ليتزوجا.. هل رأيتن خسة أكثر من ذلك؟

بكت وفاء بصوتٍ عال، وصرخت لتغطي على صوت السيدة لكن بلا جدوى، وأخذ السجينات يشتمنها بأقذع الألفاظ ويبصقن عليها فبكت أكثر، حتى جاءت مأمورة السجن بوجه محتقن.. ما هذه الفوضى؟ ماذا يحدث هنا بالضبط؟!

- أشعر أنني على وشك الموت يا حضرة الضابط.. بطني تتقطع من شدة الألم

- لا تقلقي، إن استمر الألم ساعتين أخريين وتوفيتي فمن المؤكد أنك تسممتي، أما إن هدأ الألم بعد قليل فهذا يعني أنها الدورة الشهرية، متى موعدها أيتها الفاجرة؟

- لا أعرف، لا أتذكر

- وتريدين منّي أن أعرف بدلًا منكِ؟!! إن سمعت صوتك مرة أخرى فسألقي بكِ في الحبس الانفرادي.. نظرت لهن جميعًا وصرخت فيهن: لا أريد أن أرى أيًا منكن على الأرض، اذهبن إلى أفرشتكن.

بينما استلقت كل السجينات على فراشهن، كانت وفاء تصرخ في صمت وهي واضعة يديها أسفل بطنها، وظلت تتألم هكذا حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، إلى أن هدأ الألم قليلًا.

«ترى، ماذا سيحكم عليها القاضي بعد غدٍ؟» سألت نفسها «وإن كان سيحكم على مروان بالإعدام؟ لماذا سيحكم عليّ أنا، هل كما قالت تلك السيدة منذ قليل إنه قد يتهمني بمساعدته في ذلك؟ وإن اتهمني بهذه التهمة فسيحكم عليَّ بكم سنة؟!!»

***

يوم المحاكمة ـ دار القضاء العالي

٢٠/ ١٠/ ٢٠١٠

منذ ذلك اليوم الذي تم ترحيل كل منهما إلى سجنه، لم يرا بعضهما البعض، تلاقت عيناهما عند نزولهما من سيارات الشرطة أمام المحكمة مكبل كل منهما يده في يد عسكري، الشعور الذي انتابه حين رآها وقد تغيرت هيئتها تمامًا وجسدها الذي أصبح نحيلًا لا يخفي نحولها رداؤها الأبيض الذي ترتديه، هو نفس الشعور الذي اجتاحها وهز قلبها حين رأته لأول مرة مهلهلًا سملًا، بلحيته الطويلة ووجهه المتقع وجسده النحيف..

لم تدم نظرتهما لبعضهما البعض طويلاً، فكل منهما تألم حينما رأى الآخر هكذا، شد العسكري مروان ليدخل المحكمة، خشي مروان أن يقاومه كي لا يتلقى صفعة منه أمامها، فدخل معه مستجيبًا، ودخلت وراءه وفاء إلى قاعة المحكمة مباشرة.

كانت القاعة مكتظة بالمحامين بالحق المدني، وبعض الصحفيين والإعلاميين والمهتمين بالقضية، مَثُلَ كل من مروان ووفاء داخل القفص، أخذا ينظران إلى الحشد الهائل أمامهما، حاولا أن يهربا بوجهيهما من الكاميرا التي جاءت لتغطي الجلسة. حاول أحد الصحفيين أن يجري معهما حوارًا لكنهما رفضا وبشدة أن يتحدثا إليه أو يقولا له أي كلمة. جاهدا كي لا تظهر صورتهما في التلفاز. إلى أن فتح باب القضاة من خلف المنصة، فسكت الجميع وساد الصمت على كل من في القاعة، جلس القاضي فجلس القاضيان الآخران، وأشار لكل من في القاعة بالجلوس.

وقف وكيل النيابة وقال خطبة عصماء تصلح لأن تكون محاضرة في المرافعات، أدان بها كل من وفاء ومروان.. صاح أحد المحامين الحقوقيين في القاعة:





- إذا سمحتم لي سيدي القاضي، فبرغم إداناتي الكاملة لجريمة القتل هذه وملابساتها، إلا أنه لا يصح أن نجبرهما على إظهار وجهيهما للكاميرا.

قاطعه المدعي بالحق المدني بصوتٍ جهوري: لا.. بل يصح، ويجب أن يراهما كل الشعب المصري العظيم، فهذه قضية أصبحت رأي عام، وإن لم يروا أيقونات الثقافة في مصر وهم ماثلون في قفص الاتهام، وبدلًا من أن يكونا قدوة لقرائهما، أصبحا مشجعين على الرذيلة والخيانة والقتل.. لذلك ألتمس من سيادة القاضي أن يسمح باستكمال التصوير.. كي تهدأ ثائرة الرأي العام، والذي تابع هذه القضية عن كثب في الفترة الماضية..

تشاور القاضي مع زملائه بصدد هذا الأمر، فأشار بيده أن يسمح باستكمال التصوير.. فبهت المحامي الحقوقي وجلس.. بينما استكمل المدعي بالحق المدني مرافعته الجليلة.. أدان فيها كلام من الزوج الخائن، والأخت الجاحدة..

سأل بعدها القاضي عن المحامي الذي سيمثلهما فلم يجد، فطلب منهما الدفاع عن نفسيهما، فلم يجدا ما يقولانه سوى أنهما بريئان مما حدث.. ولكن بلا جدوى..

دخل القاضي مرة أخرى للتشاور مع زملائه لمدة عشر دقائق، هي المدة التي مرت فيها حياة مروان منذ أن وعى على الدنيا حتى هذه اللحظة، لاح أمامه من بعيد الرجل ذو الجلباب الأبيض لكنه نظر له مهمومًا ساهمًا ولم يأبه له، ولم يسمع أي من في القاعة..

دخل القاضي وأصدر الحُكم

«حكم على المتهمة وفاء نعمان نخلة بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة»

«حكم على المتهم مروان موسى جبر، بالإعدام شنقًا، وتحويل أوراقه إلى فضيلة المفتي».



رُفِعَت الجلسة..

بينما بدا كل الحضور فرحًا بالحكم، مستثارًا. اكفهر وجهاهما ولم يشعرا إلا بالدنيا تلف بهما، وأصبحت الرؤية أمام عينيهما تدريجيًا تتحول من كل الألوان بالتتابع إلى اللون الأسود.. حتى اسودَّ كل شيء تمامًا، وغابا عن الوعي..

غابا..

غابا تمامًا عن الوعي..!

***

في نفس اليوم.. الساعة الواحدة ظهرًا

في غرفة مفردة، ضيقة، تلوح في أرجائها كل أمارات الموت البطيء، مساحتها لا تتعدى مترين في مترين، جدار أنهكته الرطوبة مغطى باللون الأسود بفعل عرق المساجين الذين سبقوه، مكتوب عليه كلمات وعبارات صعبة القراءة، وعلامات غريبة، أربعة خطوط مائلة يقطعها بالعرض خطٌّ خامس، من الواضح أنها تدل على أن الذي كتبها كان يحصي عدد الأيام التي يقضيها هنا.. سقف أسود اللون ونافذة صغيرة جدًا، كادت تقترب منه، على ارتفاع خمسة أمتار بها قضبان حديدية.

ملقى على الأرض مرتبة عطنة الرائحة شبعت من عرق عشرات الأشخاص كانوا هنا قبله.. بلا وسادة فكان يثني طرفها كي يستطيع إسناد رأسه عليها، لكن هذا يستلزم أن تكون قدماه على الأرض. بجوار المرتبة دلو لقضاء الحاجة، وزجاجة مياة تحتوي على لتر ماء، عرف بعد ذلك أن له لترًا واحدًا من الماء كل خمسة أيام..!

استفاق مروان فوجد نفسه في هذه الغرفة فانقبض صدره حين رأى نفسه مرتديًا البدلة الحمراء.. والذي ارتداها من قبله والده، منذ حوالي

ثلاثين سنة..! وسيلتف حول رقبته نفس الحبل الذي التف حول رقبة أبيه..! تأكد له الآن أن الزمن بالفعل يعيد نفسه، ولكن والده قتل أمه فعلاً.. بينما هو لم يقتل ريهام زوجته.. وبهذا سيكون حُكِمَ عليه ظلماً. ولكن ما فائدة ذلك طالما النهاية ستكون واحدة... الموت.

كلما يحاول البحث عن خيط يبدأ به تفكيره يفشل، ولم يكد يجد طرف الخيط ويمسك به حتى يتلاشى فجأة..

- ترى، من الذي قتل ريهام وألصق هذه التهمة به؟ - حدَّث نفسه حائرًا - وحتى لو عرفت من الذي فعل، كيف سأنتقم منه على سلب حياة هذه المسكينة بهذا الشكل؟! كيف سأستطيع أن أثأر لي ولابننا الذي أصبح الآن يتيم الأم، وسيصبح قريبًا يتيم الأب؟

وقف منتصب القامة وأخذ ينوح كالثكلى «ريهاااام... ريهاااام» أخذ يضرب رأسه في الحائط وهو يبكي حتى انبجس الدم من جبهته وسقط أرضًا. متمنيًا أن تخرج روحه منه الآن، قبل أن يرى الرجل العبوس الذي سيجرّه إلى حبل المشنقة، ويلفّ حول رقبته بعدما يسأله عبثًا..

ماهو آخر طلب تريده قبل أن تموت..؟!

«أموت؟!!» قالها بشفتين مرتجفتين وقد تزعزعت أحشاؤه من مجرد ورود الخاطرة بذهنه..

جلس مرة أخرى مشدوهًا، عقد قدميه واستند إلى الجدار. فكر في الموت متمعنًا التأمل فيه، الموت كفكرة، ما هو الموت؟ هل هو مغادرة الروح عن الجسد، أم مغادرة الإنسان لأحبائه؟ فكر فيما فعله في حياته طيلة ثلاثين سنة، بحث عن شيء ربما تركه للناس ليفكروا فيه بعدما يشنق ويتذكروه.. «كتبي ورواياتي؟!» ولكن هل قراؤه سيتذكرون كتاباته بعدما رأوا في التلفاز أنه سيعدم لأنه قتل زوجته وخانها مع أختها؟



رغم أن الحقيقة غير ذلك، لكنه لا يستطيع أن يلقي اللوم عليهم، فالناس لا يعرفون سوى ما يرونه بأم أعينهم..! وهو الآن لا يستطيع أن يخرج لهم ليخبرهم أنه لم يفعل ذلك، حتى لو خرج لهم واستطاع التحدث إليهم - وهو أمر مستحيل الحدوث - كيف سيثبت لهم أنه لم يفعل ذلك..؟!

وهل بالفعل فعل ذلك؟!

ضرب الجدار بقبضة يده عدة مرات وأخذ يلعن بصوتٍ عال كل الناس والقراء وكل ما يشغل باله ويريد أن يقنعه أنه لم يفعل ذلك، فهناك من هو أهم منهم ويجب أن يعرف ويعي جيدًا أنه لم يقتل زوجته.. ألا وهو ابنه. ارتعش جسده وشعر بسخونة تسري فيه حين تذكر ابنه الرضيع، كان حنينه إليه حارقًا، يريد أن يدفع نصف عمره ليعرف ماذا يحدث له الآن وكيف حاله. ولكن ما ثمن نصف عمره هذا وهو لا يتعدَى أيامًا؟!

كيف حاله يا ترى؟ خصوصًا أنه لم يزل يرضع، ترى من يرضعه ويهتم لشأنه الآن؟ ترى ماذا سيقول حينما يكبر ويجد نفسه ابنًا لأم مقتولة وأب قاتل تم إعدامه؟

أخذ يبكي كالطفل وهو ينعي حظه العاثر، هرع نحو الباب الثقيل المصمت وأخذ يطرق بكل قوته وينادي على أي شخص يلبّي نداءه ويرد عليه، لكن بلا مجيب.. فجلس على الأرض مرة أخرى ومدد جسده.. لم يكد يجلس عشر دقائق حتى فكر في ابنه مرة أخرى ونهض ليطرق الباب وينادي بأعلى صوت لديه فلم يتلقَّ سوى صدى صوته أولًا، تبعه طرق ضعيف في الحائط المجاور له..





أرهف له السمع فأطرق هو الآخر على الحائط متذكرًا أحداث رواية «الكونت دي مونت خريستو»، قارن بين حاله وحال بطل الرواية فوجدهما متشابهين في الظلم الذي وقع عليه، مثلما وقع على بطل الرواية تمامًا، غير أن الثاني لن يموت في السجن، لن يلتف حول رقبته حبل المشنقة، لن يكون آخر شيء تراه عيناه هذا الرجل الذي يدعى «عشماوي»..!

قطع تفكيره أحد عساكر الحراسة، وقف وراء الباب ناظرًا له عبر الشباك الحديدي الصغير:

- ماذا تريد.. لماذا تنادي هكذا بصوت عالٍ؟

- أريد أن أرى ابني قبل أن أموت، أريد أن آخذه في حضني للمرة الأخيرة.. قالها بصوتٍ متهدج منكسر.

- هل أخبرك أحدًا أنني المربية التي أحضرتها أمك من الفلبين؟ ما لي أنا ومال ابنك؟!

- لم أقل إنك المربية التي أحضرتها أمي، ولكني أريدك أن تساعدني في ذلك أرجوك..

- وكيف أساعدك إذًا؟

- قل لمأمور السجن أن يحضر لي ابني كي أراه قبل تنفيذ حكم الإعدام.. أريد أن أخبره بأشياء كثيرة أولها أنني مظلوم ولم أقتل أمه، أريد أن أخبره أن لديه ثروة كبيرة تنتظره حينما يكبر، أريد أن أخبره بمكانها قبل أن أمو..

- ليس لي شأن بكل ذلك.. قالها وغادر فأعطى مروان ظهره للباب ملتصقًا به لهنيهة قبل أن يجلس على الأرض باكيًا مرة أخرى وهو ينظر إلى الشباك العالي المقترب من السقف، نظر يمينه ويساره، لا شيء حوله



سـوى الجـدران الصـماء، سـأل نفسـه: تـرى كـم السـاعة الآن؟! شـعر أن الوقـت هنـا صلـب، حديـديّ، عـصيّ عـلى المـرور، الوقـت الـذي كان منـذ أيـام يمرّ سريعًـا، بـل يعـدو كالخيـل.

رغـم أنـه شعر ببعض الفرحـة لأن الوقـت هنـا لا يمرّ بسرعـة فيتسنى له الاستمتاع بالأيـام القلائـل المتبقيـة في عمـره، لكنـه سرعـان مـا اكتسى وجهه فجـأة بمسـحة حـزن لأنـه سيقضي هـذه الأيـام دون رؤيـة مـن يحبهـم، وهـم في الأصـل قليلـون.. وهـم...، مـن هـم إذًا؟.. الإجابة: لا أحـد..!

استرجع حياتـه سريعًـا فوجـد أنـه عـاش معظمهـا لم يقابـل أحـدًا أحبَّـه، كل مـن قابلهـم وصادفهـم في حياتـه لم يكونـوا سـوى أشـخاص عابريـن، أخـذوا مـن وقتـه مـا أخـذوه، مقابـل مـا أخـذه منهـم وكان يحتاجـه، سـواء مـال، شـهرة، جنـس..

تفاجـأ بيمامـة وقفت عـلى النافـذة بيـن القضبـان، ظلـت تسـترق النظـر إليه لثـوانٍ قبـل أن تطير مـرة أخـرى في سـماء الحريـة. شـتان الفـارق بينـه وبينهـا! تذكـر حـوار دار بينـه وبـين أمـه ذات مـرة، أخبرتـه فيهـا أنهـا تحـب اليـمام، وكانـت قبـل الـزواج تـربي زوجـين منهـما في شرفتهـا.

تـرى، هـل مـن الممكـن أن تكـون هـذه اليمامـة مجـرد روح، روح أمـي؟!.. شرد يفكـر في الأمـر وهـو يسـأل نفسـه، ثـم أجـاب بصـوتٍ خفيـض: نعـم، مـن الممكـن فعـلاً أن تكـون روحهـا، ولم لا؟!

طق.. طق.. طق

عـاد الصـوت مـن جديـد مصحوبًـا بصـوت سـعالٍ سـمعه مـن خـلال فتحـة البـاب، فانتزعـه مـن شروده.. نهـض مـرة أخـرى واشرأب واقفًـا عـلى أطـراف قدميـه:

- مـن أنـت؟ ومـاذا تريـد؟




كان الصوت خافتًا ضعيفًا لا يستطيع سماعه جيدًا، فأعاد عليه السؤال متنصتًا إليه بتوقدٍ واهتمام.

- أنا زميلك، في الزنزانة المجاورة.. شعر مروان بأن الصوت حميميّ، أو ربما لأنه ليس لديه رفاهية اختيار الأشخاص الذين يتحدثون إليه..

- ما اسمك؟ وما هي تهمتك؟.. سأله متلهفًا

- اسمي محمد عبد العظيم، وتهمتى القتل، قتلت أمي لأنني اكتشفت بعدما عدت من السفر أنها تدير بيتًا للدعارة.. وأنت؟

- القتل أيضًا، لكنني مظلوم، لم أقتل زوجتي.. لم أقتلها

- لا تكذب علي، فأنا ليس لي مصلحة في تصديقك من عدمه..

- أقسم لك إنني لم أفعل ذلك.. وسأعدم ظلمًا

- متى سيتم تنفيذ الحكم؟

- بعد أسبوعين من الآن

- يا لحظك.. ستعيش أسبوعًا بعدي.. سيتم تنفيذ حكم إعدامي بعد أسبوع..

- أتحسدني؟!! سأله متحسرًا.. عمومًا لا فارق بين أسبوع أو أسبوعين، طالما سينتهي الأمر في النهاية إلى حبل المشنقة

لم يرد عليه الرجل، فاستطرد مروان وقد بدا على وجهه الاغتمام: الأصعب من ذلك هو انتظار الموت بينما هو متربص بك وينتظرك أيضًا شارعًا لك ذراعيه

- هل مللت الانتظار من أول يوم!!

- بالطبع.. الأمر صعبًا جدًّا.. أول يوم هنا بالنسبة لي كدهر.. لا أستطيع تقبُّل فكرة أنني أعرف موعد موتي، موعد إعدامي.. لا أريد ترك هذه الحياة الآن، فأنا لست مستعدًا لذلك.. قالها وبكى.

- أتحب الحياة لهذه الدرجة؟ أتعرف؟ السجين الذي قبلك بدا لي أنه كارهٌ للحياة، لدرجة أنه كان يعد الأيام كي يأتي موعد تنفيذ الحكم فيه.. أعتقد أنه مجنون

- ليس مجنونًا، بل بائسًا. قل لي، أنت هنا منذ متى يا محمد؟

- منذ أربعة أشهر

- كيف ذلك؟!! لماذا قضيت فترة طويلة هكذا بين حكمك وموعد تنفيذه؟

- طلبت من المحامي أن يطعن في الحكم، ربما يخففون الحكم، لكن الطعن تم رفضه وجاء الحكم مؤكدًا للإعدام، عمومًا لم أخسر شيئًا، بل بالعكس فقط كسبت بعض الوقت الذي استمتع فيه بالتنفس، باستخدام رئتي وقلبي وأعضائي..

- وما فائدة استخدام أعضائك كلها بدون استخدام أعضائك التناسلية؟!! وما قيمة الحياة بدون استخدامها؟! قالها مازحًا

- ومن قال لك إنني لا أستخدمها، فأنا أمارس العادة السرية كل يوم تقريبًا

شرد مروان قليلا مسترجعًا ما قاله الرجل، نفض رأسه وهو يسأله بعد أن رأى بريق أمل - ماذا قلت منذ قليل؟

- أمارس العادة السرية كل..

قاطعه: لا لا لا لا أقصد قبلها.. هل يمكن لي أن أطعن مثلك في الحكم؟

- نعم، ولم لا.. ألم تطلب ذلك من المحامي؟!

- لا.. ليس لديَّ محامي، وليس لديَّ أي شخص في هذه الدنيا كي يعيّن لي محاميًا يترافع عني، ليس لي سوى ابني، الرضيع




- لقد سمعت منذ قليل حينما كنت تتحدث إلى العسكري أن لديك مالًا كثيرًا، إلى أين سيذهب كل هذا المال إذًا؟

- لا أعرف.. وهذا الأمر يؤرّقني

- ألم يكن لديك يومٌ ما أي صديق، قريب، أخ..

لا.. شرد قليلًا وظل يفكر في الأموال التي أودعها عند نشأت، ظل ينادي مرة أخرى على العسكري الذي كان واقفًا مع زملائه آخر الطرقة وقال له بصوتٍ عالٍ لكنه كان منخفضًا بالنسبة لمروان: نادي أكثر وأكثر ولن يعيرك أحدٌ أي اهتمام..

***

لم تختلف غرفتها كثيرًا عن غرفة مروان، حينما دخلتها وفاء ظلت تجول بنظرها على الأربعة جدران وهي تفكر في الطريقة التي ستستطيع بها تحمُّل فترة سجنها هنا، ظلت جالسة متربعة، مستندة بظهرها إلى الجدار، في البداية شعرت بالغثيان من الرائحة النتنة التي تعبق الغرفة، لكن لم يمر وقت كبير حتى تعوّد أنفها على هذه الرائحة، بعد ساعة أو اثنتين لا يهم كم من الوقت مَر هنا، مددت جسدها على الأرض، ظلت تفكر في طفولتها وكيف كانت تعامل أختها ريهام، شعرت بالضيق لأنها لم تكن تكِنّ لها أي مودة، ولم تعلم سبب ذلك، انتابها الندم أيضًا حين تذكرت سرقة الروايات من مكتبها ونشرها باسمها، فشعرت حينئذ أنها لم تستحق كل ما نالته من نجاح، ولم يكن سوى نجاح وهمي. لأنه ليس من حقها..

ما عذبها أكثر هو أن ريهام لم تتفوه بكلمة قط، ولم تحزن لسرقة رواياتها قدر ما حزنت بسبب الشقاق الذي كان بينهما، والكره والحقد والضغينة الذين غلفوا قلبها..! واجهت في هذه اللحظة نفسها بكل

شيء، وودت لو بصقت على نفسها مما فعلته قديمًا مع أختها، التي كانت كالملاك، بينما هي كانت شيطانًا لا يحب أحدًا.

ولم تكتفِ بسرقة الروايات فقط، وإنما بإحداث وقيعة بينها وبين خطيبها قديمًا، وانفصلا بسببها. وأخيرًا سرقت منها زوجها وأقامت معه علاقة.. ظلت تنتحب واضعة رأسها بين ركبتيها، ثم نهضت فجأة وأخذت تدب رأسها في الأرض..

***

٢٦/ ١٠/ ٢٠١٠

بعد مرور ستة أيام في الحبس الانفرادي

كان البابان متجاورين، بينما يتحدث مروان إلى السجين المجاور يخرج يده من نافذة الباب الصغيرة استجداء وطلبًا لمساحة أكبر من مساحة الغرفة الضيقة، تحدثا طيلة الأسبوع الماضي مرتين أو ثلاث، وكثيرًا ما كان ينادي مروان عليه فلا يرد، فكان يلتمس له العذر، فهو على وشك الموت، ومن المؤكد أن حالته النفسية متقلبة.

في هذا اليوم، استيقظ ككل صباح بعدما دخل الطعام من الباب، ليدخل معه هواء منعش من خارج الغرفة، وبينما يتناول مروان فطوره انتبه لصوت طرق جاره على الجدار، تهلل فرحًا «أين كنت يا رجل؟ لقد قلقت عليك..!»

«أعتذر لك يا صديقي الذي أحببته رغم أنني لم أره، كنت أسمعك تنادي عليَّ ولم أرد، فقد كنت في الفترة السابقة بائسًا يائسًا وكنت أقضي طوال اليوم في ثلاثة أشياء، التفكير والبكاء..»

انتظر مروان أن يخبره عن الشيء الثالث لكنه صمت، فسأله: وما هو الشيء الثالث إذًا؟ فأجابه الرجل بصوتٍ يملؤه الحزن:



- العدم.. الخواء.. اللاشيء.

ابتسم مروان بجانب فمه ابتسامة ساخرة يائسة: رغم أن كلامك غامضٌ لكنني أعلم جيدًا وأعي ماذا تقصد.. فالخواء والعدم واللاشيء هم ألفاظ تصف الأشياء التي لا وصف لها

- هل تعلم أنني كنت أفكر في أمرك كثيرًا؟! هل تتذكر حين أخبرتني منذ يومين أنك كنت تفكر في فعل شيء، وتقوم بعكسه في نفس الوقت يا مروان

- نعم.. وما علاقة ذلك؟!

- أقصد أنه من الممكن أن تكون بالفعل قتلت ريهام دون أن تدري، أو مثلًا ظهر لك هذا الرجل الذي يظهر لك كثيرًا، ووسوس لك أن تفعل ذلك في غفلة من أمرك.. خصوصًا أنك قلت لي إنك تعاني من مرض نفسي يأتي لك بسببه هذا الرجل.

- نعم أنا كنت مريضًا نفسيًّا بمرض يسمى الذهان، وهو مرض يأتي لبعض الناس وخصوصًا الكُتَّاب أو المبدعين، ولا أنكر أن ظهور هذا الرجل كان بسبب هذا المرض، ولكنني لست مجنونًا، ومتأكدًا تمامًا أنني لم أقتلها!

- ألم تكن تشك فيها يا صديقي؟

- أحيانًا، ولكن ريهام رحمة الله عليها لم تكُن خائنة، لم أرَ منها يومًا ما أي شيء يدل على خيانتها، أتعرف؟ في إحدى المرات تصنتّ عليها وقد اتصل بها خطيبها السابق، وحاول مرارًا وتكرارًا أن يقابلها أو فقط يراها لمدة دقيقة، رفضت رفضًا قاطعًا وأخبرته أنها تحبني وأغلقت المكالمة.

- ولماذا طلقتها إذًا؟ ولماذا كنت تعاملها هذه المعاملة السيئة طالما أنها بهذه الأخلاق؟



- لم أكن أحبها يا محمد، بالإضافة إلى أنني لم أكن أرغب في أن تستمر علاقتي مع أختها بهذا الشكل، فقررت أن أطلقها بعد أن أعطيها كامل حقوقها.

- قل لي يا مروان، هل ظهر لك في الفترة السابقة هذا الرجل ذو الجلباب الأبيض؟

- لا.. وهذا أكثر شيء يحيرني.. ربما لأنني شفيت من الذهان..! ربما.. ولِمَ لا!..» شرد مروان قليلًا، فهو يتحدث إلى رجل سيموت غدًا، وربما هذه فرصة لأن يحكي ما خفاه عن كل الناس طوال عمره، أعجبته فكرة أن يحكي كل الأشياء التي طالما أخفاها داخل صدره لرجل سيموت بعد ساعات، رجل لم يره من قبل بل كل ما بينهما هو الصوت فقط، وبذلك يكون قد فضفض عمّا بداخله لشخص ما، وضمن في نفس الوقت أن ما سيقوله سيدفن معه بعد ساعات..

- أأخبرك بشيء لم أجرؤ على حتى التفكير فيه بيني وبين نفسي يا محمد؟

- هل ستخبرني لأنك تعلم أنني غدًا، في مثل هذا الوقت سأكون ميتًا؟ سأله مبتسمًا فاندهش مروان لأنه عرف ذلك، وشعر بالحرج ولم يرد عليه.

- لا تشعر بالحرج يا صديقي، فأنا قد هيأت نفسي بالفعل للموت ولم أعد أريد من الحياة شيئًا آخر، ودعوت الله أمس أن يقبل طعنك وتنجو من هذه المشنقة.. قل لي يا صديقي ما هو هذا الشيء الذي لم تجرؤ على التفكير فيه؟

- لقد أخبرت كل من حولي أنني رأيت أمي تخون والدي مع رجل آخر في غرفة النوم، والحقيقة هي غير ذلك تمامًا، فالذي كانت معه في



غرفة النوم كان زوج والدتي، تزوجها على سُنّة الله ورسوله. بعدما طلقها والدي، الذي كان يضربها كل يوم عدة مرات حتى دخلت ذات مرة في المستشفى متأثرة بجروح بالغة، فأجبروه أهلها على تطليقها..

- في هذا اليوم المشئوم، اتصلت بوالدي مثلما اتفق معي قبلها، وأخبرته أن زوج والدتي اليوم موجود في البيت ونائمًا في غرفة النوم، وطلب منّي قبلها أن أفتح له الباب حين يطرق بصوتٍ منخفض، فخرجت من غرفتي وفتحت له الباب، فدخل بسِكّينه وذبح أمي انتقامًا منها، بينما هرب زوجها ولم يدافع عنها.. تم تسليمه إلى الشرطة بعدما أمسكوه الجيران الذين رأوه يركض في الشارع ممسكًا بالسكين الذي يقطر دمًا، وحكم عليه بالإعدام

كلما أتذكر أنني كنت السبب في ذلك أبكي، وأهرب من نفسي، ولم أستطع مواجهتها بذلك قط. لذلك، حتى أستطيع العيش كذبت على نفسي، وكذبت وكذبت حتى صدقت هذه الكذبة وآمنت بها، وحكيتها مرة واثنتين وعشرة، حتى صارت حقيقة في حياتي يعلمها كل من حولي، حتى طبيبي النفسي وصديق عمري...

- آه، ذكرتني، هل طلبت من إدارة السجن أن يحضر لرؤيتك؟

- نعم، وأخبروني أنهم سيحاولون أن يصلوا له.. غريبة، لم تعلق على ما قلت!

- وما فائدة تعليقي؟ المهم يا صاحبي أنك فضفضت، وصدقني، أنت حمّلت نفسك فوق طاقتها إن كنت تريد رأيي، فقد كنت حينها صغيرًا لا تدرك أن كل هذا سوف يحدث.. لا تقسُ على نفسك يا مروان.

- كلما أتحدث عن أمي بهذه الطريقة، أشعر بالخجل من نفسي، كم أنا ضئيل، حقير.. أمي التي كانت أشرف سيدة في الشارع، بل أشرف سيدة في الكون.. قالها وغرق في البكاء.



- رحمها الله، ادعُ لها بالرحمة، وادعُ لها أن تسامحك

- لذلك يا محمد أنا خائف من الموت، خائف من مقابلتها، كذبت على كل الناس، وصوَّرتها بهذه الصورة المشينة طيلة خمسة وعشرين سنة

- لا أعرف ماذا أقول لك.. لكن تحدث معها بينك وبين نفسك في أيامك الباقية يا مروان.. ومن يدري، فربما يقبل طعنك أو تظهر أدلة جديدة في القضية وتخرج من هذه المحنة كي تصلح ما أفسدته يومًا ما..

- أخرج.. أخرج من هذه المحنة؟!!» قالها وظل ينتحب، حاول محمد تهدئته لكنه لم يستطع.. ظل يبكي حتى غطّ في سبات عميق وهو يئن، دون أن يودّع محمد.. الذي سيذهب لغرفة الإعدام بعد سويعات قليلة.. ومعه سره.!

***

في اليوم التالي

استيقظ مروان من نومه، ووقف عند الباب وظل ينادي على محمد لكن ما من مجيب، جاءه العسكري ليخبره أنهم أخذوه منذ قليل لتنفيذ حكم الإعدام فيه.. بالرغم من أنه كان يعرف أنه سيُعدَم اليوم، لكنه حين سمع ذلك من العسكري هاجمت أنفه رائحة غريبة، أشبه برائحة الدم.

- ترى، ما هو شعور محمد الآن؟ - سأل نفسه - هل روحه تحوم الآن في أرجاء هذا المكان؟! - تلفت حوله - هل من الممكن أن تكون روحه هنا الآن في الغرفة معي، ويراني لأول مرة؟! هل يريد أن يخبرني بشيء ما ولكنه لا يستطيع لأنه مجرد روح لا تستطيع التحدث مع البشر، وما هي شكل هذه الروح، ما هيئتها؟ وبماذا تشعر؟ هل تريد روحه الآن أن تحدثني عن صعوبة الموت، أم سهولته..؟



جاءت اليمامة ووقفت مرة أخرى بين قضبان نافذته، وأخذت ترفرف بجناحيها لثوانٍ قبل أن تقف مستقرة، ظلت تنظر له فنهض واقفًا كالمجنون ينظر لها ساهمًا، متمنيًا أن تدخل له الغرفة. لم تكد تمر دقيقة حتى رحلت مرة أخرى. ظلَّ ينتحب وتنحدر الدموع من عينيه، فيمسحها بباطن كفه ويمسح مخاطه الذي سال من أنفه وهو يصيح متسائلًا:

أهذه هي روحك يا محمد؟ أم روح أمي جاءت لتخبرني أنها تنتظر تنفيذ حكم الإعدام في؟!... أخبرني يا صديقي.. ما هو طعم الانتقال من الحياة الدنيا إلى العالم الآخر يا محمد.. أرجوك، أخبرني، أعلم أنك في الأغلب تراني الآن وتنظر لي بنظرات شفوقة. وأعلم أيضًا أنني سألحق بك بعد أسبوع من الآن، ولكن فضولي الذي كان يدفعني من قبل، لتذوق طعم جسد كل امرأة أقابلها. هو نفس الفضول الذي يدفعني الآن لأن أعرف ما هو طعم الموت الذي يتربص بي منتظرًا، ليس لشيء سوى أنني ليس أمامي سواه..!

ألا لعنة الله على الفضول..!

ما هو شكل هذا البرزخ الذي يتحدثون عنه، وتحدثتُ عنه بسطحية شديدة، وبمنتهى الحماقة والغباء في إحدى رواياتي؟.. أخذ يدور حول نفسه في أرجاء الغرفة الضيقة، والتي يجثم عليها الصمت والكآبة، شارعًا ذراعيه فيلمس بأطراف أنامله حدود جدرانه علَّه يلمس روح صديقه الذي تعلّق به، وباح له بأعظم سر قابع في بئر روحه، رغم أنه لم يرَ وجهه قط..

عاد إليه العسكري مرة أخرى: لدي لك أخبار سارّة

هرع إليه متلهفًا: سارّة؟! ماذا لديك؟!!



بعـد عنـاء وجدنـا صديقـك د. نشـأت، كان طـوال الفـترة الماضيـة في الخـارج، وأخبرنـاه أنـك تريـده، فقـال إنـه سـيأتي إليـك غـدًا..

❋❋❋

حين خـرج مـروان مـن غرفتـه لأول مرة منذ ثمانية أيام، شعر بالحرية المؤقتـة، كاد عـلى مـدار الفـترة الماضيـة يختنـق مـن ضيـق الغرفـة، حتـى إنـه أحيانًـا كان يسـتأثر المـوت عـلى العيـش داخـل غرفـة ضيقـة كهـذه، لم يكـد يسـير خطوتـين في الردهـة المؤديـة إلى غرفـة المأمـور حتى لفحتـه نسـمة هـواء أنعشـته وتخللـت مسـام وجهـه وجسـده الـذي اقـترب مـن التعفّـن، رغـم أن نسـمة الهـواء هـذه لم تـأتِ لـه مـن الخـارج مباشـرة، بـل مـرت قبـل أن تلمسـه بحجـرات كثـيرة، وجـدران صـماء..

بمجـرد أن رأى صديقـه نشـأت، ارتمـى في حضنـه وأخـذ يبكـي كالطفـل الـذي وجـد أبويـه بعـد غيـاب عقـود، فضمـه إليـه نشـأت غـير متأفـفٍ مـن رائحتـه العفنـة، العطنـة..

- مـا الـذي فعـل بـك هـذا يـا مـروان؟ مـا الـذي أدى بـك إلى هـذا؟ بذلـة حمـراء؟!!

- أقسـم لـك بـالله يـا نشـأت إننـي لم أقتـل ريهـام، أنـت تعرفنـي جيـدًا، أسـتطيع فعـل أي شيء إلا أن أقتـل

نظـر نشـأت بضيـق إلى العسـكري كـي يتزحـزح قليـلًا بعيـدًا عنهـم، فابتعـد في نفس الوقـت الـذي اقـترب فيـه من مـروان قائـلًا: أنـا أصدقـك يـا مـروان وأعـرف أنـك لا تفعـل ذلـك، ولكنـك في الآونـة الأخـيرة كان يتهيـأ لـك أشـياء كثـيرة، وكنـت تفعـل عكـس مـا تريـده في أحايـين كثـيرة.. أليـس كذلـك؟

- نعم، لا أنكر ذلك، ولكن أقصى شيء أفعله هو أنني أرسل رسالة لسيدة رغم أني لا أريد، أذهب للقاء أخرى في الوقت الذي أعلن فيه توبتي.. إلخ ، لكن أقتل يا نشأت؟ مستحيل.!

تنحنح مبتعدًا برأسه عنه وهو يسأله: حسنًا، فلنتحدث في المهم، أنت الآن تلبس البذلة الحمراء، وسينفذ فيك حكم الإعدام بعد أسبوع من الآن..

قاطعه مروان: بعد ستة أيام، وسويعات قليلة

- وليكن.. ماذا تريد أن تقول يا أعز صديق مرَّ في حياتي قالها وعيناه مغرورقتان

- أريد أن أخبرك أنني أحب الحياة، ولا أريد أن أموت الآن يا نشأت، ولدينا محاولة واحدة، فلنجربها، ربما..

- ألا وهي..!

- أن تعين لي محامي ليستأنف لي، مستعينًا بتقارير سابقة منك على أنني أعاني من حالة نفسية تهيء لي أشخاصًا يتجسدون أمامي، أو أي تقارير طبية أخرى من الممكن أن تفيد المحامي

- حسنًا، ليس لدي مانع.. سأعيّن لك بدلًا من المحامي عشرة، وسأدفع لك كل ما أملك في سبيل براءتك..

- لالالا.. لا تحمل هم أي تكاليف يا صديقي.. وهذا هو الموضوع الثاني الذي أريدك فيه

- ما هو يا مروان؟

تدخل العسكري وقاطع حديثهما: الوقت انتهى، ويجب إعادة المتهم إلى زنزانته الآ..

قاطعه مروان: أرجوك يا حضرة العسكري أعطيني نصف دقيقة أخرى.



- لا أستطيع يا متهم، فالأوامر تـ..

تدخل نشأت بعصبية: ماذا بك؟ الرجل أيامه في السجن معدودة، أعطنا دقيقتين ليخبرني ماذا يريد أن يقوله لأهله..!!!

ابتعد العسكري مضجرًا، فاقترب مروان برأسه من نشأت متحدثًا بصوتٍ خافت: أنت طبعًا تعرف كم المبلغ الذي أودعته في خزينتك؟

- ليس بالضبط، ولكنك أخبرتني حينها أنهم أكثر من ثلاثة ملايين جنيه.

- بالضبط، إن أراد الله وتم قبول الطعن وتخفيف الحكم، خذ منهم أتعاب المحامي، والباقي سيكون من نصيب ابني، أعطِه له حينما يكبر فيستطيع شق طريقه.. وإن لم يرد الله وتم الرفض، فسأكون الأسبوع القادم مثل اليوم ميتًا، معنى ذلك أنك ستتكفل بتربية ابني وتنفق على تربيته ودراسته من هذه الأموال، وأعطِه الباقي حين يكبر.

- حاضر.. حاضر يا مروان.. سأدفع تكاليف المحامي من معي الآن، وبعد ذلك سنرى ماذا يحدث، وبناء عليه سنتحرك.

- كلمة السر ٦٩١١١٦٩ لا تناساها...

- حسنًا يا صديق عمري.. لا تقلق.

- أين ابني الآن يا نشأت، أنا علمت أنك تسافر كثيرًا خارج مصر، ولكن أرجوك أن تأخذه من الجيران الذين يربونه الآن وربِّه مع أولادك، وكما قلت لك، ففي كل الحالات ستكون كل هذه الملايين تحت تصرفك.

- لا تشغل بالك بابنك يا مروان، فسأعتني به، أعدك بذلك.. نظر نشأت له مليًا لثوانٍ ثم انفجر فجأة في البكاء وأخذه في حضنه، في نفس الوقت الذي تدخل فيه العسكري ليفصلهما عن بعض ويمسك مروان من ذراعه ليجذبه نحو الغرفة مرة أخرى، نادى مروان على نشأت الواقف مكانه متصلبًا:



- لا تنسَ أي كلمة مما قلتها لك يا نشأت، ابدأ في التحرك غدًا، لا لا بل الآن يا نشأت أرجوك، أرجوك يا صدي..

بينما خفت صوت مروان مبتعدًا عن نشأت الذي جلس مكانه لخمس دقائق يبكي، غير مستوعبٍ ما رآه وما يجري.. وأخذ يفكر فيما سيفعله..

***

في اليوم التالي جاء نشأت إلى مروان وطلب مقابلته ولكن مأمور السجن رفض المقابلة، فكتب له ورقة يخبره فيها أنه استطاع أن يعين له محامي كبير في مثل هذه القضايا، وطلب الطعن في الحكم. مستعينًا بتقارير طبية ونفسية قديمة لمروان.. هذه التقارير استطاعت أن تقلب القضية رأسًا على عقب، فحكم القاضي بعد أسبوع بتخفيف الحكم من إعدام إلى أشغال شاقة مؤبدة؛ خمسة وعشرون عامًا.

حين أخبر مروان الحكم في زنزانته، جلس على الأرض كجدارٍ هوى، بعدما كان واقفًا قلقًا لمدة ساعتين كاملتين، انتابته حينئذٍ مشاعر مضطربة. لا يدري هل يفرح لأنه أعتق من مصيره الذي كان محتومًا، وأنه نجا من حبل المشنقة وسيعيش. أم يحزن لأنه رغم ذلك سيعيش سجينًا، حبيسًا لأربعة جدران صماء.. هل دخول الهواء إلى رئتيه وخروجه منها أفضل من أن يلقى مصيرًا مجهولًا؟!

كانت مشاعره مضطربة في هذا اليوم. ولم يكن يعرف أنه ستختلجه هذه المشاعر المضطربة إن هرب من الإعدام، لكن الأكيد أنه انزاح عن كاهله همّ الموت بحبل المشنقة. وفيما بعد سيبدأ في التفكير كيف سيقضي الخمسة وعشرين عامًا القادمة، وكيف سيهيء نفسه نفسيًا لهذا الأمر..



في اليوم التالي..

أخرجه العسكري من زنزانته واقتاده إلى إحدى الغرف المعلَّق على بابها «مأمور السجن» دخل فأجلسه على الأرض لساعتين استمتع فيهما بتغيير المكان والرائحة. حتى جاء المأمور ممسكًا بجرائد وضعها على مكتبه ثم التفت له وظل معلقًا نظره إليه لنصف دقيقة قبل أن يركله في بطنه، فأخذ يصرخ ويتلوى ألمًا..

- حين ينظر إليك قنديل عبد الملك لا تبادله النظر يا كلب يا ابن الكلب.. مفهوم؟!

«....»

- أجبني.. صرخ في وجهه.. مفهووووم؟!

- مفهوم.. مفهوم.. أجابه ولا زال واضعًا يديه على بطنه يتأوه ويتضور ألمًا، أمسك قنديل ملفه وأخذ يقلبه وينقل نظره بينه وبين الملف..

- ماشاء الله.. كاتب روائي؟!!.. إذًا لماذا لم أسمع عنك من قبل؟ سمعت فقط عن شريكتك العاهرة، التي اشتركت معك في قتل زوجتك

أجابه بضحكة ممزوجة بالأسى: ليس ذنبي أنك لم تقرأ قط، وهذا سبب كافٍ كي لا تسمع عني من قبل.

- ومن أنت سوى أحد مدعي الثقافة المتسكعين بين مقاهي وسط البلد؟

- لن أرد عليك..

اقترب منه بخطواتٍ وئيدة حتى وقف أمامه ووطأ بقدمه على ساقه فأخذ يتألم ويصرخ

- إن كنت قد أفلتُّ من حكم الإعدام، فأحب أن أصدمك وأخبرك أنك بائس، ميت، لن ترى الأسفلت مرة أخرى، ستموت هنا.. لن تعيش خمسة وعشرين سنة.



نادى على العسكري بعد أن بصق في وجهه، دخل فأمره قنديل أن يأخذه إلى الزنزانة، فك قيده وأمسكه من ساعده، ليساعده على النهوض بينما كان يبكي من الألم.. كان ذلك حين ألقى قنديل نظرة على ملفه.

- قدِّم له كل يوم نصف حصته من الأكل فقط.. مفهوم؟!.. قالها مبتسمًا ابتسامة ظفر..

أومأ له العسكري برأسه وهو مشفق على مروان الذي يجهل مصيره المقبل عليه، ركله قنديل في مؤخرته فانكفأ على وجهه حين مرّ بجانبه مع العسكري، فانحنى عليه العسكري وأمسك بيديه ليساعده على النهوض مرة أخرى وخرجا بعد أن أدى التحية للمأمور وأغلق الباب..

سار به العسكري في الطرقة المؤدية إلى الزنزانة الإنفرادية، وعلى اليمين واليسار أبواب الزنازين الأخرى، المغلقة كأبواب القبور، سأله:

- هل قلت له أي شيء جعله ينفعل؟

- لا أبدًا، لم أقل له أي شيء

قال له بصوتٍ خافت: أنصِت إليَّ جيدًا، قنديل عبد الملك هو أقسى مأمور مرّ بهذا السجن، أنصحك ألا تحاول أن تتفوه معه بأي حرف يجعله يخرج عن شعوره، هذا إن أردت أن تقضي مدة عقوبتك بلا أي إصابات أو عاهات مستديمة

- شكرًا لك، سأفعل

وصلا إلى باب غرفته الانفرادية وفتح العسكري الباب ليدخل مروان الذي تردد في التحدث معه، حتى قرر أخيرًا أن يفعل:

- هل من الممكن أن تساعدني في قضاء شيء لي؟ ولا تقلق سأعطيك كل ما تريد، أقسم لك

- ولو حتى بدون مقابل، أؤمرني..



- أريدك أن تذهب إلى أحد أصدقائي، اسمه نشأت، وتسأله عن أخبار ابني وتطمئن عليه، واطلب منه أن يأتي لزيارتي بين الحين والآخر، واسأله بعد ذلك أن يعطيك ما تطلبه، ولا تقلق فأنا أعطيته مبلغًا كبيرًا لمثل هذه الأمور

نظر له العسكري نظرة شك وارتياب فأردف مروان: أرجوك، فأنا هنا ظلم في قضية قتل لم أفعلها، أرجوك يا...

- متولي.. محسوبك متولي

- أرجوك يا متولي، وسأكون مديونًا لك بعمري، أنا أب، وليس لي أحد في هذه الدنيا سوى ابني الرضيع، أرجوك... انحنى على يديه محاولًا تقبيلها فسحبها متولي بسرعة وأخذ يغمغم إلى أن وافق مترددًا..

بعدما أغلق متولي الباب عليه، وقف منتصبًا في وسط الغرفة يجول ببصره فيها بعينين غير التي كان يراها بها قبل الاستئناف، وقد بدأ يشعر بالاختناق، وأدرك أن عليه التعود على هذا الوضع طيلة خمسة وعشرين سنة..! شعر أنه لا يتنابه أي شيء، وأنه مقبل على مرحلة الموت بالتصوير البطيء.

لا يدري هل يجب عليه أن يفرح لأنه سينعم بالحياة بعد أن تم إنقاذه من حبل المشنقة؟ ولكن هل هذه تعتبر حياة؟ سأل نفسه، حتى وإن كان أبسط تعريف الحياة هو دخول أنفاس للرئة كشهيق، وخروجها منها كزفير. هل هنا، في هذه الغرفة الضيقة يوجد رفاهية التنفس؟!

تمنى في هذه اللحظة أن يعدم شنقًا أو رميًا بالرصاص أفضل من أن يحيا هنا في هذا السجن عمرًا آخر يقارب ما عاشه.. أدرك حينها أنه بالفعل مقبلٌ على الموت ولكن بصورة أخرى، في إحدى ندواته سأله أحد القراء «هل للموت عدة أوجه؟ هل له صور وأشكال عديدة؟»



أجابه حينها أن لا، فالموت هو الموت، له شكل واحد وهيئة واحدة وإن تعددت سُبله. لكنه في هذه اللحظة فقط أدرك أن الإجابة لم تكن لا، بل نعم. فمجرد البقاء ليومٍ واحدٍ في غرفةٍ كتلك، هو الموت بعينه. مجرد بعده عن فلذة كبده ولا يدري كيف حاله الآن، هو الموت بعينه. مجرد ندمه على ما فعله مع زوجته إلى أن خسرها وماتت ليعيش بعدها بعقدة ذنب، هو الموت بعينه. مجرد تذكره لكل ما قاله عن أمه وتشويهه المتعمد لها طيلة حياته، هو الموت بعينه.

أدرك في هذه اللحظة أنه لن يستطيع قضاء خمسة وعشرين يومًا هنا وليس خمسة وعشرين سنة. كما أخبره مأمور السجن.

مدد جسده على المرتبة واضعًا يديه تحت رأسه وقد شعر بخدرٍ يسري في جسده قائلًا لنفسه بصوتٍ عال: «خمس وعشرون سنة؟!! كيف سيمر اليوم هنا وأنا أحتاج أن يمر ثلثمائة شهر، أي أكثر من تسعة آلاف يوم..! كيف سأستطيع تحمل تسعة آلاف يوم؟ أنا حتى لا أعرف ما الساعة الآن.. كيف سيعاملني مأمور السجن طيلة مدة قضائي هنا؟ هل سأستطيع أن أرى الأسفلت مرة أخرى أم مثلما قال؟»

شعر أكثر بالاختناق، نهض كالمجنون وظل يطرق الباب فاستشعر نسمة هواء دخلت رئتيه فأنعشتها، نظر فوقه فأدرك أن مصدرها هو ذلك الثقب بأعلى الباب. ظل يقفز لسرقة المزيد من الهواء، عدة قفزات شعر بعدها بالتعب والعطش، أمسك الزجاجة عازمًا على شُرب الماء الذي بها دفعة واحدة لكنه تذكر أنها يجب أن تكفيه لمدة خمسة أيام، فشرب منها مقتصدًا بعد أن درّجها بذهنه ليعرف الكمية التي يجب ألا يتعداها كل يوم..

استلقى بجسده مرة أخرى على المرتبة، لم يفكر في شيء، أفرغ عقله

تمامًا من كل شيء ليستريح قليلًا من التفكير، فهو ليس متعجلًا على شيء، وليس وراءه موعد، وسيكون متفرغًا هكذا طيلة ربع قرن، بلا أي مطالبات من دار نشر لرواية جديدة، أو من قراء لحفل توقيع، أو من إحدى السيدات لقضاء ليلة حمراء معها.. متفرغًا تمامًا..

نام متوسدًا رائحة عطنة، وربع قرن سيقضيهم فقط في التفكير..! بعد أن مرّ عليه أول يوم كالدهر..

***

استيقظ في صبيحة اليوم التالي، بعد أن رأى في أحلامه كل العذاب الذي تعرض له في الفترة الماضية، بينما كان غارقًا في أحلامه شعر في عقله الباطن أنه سيستيقظ حتمًا بعد قليل ليجد نفسه على سريره الوثير، سيأخذ حمّامًا دافئًا ويستكمل روايته مستمتعًا بفنجان قهوة وسيجارة قبل أن يذهب لمقابلة إحدى عشيقاته أو لعقد ندوة أو لمقابلة وفاء نخلة..! سيسير بمحاذاة نهر النيل مستنشقًا هواء طلقًا، سيتحدث إلى أي شخص يستوقفه ليعبر له عن إعجابه بقلمه..

لكنه استيقظ متلفتًا حوله فوجد نفسه أنه لا يزال في محنته، غارقًا في عرقه قبيح الرائحة والذي أخذ يأكل جسده. وكل ما رآه في أحلامه ليست إلا محاكاة لما هو قابع فيه الآن، وسيقبع فيه عمرًا آخر بأكمله.. ألقى برأسه مرة أخرى ناظرًا إلى السقف المتآكل المليء بالرطوبة، نام على جنبه موليًا وجهه للحائط، فانتفض فجأة حينما رأى بُرصًا يسير على الحائط فالتصق بالحائط المواجه وظلّ ينظر له بوجه مليء بالذعر فلمح بُرصًا آخر بطرف عينيه وهو يسير بجانب كتفه فانتفض مبتعدًا عنه هو الآخر وأخذ يبحث عن أي شيء لقتلها فأمسك زجاجة المياة، فتحها ورشها عليها دون أن يدري أن ذلك لن يؤذيها..



ودون أن يدري أنه استهلك المياة التي سيستخدمها لأربعة أيام أخرى.. أما البرصان فهربا بعيدًا عنه قرب السقف وظلا هكذا..!

انتفض مرة أخرى صارخًا حين لمح الكوة التي أسفل الباب تفتح ويمر منها كيسٌ أسود، لوهله تراءى له أنه قطة سوداء قبل أن يستدرك أنه مجرد كيس..! بعدما دخل الكيس انغلقت الكوة مرة أخرى. أقبل عليه يفتحه فرأى بداخله رغيف خبز صلبًا متيبسًا، أسود اللون، ومعه قطعة جبن أبيض بلاستيكية القوام لا رائحة لها..! نظر لها مُتحسرًا، متسائلًا كيف سيأكل هذا الأكل القذر؟! وضعهما مرة أخرى داخل الكيس وألقى بهما بقوة في الحائط.. لم تكد تمر دقيقة من الحسرة والبكاء حتى التقطه مرة أخرى وأخرج منه الجبن فافترشه بإبهامه في الرغيف وأخذ يأكله في نهم وتلذذ مقنعًا نفسه أنه يأكل ديك رومي، كي يستطيع أكله فيسد جوعه..!

بعد مرور.. لا يدري بعد مرور ساعة أو ساعتين، فتح متولي الكوة بأسفل الباب فهرع إليه مروان كي يستنشق قليلًا من الهواء المقبل عليه من الخارج فسمع حشرجة..

- كيف حالك اليوم يا أستاذ مروان؟ سأله بصوتٍ خفيض

استاذ مروان؟!! كان وقع اسمه مصحوبًا بلقب أستاذ له طربًا في أذنيه، بعد أن كاد ينسى أن اسمه مروان، وأنه كان ينادى كثيرًا بلقب أستاذ، رد عليه.. «نـ.. نعـ.. نعـ.. نعم.. نعم»

- أنا متولي..

- متولي.. كيف حالك؟ هل ذهبت إلى العنوان؟ سأله متلهفًا

- نعم، ذهبت للعنوان، و..

- وماذا؟ إخبرني ماذا وجدت وأرجوك لا تخبئ عني أي شيء، فأنا الآن مستعد لسماع أكثر الأخبار سوءًا.



- لم أجد صديقك د. نشأت.. زوجته الدكتورة أخبرتني أنه سافر
- ليست هذه المشكلة، المهم أن زوجته ترعى ابني. أليس كذلك؟
- لا.. فقد أخبرتني أنه أعاد الولد إلى جيرانكم الذين أخذوه بعد قتل زوجتك مباشرة، ذهبتُ إليهم فوجدته معهم
- سافر وأعادوه إلى الجيران، ياله من نذل.. المهم، وكيف حال ابني؟ هل رأيته؟!
- ....
- متولي.. أين ذهبت؟
- أنا هنا.. نعم.. نعم رأيته، ولكن حاله لا يسر، فجيرانك الذين تبنوه فقراء الحال وبالكاد يجدون قوت يومهم، واشتكوا لي من أنهم ينتوون إيداعه في ملجأ.

شعر مروان بغصة في معدته من سماع ذلك فأردف متولي: أعطيتهم خمسمئة جنيه من جيبي الخاص وأخبرتهم أن هذا المبلغ منك، وسترسل لهم مثله كل شهر، أخذوه مني متهللين وتركته بعد أن اطمأننت عليه.

- حمدًا لله، شكرًا جدًا يا متولي.. سأعطيك كل ما دفعت بمجرد عودة نشأت من السفر، فأنا أودعت معه مبلغًا كبيرًا وسأسدد لك كل ما دفعته، هذا غير حسنتك أنت.
- شكرًا لك يا أستاذ مروان، أرجوك لا تخبر المأمور أنني فعلت ذلك، فهو جبار لا يؤمن بإله أو بَدِين.
- لا تقلق.. لا تقلق يا متولي..
- سأذهب الآن.. سلام
- متولي.. ناداه كمن تذكر شيءًا: اسمع.. أريدك أن تأتي لي بزجاجة مياة غير التي أهدرت.

- وفيما أهدرتها؟! للأسف يا أستاذ مروان، لن أستطيع فعل ذلك، فقنديل بيه متحكمًا تمامًا في دخول النملة إلى الزنازين هنا، وإذا فعلت ذلك لن يكتفي بطردي، بل وسيعاقبني ويعذبني و..

قاطعه: كفى يا متولي.. سأنتظر انتهاء الخمسة أيام.. شكرًا لك يا صديقي، ولن أنسى ما فعلته معي ومع ابني وسأبذل قصارى جهدي لأرد لك كل ذلك..

تركه متولي يعاني من ألم بُعده عن ابنه الذي يتعرض الآن لأحداث مشابهة للأحداث التي مرَّ بها هو في طفولته منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، غير أنه استطاع أن يفلت من قدره المشابه لقدر والده، هكذا فكر، تساءل في قرارة نفسه..

إلى أي حد تتشابه أقدار الناس بعضها ببعض، وهل يوجد خيط وإن كان رفيعًا يجعل من قدره مشابهًا لقدر والده، وهل قدر ابنه سيكون مشابهًا لقدره؟!! ومن المتحكم في صنع هذه الدائرة؟

شخَّص نظره على البرصين العالقين في السقف بعد أن أزيحت الرهبة منهما قليلًا، أو ربما لأنه يرى أنهما بعيدان عنه..!

تلفت حوله وأمسك زجاجة المياة الفارغة، ظل ينظر لها متحسرًا، ندم على فعله ذلك، قرَّب فوهتها من فمه لأخذ بضع قطرات عالقة في الجدار الداخلي للزجاجة لكنه لم يكف لسد عطشه، فآثر النوم كي لا يشعر بالعطش أو الجوع، مدد جسده بعد أن رحل ببصره عن البرصين، غير آبهًا بهما..!



١ يناير ٢٠١١

بعد مرور أكثر من شهر بدأ يعتاد الظلمة، ويوطّن نفسه على التعود على هذا الوضع الأليم وهذه المساحة الضيقة التي يحدّها أربعة جدران صمّاء مطليين بعزلته ووحدته. يقتسم وقته مابين نوم، واستلقاء لجسده، ونوم، واستلقاء.. إلخ. كل هذا ممزوجٌ بالتفكير طوال الوقت في ملايين الأشياء.. حتى كاد التفكير يعصره اعتصارًا..! لحل هذا اللوغاريتم الذي وجد نفسه فيه قابعًا مسلوب الإرادة لا يستطيع فعل أي شيء حياله!

- ترى، من الذي قتل ريهام، هل من الممكن أن تكون ياسمين هي من فعلت ذلك انتقامًا من قتلي لخادمتها أو أمها؟! نهض وحفر بأظافره على الحائط «ياسمين»

جلس مرة أخرى يفكر: هل من الممكن أن يكون زوج نهال، أو زوج أي امرأة أخرى أقمت معها علاقة؟ أو نهال نفسها؟!

كتب على الحائط بأظافره «نهال» وبجوارها «زوج نهال»

ظل يفكر أكثر، تذكر حين كان لديه موعد مع وفاء نخلة في نهار اليوم الذي سافرا فيه، حين كان ينتظرها في جروبي وتأخرت عليه ورآها آتية من شارع آخر غير الشارع الذي فيه دار النشر.. هل من الوارد أن تكون هي من قتلتها؟! ولم لا؟ فهي أكثر شخص يكرهها..

وماذا عن الأدلة التي زرعت في مسرح الجريمة لتورطه.. تذكر أحداث إحدى رواياتها، وكان فيها جريمتان قتل..!

جلس على عجيزته واجمًا، مستندًا بظهره على الحائط وأخذ يتذكر فاغرًا فاه، هذه الرواية كان بها جريمتين قتل عن طريق الذبح، والقاتل استطاع الحصول على حفنة من شعر أخيه كانت عالقة في البانيو..

نهض واقفًا ووضع يديه على خصره قائلًا بعينين جاحظتين:



أمعقـول..؟! أنـتِ التـي فعلـتِ ذلـك يـا ابنـة الشـياطين؟ لمـاذا يـا وفـاء؟ لمـاذا.. فقـد طلقتهـا وانتهينـا منهـا دون أي مشـاكل، لمـاذا يـا وفـاء فعلـتِ بي ذلـك؟!!

شـعر بـأن عقلـه سـينفجر مـن التفكـير.. كتـب اسـمها بأظافـره عـلى الحائـط، واضعًـا بجـوار اسـم نهـال «١٠٪» و زوجهـا «١٠٪» وياسـمين ١٠ ٪» وأمـام اسـم وفـاء «٧٠٪..»

دخـل بـرص غرفتـه مـن خـلال الثقـب الـذي أعـلى البـاب، مقتربًـا ممـا نقشـه مـروان، ظـل مـروان ينظـر لـه مبتسـمًا لهنيهـة قبـل أن يلامـس إبهامـه بالحائـط فأكمـل الـبرص المسـير عـلى إصبعـه ووقـف عنـد كفـه لثانيتـين ثـم أكمـل فمشـى عـلى سـاعده، بينـما لم يـزل مـروان ينظـر لـه مبتسـمًا وجلـس يحدثـه:

- مرحبًا بك يا صديقي، لماذا تأخرت عليَّ اليوم؟!

- ....

- أعلـم أنـك زعـلان مني لأنني لم أعطِك مـاء بالأمـس، ولكـن أبـشر، فمعـي زجاجـة ممتلئـة اليـوم..

قالهـا وأمسـك الزجاجـة ليضـع قليـلًا مـن المـاء في الغطـاء وقرّبـه منـه فـشرب الـبرص قليـلًا مـن المـاء، أو هكـذا خُيّـل إليـه..! بينـما كان ينظـر لـه مـروان منتشـيًا، أمـال رقبتـه قائـلا لـه بصـوتٍ حنـون كالـذي يتحـدث إلى طفلـه:

- هـل انتهيـت مـن الـشرب؟ قـل لي الآن.. مـاذا رأيـت في الخـارج اليـوم قبـل أن تـأتي لي؟

قـرب أذنـه منـه متخيـلًا أنـه يكلمـه: هـل جـاء سـجين جديـد؟ آه نعـم سـمعت صوتـه.. قـل لي مـا شـكله؟



هرب البرص تاركًا هراءه فتحول وجه مروان إلى العبوس: هل مللت من هذه الغرفة هكذا سريعًا؟ حسنًا، شكرًا لك.. لن أفضفض لك مرة أخرى.. تسلل البرص على الحائط وخرج من نفس الفتحة التي دخل منها..

كانت هذه الطريقة ابتكرها كي لا ينسى الكلام فتحميه من الجنون. حتى متولي لم يعد يتحدث معه ولو بكلمة، منذ أن تسلل إلى مسامعه صوت صراخه وكان يعذبه قنديل عبد الملك، ويبدو أنه عرف بالموضوع، ظل الصراخ لأكثر من ربع ساعة قبل أن يهدأ تمامًا، وتفاجأ بأنه دخل له بعدما انتهى من تعذيب متولي، ممسكًا بكرباج منغمسًا في زيت، وهدده أنه سيفعل معه مثلما فعل مع متولي إن صدر منه أي إزعاج أو طلب أي شيء.

منذ ذلك اليوم وأصبح متولي يضع له الوجبتين كل يوم في نفس الميعاد عبر الكوة، دون أن ينبس بكلمة.

***

١ يناير ٢٠١٢

مرَّ عامان، يعيش يومه تثقله مرارة الوحدة، العزلة والندم. ومازالت الساعات تمرُّ عليه وئيدة، متباطئة. يعيش موزعًا مُمزقًا بين وجعين؛ وجع افتقاد زوجته بحمقه ونزقه، ووجع ضياع ابنه منه الذي لم يمر يومٌ عليه إلا وتذكره فأصبح التفكير فيه إدمان، كان مجرد زيارة طيف ابنه لمخيلته يسري في عروقه جذلًا ونشوة. فيُمنّي نفسه بأنه سيراه يومًا ما ليأخذه في حضنه ويقسم له إنه لم يقتل أمه.

كذلك كانت تستبد به الرغبة كل يوم في معرفة شكله الآن، هيئته، مظهره.. عظمتا حاجبيه اللاتي برزتا بعدما نحل وجهه، شعره الذي

أصبح متهدلًا على كتفيه، ذقنه التي طالت وأصبح طولها حوالي سبعين سنتيمترًا يتخلّلها شعر أبيض غزير، والتجاعيد التي هاجمت صفحته عند طرف عينيه وحول فمه..

اعتاد أن يقضي الليل وهو يفكر مُمسِكًا بطرف لحيته يعبث بها ويقرضها بأسنانه فيقطع أطرافها ليحافظ على طولها هذا. ثم يضع الشعيرات المقروضة في أحد الأركان حتى جمع منها كثيرًا.. نفس الشيء مع أطراف شعر رأسه.

يستحم كل شهر، يأمره العسكري أن يولي ظهره للباب فيفتحه ويدخل له دلوًا ممتلئًا بماء آسن أخضر اللون غير صالح للشرب أو الاستحمام، بجواره ليفة بها قليل من صابون تنظيف الأواني وعليه أن يستخدمهم في تنظيف جسده ويسكب على نفسه ما في الدلو من ماء.. كل هذا بعد أن ينظف شعر عانته عن طريق النتف، وإن كان هناك عذاب يلي تعذيب قنديل عبد الملك له..

فسيكون عذاب نظافته الداخلية.

***

١ يناير ٢٠١٣

الوحدة ثقلًا عظيمًا على كتفيه بما لا يطيق. لم يستطع نسيان تلك المرارة التي انزوت داخل قلبه فغيّرته تمامًا وأضافت لعمره أعمارًا. هذا الشخص القابع منزويًا الآن في هذه الغرفة، إن قابله نفس الشخص منذ ثلاث سنوات فسيكتم أنفه ويبتعد عنه متأففًا ولن يستطيع الاقتراب منه مطلقًا من فرط قذراته ورائحته الكريهة، لكنه هو نفسه لم يعد يتذمر من هذه الرائحة لأنه اعتادها منذ ثلاثة أعوام، ولم تدخل أنفه أي رائحة سواها..! علاوة على أن عينيه لم تريا نور الله..! لأن قنديل عبد الملك سدَّ

الشباك المقترب من السقف فلم يعد يدخل له هواء سوى من الكوة التي أسفل الباب، والتي تفتح عشر ساعات فقط في اليوم، وبعد ذلك يواربها متولي فتدخل كمية الهواء المطلوبة فقط لأن يعيش ولا يموت مختنقًا..!

غزر الشعر الأبيض في ذقنه وأطلقها. فطالت حتى وصلت لمنتصف صدره، وشعره طال أيضًا. نائمًا متكومًا على نفسه وركبته تكاد تلامس ذقنه، تصحرت معدته من الأكل الذي لا يتغير، مابين خبز مع قطعة جبن أو فول مسوس. فنحل جسده وامتقع جلده وصار شاحبًا أشبه بالموتى.

كانت تمر عليه أيام لا يتحدث فيها مطلقًا، ليس فقط لأنه ليس لديه شخصٌ يتحدث إليه، وإنما أيضًا لأنه ملَّ التحدث إلى نفسه، وإلى الأبراص والصراصير والنمل الذين يتجولون في الغرفة يعيشون فيها بلا هوادة طوال الوقت دون أن يحركوا فيه رمشًا بل كان غالبًا يأنس بوجودهم. ويعتبر أن وجود تلك الكائنات الحية في غرفته هي الدليل الوحيد لديه أنه على قيد الحياة، وأن هذه الغرفة القذرة بها أحياء غيره، يتقاسمون معه الهواء القليل العطن الذي في الغرفة.. بل وصل به الأمر أنه أصبح مستأنسًا بجدران سجنه التي أصبحت أقرب إليه من نفسه، لدرجة أنه أطلق على كل جدار اسم عَلَمْ خاص به ويظل يتحدث معهم بالساعات..

- أنتم لستم جدران سجن.. أنا الذي بنيتكم قالبًا قالبًا، فكل قالب في هذه الجدران ليس إلا سيدة ضاجعتها، أو مالًا طمعت فيه، أو زوجة مخلصة رؤوم أهنتها وضربتها وامتهنت كرامتها..

ذات مساء، في إحدى ليالي هذا العام، شرد بخياله بعيدًا، اجتر ماضيه



في هذه الليلة اجترارًا، مُستعيدًا ذكريات صباه، حين كان في الثالثة عشرة من عمره. في عيد الأضحى كان يعمل حينئذٍ عند جزار (من ضمن المهن الكثيرة التي امتهنها) كان هذا الجزار لديه سبعة عجول ينبغي أن يذبحهم ويبيعهم قبل انتهاء العيد. ظل يومها ينظر إلى العجول نظرة عميقة نوعًا ما محدثًا نفسه:

- ترى، هل هذه الحيوانات تعلم أو تشعر أنها ستذبح قريبًا جدًّا؟! وإن كانوا يعلمون أو يشعرون بذلك فما هو شعورهم؟ هل يتحدثون إلى بعضهم البعض الآن؟ وإن كانوا يتحدثون فماذا يقولون؟!

ترى، أي عجل فيهم سيذبح أولًا؟ وما هو شعوره حينما يطلب منّي الجزار أن أقتاده إليه؟ وماذا سيكون شعور الستة الباقين؟ ونفس الشيء مع الثاني والثالث؟!

في اليوم الأول، ذبح الجزار ثلاثة، كان مروان الصبيّ مهتمًّا بمراقبة العجول الباقية ومراقبة عيونهم وهم يرون ذويهم يقتادون واحدًا تلو الآخر ويُذبحون أمامهم ويتم تشفيتهم وتقطيعهم بينما يتجمع الأهالي حولهم وهم يُذبَحون. ثاني أيام عيد الأضحى ذبح ثلاثة آخرين وتبقى في الزريبة عجل واحد فقط، العجل الأخير.

في هذه الليلة بات معه في الزريبة وكان ينظر إلى عينيه كثيرًا، وخيل إليه أنه يبكي، سأله لماذا تبكي هكذا؟! تمنى أن يجيبه على هذا السؤال، واستنبط أنه يبكي لأنه على بُعد خطواتٍ من الذبح هو الآخر، وسيفعل فيه مثلما فُعِلَ في ذويه..!

لكنه في هذه اللحظة، في هذه اللحظة فقط، أدرك لماذا كان هذا العجل يبكي، لم يكن بسبب معرفته أنه سيذبح بعد سويعات قليلة، وإنما لأنه يشعر بالوحدة، فهو يعرف أنه آجلًا أم عاجلًا سيموت أو



بالأحرى سيذبح. وأن أكثر عجل محظوظ فيهما هو أول عجل ذُبِح، مباغتة، على حين غرة، دون أن يرى عجلًا قبله يُذبَح..! ولكن ألم انتظار الذبح - وحيدًا - يفوق آلاف المرات ألم الذبح نفسه..! وأكثر عجل بائس هو ذلك الذي رأى كل من حوله وهو يفقدهم الواحد تلو الآخر. حتى صار وحيدًا..

نفس الشيء بالنسبة لفراق الإنسان لكل من حوله.. لمراقبته وهو يخسر الواحد تلو الآخر بينما هو في مكانه، منتظرًا لأن يلقى نفس مصير أحبته وذويه.

فكر في أمه، هل سيقابلها في الجنة، إن دخلها؟! وهل أصلاً يوجد حساب وجنة ونار بعد الموت؟ ما هو شكل هذه الجنة؟ وكيف سيعيش فيها مخلدًا؟ وما فائدة الحياة في الجنة إلى الأبد دون هدف. وقد تعلم طوال حياته أن كل ما يطلبه المرء في الجنة مجاب وسيحصل عليه دون معاناة؟ وهل سيكون للحياة الأبدية طعم دون تعب وعناء للحصول على ما يريد المرء؟ وهل سيكون للحياة طعم دون موت؟ كيف سيخلد المرء في الجنة ويعيش إلى الأبد وهو يعلم أنه لن يموت؟ من المؤكد أنه سيمل من تلك الحياة بعد سنواتٍ قليلة.. نفس الملل الذي أشعر به الآن في هذه الغرفة، والذي كاد يقضي عليَّ..!

فكرة الخلود في الجنة هكذا دون كبد، أو مشقة، أو هدف، أو حتى موتٍ يعرف أنه سيأتي حتمًا. هي فكرة مخيفة، مرعبة. ولا تقل رعبًا عن الجحيم نفسه..!

ظل يفكر هكذا إلى أن أغلقت عينيه رغمًا عنه وسافر في غياهب أحلامه...







١ يناير ٢٠١٤

مروان الذي كان يستطيع أن يعبر عن أي مشاعر تجتاح الإنسان وتعتريه، الآن لا يستطيع أن يستجمع جملة مفيدة، بيد أنه نسي الكلام، نسي مخارج الحروف، لم يتحدث إلى أحد، ولم يحدثه أحد منذ أربع سنين سوى متولي، وبكلماتٍ مقتضبة. لدرجة أنه نسي ما هو شكل الإنسان! هو حتى لا يعرف شكله، ولا يعرف أن وجهه امتلأ بالتجاعيد، ومن الأفضل له ألا ينظر لوجهه الآن، لأنه حتمًا سيتوقف قلبه من الذهول ويفارق الحياة، إن كانت هذه تسمى حياة.. يعرف فقط أن جسده أصبح مجرد كيس جلدي يكسو عظامًا نخرة، هشة..

يحيا عذابًا لا عذاب بعده، أدرك أنه كان مخطئًا حين طعن في حكم إعدامه، فالموت البطيء الذي يتعرض له ويشعر به آلاف المرات كل يوم، لهو أبشع من حُكم إعدام سيكون فيه ما بين لحظة وأخرى، ميتًا..

استند على الحائط محاولًا الوقوف فوقف بظهر منحني بعد عدة محاولات، أخذ يطرق الباب دون جدوى.

- لماذا تسجنوني هكذا كالكلاب؟ لماااذا؟ قالها صارخًا وهو يطرق..

- لماذا تعاملونني هكذا؟ لماذا تريدون أن أموت بالبطيء.. أرني نفسك يا قنديل عبد الملك، فأنا لم أعد أخاف منك.. أنت قاتل ومجرم وكل من بهذا السجن قتلة.. أريد مقابلة حقوق الإنسان.. أريد مقابلة حقوق الإنسان.. أريد مقابلة حقوق الإ...

وسقط على وجهه مُغشيًا عليه..

استيقظ ملهوفًا بعد ساعاتٍ على سماع أحدٍ ينادي باسم ليس غريبًا عليه، اسم لم يسمعه منذ وقتٍ طويل..

- مروان..

أرهف أذنيه كي يسمعه مرة أخرى، علّه يتعرف على الاسم، أو المنادي..!

- مروان.. مروان

فتح عينيه فرأى الرجل ذي الجلباب الأبيض جالسًا على الأرض مطأطئ الرأس وقد بدا عليه الوهن والعجز، وبجواره امرأة تعطيه ظهرها، ترتدي فستانًا طويلًا أبيض اللون كاشفًا عن كتفين عريضين أبيضين يغطيهما شعر ذهبي اللون، دلك عينيه وهو يسألها:

- من أنتِ؟!

استدارت له فتوقدت عيناه بالتماعة حين رآها وضاءة الوجه، بهيئة جميلة ملائكية، وعينان سوداوان واسعتان تذرفان دموعًا غزيرة. غير أن الفستان الأبيض كان ملطخًا بالدماء التي تقطر من رقبتها.. حاول تركيز بصره بعينين نصف مغمضتين.

- ماذا بك؟ ألا تعرفني يا مروان؟ سألته بلهجة مستنكرة بعينين شاخصتين جامدتين دون أن تحرك أي جزء من جسدها.. حاول النهوض لكنه فشل.. كررت عليه نفس السؤال: ألا تعرفني يا مروان، هل نسيتني بسرعة هكذا؟!

- لا.. لم أنسَكِ يومًا واحدًا يا حبيبتي.. افتقدتك كثيرًا يا ريهام.. افتقدتك كثيرًا يا زوجتي العزيزة.. قالها وقد التهبت روحه التائقة إليها، فتغضن وجهها قائلة:

- أنا لست زوجتك.. أنا طليقتك.. ولم أكن عزيزة يومًا ما.. بل كنت رخيصة، مُهانة.

اختلجت عيناه: أعرف يا ريهام أنني عذبتك كثيرًا.. ولكني لم أقتلك أقسم بربي.. وأنتِ أكثر شخص يعرف هذا.. قولي لهم يا ريهام إنني لم أفعل ذلك، أخبريهم بالحقيقة كي أخرج من هذا العذاب الذي لا ينتهي.

- هل تريد إخبار الناس بالحقيقة كي تثبت لهم حبك لي. أم لتخرج فقط من السجن؟

تلجلج ولم يستطع أن يجيبها فاستطردت: أنت أناني.. طوال عمرك كنت أنانيًّا، منذ اليوم الذي اتهمت فيه والدتك بالعهر، كي تغطي على مسؤوليتك عن قتلها.

- مثلما لم يمر عليَّ يومٌ دون أن أتذكرك يا ريهام، كذلك لم يمرّ عليَّ يومٌ دون أن أتذكر هذا الموضوع نادمًا عما فعلته، ولكنني كنت صغيرًا حينها لا أعرف شيئًا.

- إذًا فكان الأجدر ألا تذكر والدتك بأي شيء يسيئها بعدما كبرت، لكنك أسأت لها طوال حياتك، بل وكتبت هذه القصة الكاذبة في إحدى رواياتك وصرحت بعدها أنها واقعية ولمّحت لعدة صحف أنها جزء من ماضيك.. كذاب أشر!

- ندمت على قولي هذا الكلام، وقد عاقبت نفسي بما فيه الكفاية على فعلي كل هذا.. وها أنا الآن، أنتظر الموت

- قل لي، لماذا كنت تخاف الإعدام؟

- لأنني أخاف الموت.

- لا.. مازلت تكذب!! الحقيقة هي أنك تخاف مقابلة والدتك بعدما تُعدَم.. فأنت تعرف جيدًا أنها تنتظرك في العالم الآخر كي تقتص منك على أنك كنت سببًا في قتلها باتصالك بوالدك سرًا لإخباره أنها في المنزل مع زوجها الثاني، وفتحت له الباب كي يدخل دون أن يشعر به أحد ويباغتها ليذبحها.. ولم تكتفِ بذلك بل ولوثت سمعتها أيضًا..!

أمسك رأسه كي لا يسمع ما تقوله لكنها استطردت: أين أختك؟ هاه.. ألم تخبر الناس كذبًا أن أناس آخرين تبنوها؟ والحقيقة هي أنك كنت أيضًا السبب في ضياعها.. أليس كذلك؟!

أخذ يصرخ وهو مغمض العينين كي لا يراها حاول أن يسكتها لكنها تحدثت بصوتٍ أعلى: والآن تريد أن تقنع الناس أنك لم تذبحني؟ كيف؟ ولنفترض أنك استطعت الكذب عليهم كعادتك، كيف ستستطيع الكذب على نفسك؟ آه.. لقد نسيت أنك ماهر في ذلك.

أغلق عينيه وأخذ يصرخ وهو ممسكًا برأسه بعد أن هاجمه صداع فجر رأسه:

- آآآه.. اتركيني.. اسكتي.. لا تتحدثين.. آه..

فتح الباب فدخل قنديل عبد الملك:

- ماذا بك؟.. لماذا تصرخ هكذا يا ابن المجانين؟

- لا أريد أن أراها.. لا أريد سماعها؟

- من هذه التي تتحدث عنها؟

- ريهام..

- ريهام من؟

- زوجتي.

- التي قتلتها ذبحًا؟

- لم أقتلها.. لم أقتلها.

هز قنديل رأسه متأسيًا: أتعرف؟ إن كان بك ولو قدر ضئيل من الصحة. لكنت أوسعتك ضربًا حتى يظهر لك صاحب، ولكني أعدك أن هنا في هذا السجن لن تجد صاحبًا طالما أنا من يديره.. وستظل هكذا كالكلب إلى أن تموت، وأعدك مرة ثانية أنك لن تكمل هنا خمسة وعشرين عامًا.. استعد لما هو آتٍ، فقد أوشكت على النهاية.

ثم تركه وانصرف..



١ يناير ٢٠١٥

في الوجه المتقع الشاحب الذي برز فيه عظامه، غارت عيناه الزائغتان في محجريهما حتى أصبحتا شبه منغلقتين بعد أن تحوّل رأسه إلى مجرد جمجمة يكسوها الشعر من كل اتجاه، غير أن مقدمة رأسه بدأت بالصلع.. علاوة على اتخاذ القمل مسكنًا لرأسه ولحيته.. بل وأيضًا عانته!

كان ممددًا طوال الوقت جسده الهزيل على الأرض، غير أنه بعد أن سحبت الوحدة والعزلة ما في بدنه من قوة. تمكّن المرض منه فزاده شحوبًا وهزالًا، واتخذ من جسده مكانًا للإقامة، جبينه ساخنًا كنار مشتعلة. يشعر بالحشرات وهي تعيث في ثنايا جسده، تعيش على الدم الناتج عن الحك المستمر في أنحاء جسده نتيجة للجرب الذي أصابه، وكلما يشعر بحكة في مكان ما في جسده، يظل يهرش فيه إلى أن تكاد أظافره تصل إلى عظامه بعد أن تقطع لحمه فيقطر الدم على استحياء..!

المرض؛ ذلك الشيء المخيف المرعب، الذي يزور الإنسان بين الحين والآخر، فيقربه من الموت ولو شبرًا. ماذا كان سيحدث إن خلق هذا العالم بدون المرض، الذي يعد أبشع شيء بعد الموت.

فالمرض قبيح، والموت أقبح. والأقبح من الاثنين هو أن يكون الأول طريقًا متكسرًا متعرجًا يؤدي إلى الثاني!

طوال تلك السنوات كان يقاوم الموت بكل جسارة حتى ملَّ من مقاومته، ملَّ حتى من الخوف منه، بل زال الخوف منه تمامًا بعد أن صار ينتظره شارعًا له ذراعيه على امتدادهما، غير أنه لم يكد يشعر به، أو يحس بوجوده في الغرفة حتى يحاول فتح عينيه من جديد ليطفو مرة أخرى خوفه من الموت، منتظرًا انفتاح الكوة أسفل الباب ودخول الطعام منه



الـذي برغـم ضآلتـه لكنـه كان يكفـي لسـد رمقـه - فقـط - ليعيـش بضـع ساعات إلى أن تأتيه الوجبة التالية..

بـدأ لسـانه ينتابـه بعـض التشـنج مـن قلـة اسـتخدامه، فقـد كان يظـل يومين أو ثلاثة أيام دون أن يتحدث بحرفٍ واحد.. لدرجة أنه إذا حاول الآن التحـدث إلى نفسـه بصـوتٍ عـال أو حتـى التحـدث في سره وجـد صعوبـة بالغـة في كيفيـة اختيـار الكلمـة المناسـبة وكان هـذا مدخـلًا لدخولـه مرحلـة جديـدة.. شـعر بدنوهـا فاسـتقبلها مرحِّبًـا بهـا، مستسـلمًا لهـا..

ألا وهي..

مرحلة الجنون

كثـيرًا مـا كان يقـف فجـأة ويخـرج لسـانه ليصـدر أصواتًـا غريبـة، يقفـز مكانـه عـدة قفـزات إلى أن يشـعر بالإنهـاك ويسـقط عـلى الأرض منتظـرًا موتـه أو يسـتيقظ عـلى مـا هـو فيـه مـن جديـد. لم يتحـدث طـوال هـذا العـام بجملـة كاملـة مفيـدة، كل مـا يقولـه كلـمات ليـس لهـا علاقـة ببعضهـا البعـض. ويقضي أيامًـا كثـيرة مـا بـين الصمـت أو فعـل أشـياء غـير منطقيـة، كالوقـوف عـلى يديـه مسـتندًا إلى الجـدار، أو اللعـب في غائطـه بالدلـو أو مطـارده الصراصـير التـي تدخـل لـه عـبر فتحـة البـاب وقطـع أرجلهـا فيطيـل النظـر لهـم حتـى يموتـون..!

***

لم يكـن حـال وفـاء أيسر مـن حـال مـروان، فـكل مـا مـرَّ بـه كان تقريبًـا مـا مـرت بـه بالضبـط، غـير أنهـا اسـتطاعت أن تحافـظ عـلى نفسـها مـن الوصـول إلى مرحلـة الجنـون.. غـير أن جسـدها أصبـح نحيـلًا جـدًّا بعدمـا فقـدت أكثـر مـن أربعـين كيلوجرامًـا مـن جسـدها الـذي بـرز منـه معظـم عظامهـا، صـار شـعرها أبيـض تمامًـا تتخللـه بعـض الشـعيرات السـود. سـتة

أعوام هُرِسَت تحت سنابكها فأستطاعوا تحويلها من امرأة جميلة إلى امرأة أشبه بمتسولات وسط البلد اللواتي كانت تسخر منهن وتنهرهن إذا ما اقتربت إحداهن تطلب منها حسنة..

***

١٠/ ١٠/ ٢٠١٦ الساعة التاسعة صباحًا

استيقظ مروان من سباته، فتح عينيه ببطيء فأغلقهما مفزوعًا فجأة، حين لفحتها آشعة الشمس التي لم يرها أو يشعر بها منذ ما يقرب من ست سنوات. ست سنوات مسنونة كحواف السكين فقطعت شبابه وبهاءه إربًا. بينما هاجمت أنفه رائحة اللافندر الفائحة في أنحاء الغرفة، دارى عينيه بساعده اتقاء لآشعة الشمس. وشعر أن شيئًا ما غريبًا، إحساس لم يشعر به منذ سنوات. حاول تدريجيًا إزاحة يده من عينيه ليجول بنظره في أرجاء المكان الذي هو فيه الآن. والسرير الوثير المريح الذي لم ينم عليه منذ سنوات. تفحص المكان جيدًا وهو يتلفت ما حوله في ذهول، ويتلمس الفرش الناعم تحته. تفاجأ بسيدة جواره نائمة على بطنها وتتقلب استعدادًا للاستيقاظ، شعرها أشعث به كثير من الشيب، جحظت عيناه حين رآها، نفس الشيء الذي حدث لها حين فتحت عينيها فتخللتها آشعة الشمس ورأته أمامها مندهشًا. فركت عينيها بقوة فتأكد لها أنه حقيقة. انتفضت فجأة وأخذت تجول بنظرها هي الأخرى في أنحاء المكان وتنتقل بنظرها ما بين جدران الغرفة الواسعة وما بين وجه مروان الذي جعلها متسمرة، فلم تره منذ ست سنوات، وآخر مرة كان في كامل بهائه، ذهل هو الآخر حين رأى وجهها وما فعله به سجن ست سنوات، استنبط تلقائيًا أنها كانت مثله في زنزانة انفرادية، وعانت ما عاناه بالضبط. مرت حوالي خمس دقائق يتبادلان النظرات،

من دون أي كلمة، كل منهما رأى في عينيّ الآخر كأنها مرآة، ما حدث له طوال السنين الماضية. وكل منهما أدرك من نظرات الآخر ما أصبحت عليه هيئته.

همَّت وفاء بالكلام بصوت مبحوح: ما هذا؟ ما هذا الذي يحدث؟!

رد عليها وقد قطب جبينه: آآآآه، أول صوت نسوي أسمعه منذ سنوات طويلة هو صوتك، وآخر صوت نسوي منذ أن قبض علينا كان صوتك أيضًا!

- كيف وصل بك الحال إلى هذا الحد يا مروان؟ ماذا حدث لك؟

- نفس السؤال الذي كنت أريد أن ألقيه عليكِ يا وفاء، كيف هاجمت التجاعيد وجهك وأصبحت على هذه الهيئة المثيرة للشفقة؟

- أنا رأيت ما لا يمكن لأي بشر أن يتحمله يا مروان، لولا أنني كافرة بوجود حياة أخرى بعد الموت لكنت قلت إنني الآن قد متُّ وبعثت من جديد!

- كم من الوقت قضيناه في السجن؟

- لا أعرف تحديدًا، ولكنني أرجح أنه مر علينا الشتاء ست مرات، والصيف سبع مرات، أي قضينا من خمس سنوات إلى ست.. لقد تعبت من العد وأنا وحدي مثل أي كلبٍ شريد، كنت ملقاة في السجن الانفرادي منتظرة موتي.. ليس المهم ما قضيناه، السؤال الأهم الآن هو من الذي أخرجنا؟!!

نهض مروان واقفًا بصعوبة، شرع يديه أمامه وظل ينظر مشدوهًا إلى عروق كفه الجدباء البارزة زرقاء اللون. تنقل ببصره بين كفه وبين وفاء التي تشم رائحتها متأففة مقارنة برائحة المعطر حولها. استطاع بصعوبة إدراك أنه في شقته التي بالكاد تذكر شكلها.. خطا منحني

الظهر بخطواتٍ وئيدةٍ وصعوبة بالغة. وقف أمام مكتبته مشدوهًا، لمس بأنامل مرتعشة الكتب التي لم يرها منذ زمن، التقط أحد الكتب من الرف فشعر بإحساسٍ غريب، فتحه فرأى كلامًا مرصوصًا بجوار بعضه البعض لا يستطيع قراءته رغم أنه بدا أليفًا له.. أخذ دقيقتين حتى أدرك أنه ممسكٌ بإحدى رواياته..!

التفت مرة أخرى حوله وقد تملّكته الدهشة تمامًا وظن أنه داخل حُلم، وسيستيقظ بعد قليل ليرى نفسه في زنزانته الضيقة عطنة الرائحة، دبَّ بقدميه في الأرض كالمجنون، أخذ يقرص نفسه ليتأكد له هل هو في حلم أم حقيقة..! ومن المؤكد أنه سيموت إذا استفاق الآن واكتشف أنه كان بالفعل حلم! ليس هو وحده، ولكن وفاء أيضًا. لكن الحقيقة هي بالفعل ما هما فيه..

- ما هذا الذي أنا فيه؟ هل كنت طوال هذه المدة في حلم بداخل حلم بداخل حلم؟! نفس السؤال كانت تسأله وفاء لنفسها..نظرا مرة أخرى لبعضهما البعض قبل أن يلمح مروان مرآة بجانب المكتبة، رأى انعكاس وجهه فيها فصعق حينما رأى هذا الوجه الذي لم يره منذ ست سنوات، والتجاعيد التي نحتته هذه السنوات على وجهه الذي أصبح عجوزًا، شعر أنه يرى وجهًا آخر، شخصًا آخر غير الذي كانه من قبل. اجتاحته حينها نغزة قوية في قلبه.. نهضت وفاء متلهفة لترى وجهها هي الأخرى في المرآة، فكان حظها من الاندهاش لا يقل عنه..!

جلس مروان مرة أخرى على طرف السرير ليفكر فيما هو فيه الآن، ما إن جلس حتى انتفض فجأة حين شعر بنعومة افتقدها سنين طويلة، احتاج لخمسة دقائق كي يستطيع التعود على الجلوس عليه، جال بنظره في أرجاء الغرفة وقد بدأ يتذكر آخر مرة كان فيها، حين ضاجع ريهام،

وطئها قبل أن يعطيها مؤخر صداقها ونفقتها ويترك لها البيت ويرحل.. حاول أن يستوعب الأمر، لكن الأمر برمته عصي على الاستيعاب! عصي على الفهم..! عصي على الإدراك!

خرج من الغرفة فاتسعت عيناه حين رأى باقي الشقة، بدت كما هي لم يتغير فيها شيء منذ آخر مرة، بدأ يتعود تدريجيًّا على وجود جسده في مكان مساحته كبيرة مقارنة بالزنزانة التي كان فيها. شعر أن قدميه ليست معتادة على ذلك لكن فضوله جعله يجبرهما على المشي ولو بخطواتٍ وئيدة. دلف غرفة النوم لينظر إلى هيئته كاملة في مرآة التسريحة ففوجئ بوفاء وقد لحقته ووقفت بجواره أمام المرآة، لفت انتباههما ورقة ملصقة عليها، مقسومة إلى نصفين، حاولا بصعوبة قراءة ما هو مكتوب فيها..

في القسم الأيمن مكتوبًا: «مروان.. يوجد لكَ معجون حلاقة وشفرات في الحمّام»

في القسم الأيسر مكتوبًا: «وفاء.. البانيو ممتلئ لكِ وبجواره لوفة وصابون استحمام»

دخل مروان الحمّام أولا بعد تردُّد وقد بدأ يتذكر الشقة جيدًا ودخلت وراءه وفاء فوجدت بالفعل البانيو ممتلئًا ورائحته عطرة فوّاحة. لم تتردد في انتزاع الملابس القذرة التي على جسدها بشغف وألقت بنفسها داخل البانيو وأخذت تدلك جسدها، بينما أمسك مروان المقص غير مكترثٍ بها ولم تطلع إليها أصلًا، فالجسد الثائر المثير أصبح نحيلًا، والصدر العامر الناهد صار ذابلًا.. حتى هو نفسه فقد رغبته الجنسية التي كانت تقوده، غادرته فحولته، وقوته التي كانت مصدر افتخاره أمام النساء..!

أخذ يقص ذقنه أولًا قبل أن يحلقها بالكامل، كانت قد انتهت وفاء من الاستحمام وارتدت بشكيرًا معلقًا بجانب البانيو وخرجت،



أفرغ مروان البانيو من ماء استحمامها أسود اللون، وملأه من جديد بمياة نظيفة ثم سكب فيه صابون الاستحمام السائل، أمسك الليفة وأخذ يحك جسده بقوة وينظفه، بينما وضع مزيدًا من الشامبو فوق رأسه. شعر أن جسده كان يحمل طبقات من القذارة والعفن، تعلوها طبقات من القذارة والعفن، جسدٌ لم يرَ الشمس منذ ست سنوات فأصبح ممتقعًا مجدبًا كتربة صحراوية!

بعدما خرجت وفاء من الحمَّام وجدت ملابس داخلية وفستانًا، ارتدته وظلت تنظر في المرآة بعد استحمامها متوقعة أن ترى امرأة أخرى غير هذه القذرة التي كانتها منذ قليل، فلم تجد أيضًا سوى امرأة نحيفة معدمة أشبه بمدمنة هيروين!

استغرق من مروان الأمر حوالي ساعة ونصف حتى استطاع أن يرضي جسده المتعطش للنظافة والمفتقد لها، دلف بعدها غرفة النوم متجنبًا النظر في المرآة كي لا يحزن أكثر، التقط بنطالًا وقميصًا ارتداهما قبل أن يرش على جسده عطره الذي كان يستخدمه قبل مقتل زوجته ودخوله السجن..

كل ما سبق فعلاه وهما شاردان، ساهمان تمامًا، ولازالا لم يستطيعا الخروج من دهشتهما، ملايين الأسئلة تعيث داخل عقلهما، تقطع ما بداخلهما كنصلٍ باتر، وهما يعلمان جيدًا أنها بلا إجابة غالبًا..! هل كل ما كانا فيه طوال ست سنوات حلمًا، وإن كان حلمًا فكيف أصبح شكلهما هكذا؟! إذًا فهما لم يكونا في حلم.. ماذا حدث إذًا، وماذا يحدث؟ وماذا سيحدث بعد ذلك؟ كانا مستعدان لتقبل أي سيناريو قادم إلا سيناريو واحد فقط..

ألا وهو.. ألا يكون هذا ما فيهما الآن حلمًا..!



وأن جسديهما لم يزالا قابعين نائمين في تلك الغرفة الضيقة.. ولم يزالا إلى الآن يشعران أنهما غريبان عن بعضهما البعض، متوجسان مما هو آت..

***

فزعا حين سمعا طرق الباب المعلق بجواره نتيجة التقويم مكتوبٌ عليها ٢٠١٦، لمحها مروان حين هبَّ فزعًا نحو الباب ليفتحه، فوجد رجلًا وامرأة معهما صبي..

- أهلًا وسهلًا يا أستاذ مروان، لقد افتقدناك حقًا طوال الفترة الماضية، حمد الله على سلامتك.

كانت وفاء في غرفة النوم مقربة أذنيها محاولة سماع ما يدور بالخارج.. ردَّ عليهما مروان:

- شكرًا لكما، ولكن من أنتما؟ وماذا تريدان؟

- ماذا نريد؟ نظرا لبعضهما البعض مندهشين.. نريد أن نعطيك الأمانة التي حافظنا عليها طوال الست سنوات الماضية، ابنك. يوسف

شعر بأن قلبه دق بسرعة وكاد يخرج من صدره حين رأى فلذة كبده الذي طالما تاقت إليه نفسه وعرف أنه ابنه، أخذ ينظر إلى الصبي الذي كان ينظر له هو الآخر بعينين بريئتين. خرَّ على ركبتيه راكعًا كمبنى عالٍ يهدم، ليكون في مستوى طوله، واضعًا يديه على كتفي الطفل وهو يسألهما وقد ذفرتا عينيه بالدموع: هل هذا يوسف ابني؟

- نعم، لم يتحمل صديقك نشأت أن يربيه عنده لمدة أسبوع متواصل، فأرسله إلينا مرة أخرى قبل أن يسافر..

اقترب الطفل منه خائفًا مترددًا، ضمه إلى صدره وقد شعر بحنانٍ جارف اجتاحه، فأغرقه في الحنان حتى أذنيه.. أخذ يحضن ابنه حتى كاد أن تتداخل ضلوعه فيما بينهما - ابني.. ابني.. ابني حبيبي.. أقسم لك إنني لم أفعل أي شيء مما سمعته، أقسم لك إنني لم أقتل أ...



قاطعته السيدة: أستاذ مروان، أرجوك لا تخبره بذلك فهو لا يعرف شيئًا عما ستقوله له، وإن كنت تريد أن تخبره بشيء فمن الأفضل أن يكون ذلك حينما يكبر، أو على الأقل بعدما أغادر أنا وزوجي، حتى محاكمتكما التي بثت في التلفاز، حاول ألا تجعله يراها أبدًا..

- نعم.. أنتِ على حق.. تفضلا.. تفضلا اجلسا

- لا.. لن نستطيع فقد تركنا أولادنا في الشقة بمفردهم، نحن فقط كنا نريد أن نخبرك أننا كنا نعامله مثل أولادنا وأكثر، فهو أمانة أولًا وأخيرًا، وكنا نعرف أنه سيأتي اليوم الذي ستأتي فيه لتأخذه

- شكرًا لكما.. شكرًا جدًّا

أخذ الرجل والمرأة ينظران لبعضهما البعض في حرج، وقد شعر مروان أن لديهما ما يريدان قوله.

- ماذا بكما، هل تريدان قول أي شيء؟ سألهما مبتسمًا ابتسامة بلهاء، فاندفعت السيدة مصرحة.

- نعم يا أستاذ مروان، فقد أنفقنا طوال الست سنوات على ابنك أكثر من عشرين ألف جنيه، وأنت تعرف ما حدث في البلد في الفترة الأخيرة من ثورات وغلاء ورؤساء ومجلس عسكري و.. و.. و

- ثورات؟.. ماذا تعني بثورات؟

نظر له الرجل مندهشًا وقد شعر أنه يماطلهم ويريد الهروب من دفع العشرين ألف

- اسمع يا أستاذ مروان، إن كنت لا تستطيع دفع عشرين ألف الآن فنحن سنأخذ الولد حتى تستطيع دفع المبلغ.. ومثلما ربيناه وسط أولادنا طوال هذه الفترة، فلا مشكلة لدينا في أن نتحمل أسبوعًا أو اثنين.. وضع الرجل يده على كتف الولد وجذبه ناحيته فشده منه مروان وحضنه في لهفة:



- ما هذا الذي تقوله أيها المخبول؟ سأعطيك ما تريد اليوم..

- إذًا فلتعطنا لنغادر ونذهب لأولادنا الذين تركناهم بمفردهم.. قالها الرجل منفعلاً.

- حسنًا، في المساء أو غدًا على أكثر تقدير سيكون معك المبلغ وأكثر

- إذًا فسنأخذ الولد حتى تحضر لنا المبلغ..

- ولكن..

- ولكن ماذا؟.. نعتذر على هذا الموقف السخيف يا أستاذ مروان ولكن نحن لا نضمن عودتك مرة أخرى، فالبلد بعد الثورة لم يعد فيها أي شيء يضمن؟

- ثورة؟؟؟!!! كررها متسائلًا مندهشًا.

همّت المرأة لتتحدث فأسكتها زوجها موجهًا كلامه لمروان: يا أستاذنا، نحن لا يهمنا ادعاءك بعدم علمك ما حدث في البلد في الفترة الماضية، سنعتبر أنك كنت في جهنم وقد عدت.. وأرجوك لا تتأخر علينا في دفع المبلغ، عن إذنك فلدينا أطفال تركناهم بمفردهم في المنزل..

أخذا الولد ورحلا..

شعر مروان أن جزءًا من روحه قد غادره حينها، ظل ينظر إلى أرضية الشقة:

ترى، في أي مكان ذبحت ريهام؟ ترى أي منظر رأته قبل أن تخرج روحها، هل هذا الحائط؟ أم المكتبة، أم الحمّام؟... حاول تذكر الصورة التي رآها في النيابة فلم يستطع، لكنه تذكر شيئًا مهمًا، اندفع بعدها لغرفة النوم حيث تجلس وفاء على طرف السرير شاردة، أمسكها من شعرها بقوة وأخذ يضربها ويصفعها على وجهها عدة صفعات وهو يسألها: لماذا قتلتِ أختك يا عاهرة يا بنت الكلب؟ كنت سأعدم بسببك، رأيت العذاب بكافة ألوانه بسببك، سأسلمك مرة أخرى إلى السجن.



ظلت تصرخ متألمة: هل جننت؟! كيف أفعل ذلك؟ أقسم بالله لم أقتلها.. أقسم بالله

- كيف تقسمين بالله وأنت ملحدة يا حقيرة يا بنت الكلب؟ أخبريني لماذا قتلتِها؟ صرخ في وجهها.

- لم أقتلها .. لم أقتلها.. كنت معك طوال الوقت هل جننت؟!

- إذًا من قتلها.. أخبريني

- لا أعرف.. لا أعرف يا مروان.. أقسم بحبي لك لم أفعل ذلك، لا أنكر أنني كنت أريد ذلك لأنها هددتني أنها ستفضحني بأنني سرقت منها رواياتها ونشرتها باسمي، لكن الأمر لم يتعد الرغبة في ذلك، لكنني أضعف من أن أقتلها.. وأنت تعرفني جيدًا..

نظر لها مليًا قبل أن يترك شعرها ملتقطًا محفظته، أخذ ينظر ما بداخلها فوجد بطاقته الشخصية ومبلغ خمسمائة جنيه، وبجوار المحفظة شهادة ميلاد ابنه..! لم يعد يندهش من وجود أي شيء، يعرف أن كل هذه الأشياء موضوعة هكذا لهدفٍ معين، وشعر أن شخصًا ما أو أشخاصًا يريدون اقتياده لفعل شيء معين، أو مفاجأته بحدث معين! أعطى لوفاء ورقة فئة مئة جنيه وأمسكها من تلابيبها وطردها خارج الشقة: لا تريني وجهك الحقير مرة أخرى، اذهبي.. لا أريد أن أراك ثانية

جلس بعدها على حافة السرير ليفكر ماذا سيفعل بعد ذلك، كان أهم شيء الآن هو أن يذهب إلى نشأت ويبحث عنه ليأخذ منه الحقيبة التي اودعها لديه.. ويأخذ ابنه بعد ذلك ويهرب به بعيدًا عن الأنظار.

التقط المفاتيح من فوق التسريحة ونزل الشارع، شعر أنه ريشة في مهب الريح، ليس معتادًا على المشي هكذا في الشارع، أو التحدث إلى



الناس والتعامل معهم مثلما كان من قبل.. استوقف تاكسي ليذهب إلى نشأت، بعدما انطلق التاكسي قال له السائق:

- أعتذر عن عدم تشغيل العداد يا أستاذ، فلا يزال يعمل على التعريفة القديمة وأنت تعلم جيدًا غلاء الدنيا، منه إلى الله من كان السبب في ذلك

- أعلم أعلم ذلك، فحسني مبارك وحكومته لم يتركوا للشعب سوى الفتات..

- حسني مبارك، ليته يعود مرة أخرى، كانت أيامه لا تعوض والله

- يعود من أين؟ أين ذهب؟

- نعم؟!! كيف لا تعرف يا أستاذ؟ هل كنت خارج البلاد

نظر له مروان باحثًا عن إجابة فلم يجد، أردف السائق مغمغمًا: حتى وإن كنت خارج البلاد، فيجب عليك على الأقل أن تعرف أنه تنحى منذ خمس سنوات تقريبًا، هل تريد أن تفهمني أنك لا تعلم ذلك؟ هل كنت ميتًا؟!!!

- أنا بالفعل لا أعرف ماذا تقول!! رجاءً اشرح لي ما قلته.. كيف تنحّى؟! ماذا تقصد أنا لا أفهمك!!

- لالالا.. لم أقصد شيئًا، أرجوك اتركني وشأني، ها هو شارع مصر والسودان.

- شكرًا.. كم حسابك؟

- خمسون جنيهًا، وأقسم بالله ليس بإرادتي فالبنزين أصبح اللتر منه بـ..

قاطعه وهو يعطيه ورقة من فئة خمسين جنيهًا: لا أريد أن أعرف بكم أصبح اللتر فأنا لا أفهم ثلاث أرباع كلامك أصلًا.. خذ.



وصل إلى مكان العيادة، صعد الدور الثاني فاكتشف أن العيادة لم تعد كذلك، ووجد بدلًا منها شقة سكنية. جن جنونه وتأكد له ما كان يظنه... شعر برجفة في بدنه ونزل كالمجنون في الشارع ليستقل تاكسي قاصدًا بيته، لكنه تفاجأ بأحد الضباط وأمين شرطة يمسكانه، حاول أن يفلت منهم ولا زال يصرخ، فأحكم الضابط قبضته على ذراعه فسكت مروان فجأة وهو ينظر له مذعورًا، سأله الضابط: هل أنت مروان جبر؟

- نعم.. أنا مروان جـ..

- أنت مطلوب القبض عليك

لم يعطياه أي فرصة لقول أي كلمة، لم يعطياه حتى فرصة للاندهاش أو التساؤل.

فقط اقتاداه إلى قسم الشرطة.. وهو أيضًا لم يندهش، فقد كان يشعر بأن شيئًا ما سيحدث..!

* * *

جلس في غرفة الاستيفاء يستعيد ما حدث له منذ ست سنوات، ومازال لا يفهم كيف خرج من السجن بين يوم وليلة، ولماذا أعادوه مرة أخرى، هل هرّبه أحد الأشخاص من هذه الزنزانة الموحشة بعد أن شعر بالتعاطف معه؟ سأل نفسه، ولكن هل تعاطف أيضًا مع وفاء وأخرجها في نفس اليوم؟ وإن كان كذلك، فمن هذا الشخص؟!

هل ظنوا أنني أوشكت على الموت فأخرجوني من السجن حتى لا يستجوبهم أحد في موتي بعد أن أذاقوني الموت على مدار ست سنوات وجعلوني أراه بكل ألوانه؟!

عدل من طريقة جلوسه وأردف محدثًا نفسه: وماذا عن الملايين التي اختفت فجأة، ونشأت ابن الكلب الذي لم يعد له أثر؟!! ماذا..



قطع تفكيره أحد الضباط الذي دخل متأهبًا وجلس على مكتبه بعد أن ألقى ملفًا أصفر اللونْ على المكتب وقد بدا عليه التحفز، ظل ينقل بصره بين مروان والملف.

- ياااااااه شيء مثير أن يُفتح ملف مرة أخرى بعد أن تم إغلاقه بست سنوات، أشعر حينها بالإثارة والتشويق..

نظر له قائلًا بابتسامة ساخرة: مروان جبر؟.. الكاتب والأديب المشهور.. أخيرًا؟ هل كنت تظن أنك ستستطيع الهرب منا كل تلك السنوات؟! أم كنت تظن أنك بتغيير شكلك هكذا لن نتعرف عليك؟!

- معذرة، من أنتم تحديدًا؟.. وكيف هربت منكم كل تلك السنوات؟

- أتهزأ بي؟.. سأله غاضبًا... إن كنت تظن أنك ستستطيع مراوغتي بالكلام فأنت موهوم.

- أقسم لك إنني بالفعل لا أفهم شيئًا، ولا أدري حقًا لماذا أخرجتموني من السجن، وأصلًا أنا لم أرتكب هذه الجريمة أصلًا، بل كنت أحبها جدًّا، كنت أحبها أكثر من نفسي.

وهل من يحب امرأة يفعل تلك الفعلة الشنعاء؟! هل وصلت بك الخسة لهذه الدرجة؟

- يا حضرة الضابط لم أفعل ذلـ..

رفع الضابط كفه مقاطعًا حديثه حين رن هاتف مكتبه: ألو.. تمام يا فندم.. حسنًا سأكون عندك في أقل من ربع ساعة.. تفضل.

وضع السماعة على الهاتف ونادى على العسكري الذي أتى مهرولًا: خذ هذا الكلب وأودعه في الحجز إلى أن أتفرغ لأمه، فمن الواضح أن الحديث بيننا سيكون شيقًا.

نهض موجهًا كلامه إلى مروان: حضرتك كاتب؟ سأريك من فينا الذي يستطيع اللعب بالكلام أكثر من الآخر

لم يكد يكمل الضابط كلامه حتى أقبل العسكري على مروان وجذبه من يده بقوة

- انهض.. انهض يا روح أمك

دخل غرفة الحجز وأغلق العسكري الباب مرة أخرى، ظل ينظر في وجوه المحبوسين بعينين خاليتين من أي تعبير، استند بكتفه على الباب محاولًا تحليل أو تفسير الوضع الذي هو فيه الآن، استرجع كلام الضابط معه حين أخبره أن ثمة ملفًا فُتِحَ من جديد.

- ترى ما هو هذا الملف؟ هل قُتِلَت نهال على يد زوجها ووجدت الشرطة أن كل الأدلة ضدي؟ نعم. ولم لا؟ فقد نسيت كارنيه اتحاد الكتاب هناك، وملابسي أيضًا، غير أنني سرقت الذهب وبذلك تكون جريمة قتل وسرقة بالإكراه، والطفل رآني أيضًا وهذا سببٌ كافيًا ومؤكد أنه سيتعرف عليَّ حين يعرضوا عليه الكارنيه..!

تمشى خطوتين واستند بذراعيه على أحد الجدران ثم أطرق رأسه مستطردًا كلامه في قرارة نفسه:

- وربما تم القبض عليَّ مرة أخرى لقتلي المربية التي كانت تعمل عند ياسمين، أو والدتها..! ربما.. ولم لا؟ أهم شيء في الموضوع أن نهايتي حتمًا ستكون حبل المشنقة، ولا غبار في ذلك.. إذًا، فقد كنت موهومًا حين ظننت أنني استطعت الهروب منه منذ ست سنوات مممممممم سأموت شنقًا، ولكن، لماذا قال لي هذا الضابط المخبول إنني هربت منهم.. مممممم مخبول.

قال آخر كلمة بصوتٍ عالٍ بينما صدرت منه حركات انفعالية لا



إرادية وعينيه جحظتا حتى كادت تخرج من محجريهما، لدرجة أن المساجين ظنوا أنه هو المخبول، وتوقعوا أنه سيفعل أي شيء على حين غرة في أي وقت. وبالفعل، لم تمر نصف دقيقة حتى وقف في منتصف الغرفة

- والملايين؟؟؟ الملايين ذهبت هباء.. الملاييين ذهبت هباااااء

أخذ يلطم وجهه ثم شد قامته وشبَّ على أطراف أصابعه كراقص باليه وأخذ يلف حول نفسه فأضحك كل من في الغرفة ثم قفز فجأة عاليًا عدة مرات، أطلق بعدها ضحكات متقطعة حتى ارتمى بجسده على الأرض وأخذ يتمتم بكلمات غير مترابطة.. فتأكد للمساجين أنه مجنون وأخذوا يضربون كفًا بكف..!

لم يشعر مروان في هذه اللحظة بنفس الوحشة التي شعر بها قديمًا حين حُبِسَ على ذمة التحقيق، بل على العكس تمامًا شعر بألفة. فهذا السجن بالنسبة له جنة مقارنة بالحياة البائسة التي كان قانعًا بها، ولكنه سرعان ما سيحكم عليه بالإعدام بما أن كل الأدلة ضده، هكذا قال في قرارة نفسه. وإن كان قد هرب قديمًا من حكم الإعدام فمن المستحيل أن يهرب بقدره هذه المرة أيضًا؛ قدره الذي حتمًا سيكون نفس قدر والده.

لأنه من المستحيل أن يهرب الإنسان من قدره، وإن كان قد ظن أنه استطاع في إحدى اللحظات الهروب منه أو تأجيله، فهذا في حد ذاته يعتبر جزء من سيناريو قدره، وأنه قد أخطأ فقط في معرفة وقت تنفيذ هذا القدر.. أي أن المحصلة في النهاية أن قدره لم يكن سوى، أنه سيخيل إليه أنه سيهرب من قدره، وأنه سيظل موهومًا أنه استطاع هزيمته والتفوق عليه..!

الآن - فقط - أدرك أن موعد موته لم يكن منذ ست سنوات، وهذه المرة من المستحيل أن يخطئ حبل المشنقة رقبته.



أخـذ يقهقـه بصـوتٍ رفيـع جعـل بعـض المسـاجين يضحكـون عليـه، اقـترب أحدهـم منه طالبًـا منـه سيجارة، فنظـر مـروان لـه شـاردًا، كـرر الرجـل طلبـه

- قلت لك أعطني سيجارة يا رجل

- بالله عليك اتركني في حالي، فأنا إنسان ميت، ميت.. نهض صارخًا في وجهه

- أنا إنسان ميييييت

ارتجف المسجون من صوته وابتعد عنه فضحك كل من في الغرفة، مدد مروان جسده مرة أخرى على الأرض، سأل نفسه:

من هذا الذي يحاول توريطي في قضايا قتل؟ هل هناك قاتل متسلسل يتعمد ذلك؟ يقتل السيدات اللائي على علاقة بي ويلصق التهمة بي؟!..

آآآآآه.. هذه الليلة الغبراء، إلى متى سأظل أحاسب عليها؟

ياسمين؟؟؟ هذا الاسم الذي حوله مليون علامة استفهام، هل من الممكن أن تكون هي من فعلت ذلك؟ أم وفاء؟!!

ظل يبكي متذكرًا السويعات القلائل التي تنسم فيهم رائحة الحرية، وقبلها ست سنوات رأى فيهم الموت والظلم والذل والهوان. وبعد هذه السويعات سيلقى مرة أخرى الذل والهوان لفترة ليست كبيرة ثم يعدم بعدها.. لا مفر هذه المرة..

لا مفر..

***

وصلت وفاء إلى شارع قصر النيل، كان منظرها يبعث الضحك والسخرية على كل من يراها، وكل من يمر بجانبها يندهش من هيئتها وطريقتها في المشي فينظر وراءه بعدما يتعداها. لم تأبه لكل ذلك وصعدت



العمارة التي بها دار النشر التي كانت تنشر لها رواياتها قديمًا فوجدت المكتب مغلقًا. ظلت تتمشى بخطواتٍ منهكة، والقدم التي كانت تألف يومًا ما كل شوارع وسط البلد، أصبحت الآن تسير متعثرة لا تعلم مكانًا تتذكره. والسبب ليس بالضرورة بُعدها ست سنوات عن المكان، وإنما ما رأته في هذه السنين العجاف. واصلت السير على غير هدى إلى أن وصلت إلى ميدان طلعت حرب، دلفت مكتبة الشروق لتنظر قليلًا إلى الكتب التي افتقدتها، وأيضًا لتسأل عن رواياتها وهي تعلم جيدًا أنها من المؤكد لم تعد تنشر بعد.

لم تكد تمر عليها ثوان قليلة حتى هرعت للخارج مرة أخرى وأخذت تضحك في الشارع وتركض بضعة أمتار ثم تقف فجأة وتهذي بكلامٍ غير مفهوم. تجمّع عليها المارة وأخذوا يشيرون إليها ويضحكون مما تفعله، فتنظر لهم وتصدر تعبيرات غريبة من وجهها فتجعلهم يضحكون أكثر فتضحك معهم حتى تحول وجهها فجأة إلى العبوس وظلت تبكي، تبكي بحرقة شديدة لترحل بعدها هربًا من الناس، ظلت تسيرُ مسيرة لا تقصد مكانًا بعينه، إلى أن لمحت إحدى العمارات الهادئة بجوار مقهى البستان، فدلفت غرفة صغيرة مظلمة خلف المصعد ونامت متكورة على نفسها..!





في اليوم التالي

- مروان جبر.. مرواااااااان زفت موسى جبر..!

صاح أحد العساكر فانتفض مروان من سباته: نعم؟ أنا مروان جبر

- سعادة الباشا طلب رؤيتك

اقتاده العسكري بعد أن قيّده إلى الضابط الذي طلب منه الجلوس.. فجلس! ظل الضابط ينظر إليه ويطيل النظر، فيما كان مروان مطرقًا لا يدري ماذا يقول. إلى أن فتح الضابط ملفه وأخذ يكتب فيه سطرين ثم رمق مروان شزرًا ورجع بعينيه إلى ما كان يكتبه ثم وقّع في الأسفل، مد يده بالملف إلى مروان وطلب منه أن يوقع هو الآخر، أمسك مروان القلم وهو يسأل الضابط بشفتين مرتعشتين على ماذا سيوقع، فحدجه الضابط بنظرة صارمة

- أسرع.. وقّع لكي تذهب إلى داهية تأخذك بعيدًا عنا.. وقّع

صرخ في وجه مروان فارتعش ووقع ثم سحب منه الضابط الملف مرة أخرى قائلًا له: لا تجعلني أراك هنا مرة أخرى.. امشِ

لم يبرح مروان مكانه وظل ناظرًا له لا يفهم شيئًا كالعادة، نهض الضابط وأصدر صوتًا من مؤخرة أنفه: هل تريد الإقامة هنا إذًا؟ هل تحب أن أعيدك مرة أخرى إلى الحجز؟

- لالا سأذهب.. لمح صورة الرئيس المعلقة فوقه، دفعه فضوله لمعرفة سبب عدم تعليقه صورة محمد حسني مبارك.

- إن سمحت لي آخر سؤال.. رمقه الضابط دون كلمة، فاستطرد مروان بحذر: لماذا لا تضعون صورة مبارك؟ ومن هذا الشخص الذي وضعتم صورته بدلًا منه

وقف الضابط ونادى بصوتٍ عالٍ على العسكري بالخارج: سأجعله



يعيدك مرة أخرى إلى الحجز يا ابن المجنونة

- لالالالا.. شكرًا جزيلًا فلدي الآن موعد غرامي... قالها مازحًا قبل أن يطلق ساقه للريح وغادر المكان في غضون ثانيتين..!

وانطلق لا يلوي على شيء خارج القسم كعصفور هرب من قفصه، غير مستوعب ما يحدث على الإطلاق..

أو لنقل إنه يستوعب شيئًا واحدًا فقط..

إنه ليس مستوعبًا أي شيء

على الإطلاق.

ما إن خرج من باب القسم، حتى وجد سيارة واقفة أمامه، تبدو عليها الأبهة والفخامة، ذات زجاج يمنع من خارج السيارة برؤية من بداخلها. لفت انتباهه سيدة ترتدي نظارة شمسية تفتح الباب الخلفيّ وتخرج منه. وقفت بجوار الباب تنظر إليه فلفتت انتباهه واقترب منها محاولًا التعرف عليها. حتى تذكر وجهها جيدًا..

- ياسمين؟!!!

- نعم.. ياسمين الإتربي. ياسمين التي أحبتك أكثر من نفسها، ووثقت فيك في فترةٍ قصيرة، وكان لديها الاستعداد ألا تعطيك أموالها فقط، ولكن أيضًا حياتها كلها.. حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا مروان... قالتها وهمت لتفتح باب السيارة، فأمسك يدها

- ياسمين، لا تكوني قاسية هكذا.. انتظري لا ترحلي، فأنتِ لا تفهمين شيء..

قاطعته بحدة وانفعال وهي تشد يدها من يده: هل تعلم كم من القوة والقسوة احتجتها كي لا أبكي وأنا أراك هكذا في مثل هذا اليوم؟ للأسف لا تعرف، هذه القوة التي أنا عليها الآن قد أخذتها من تجربتي

معك. هل تعلم كم من الوقت احتجته لأبدو قاسية حينما أشاهدك في هذه الهيئة؟ ستة أعوام.. ستة أعوام تدربت فيهم جيدًا ألا أكون لينة مرة أخرى مع أي رجل.. لقد كرهت صنف الرجال بسببك.. ولأنني - فقط - أحببتك يومًا ما.. فقد جئت اليوم وتنازلت عن المحضر، رفقة بك، وبابنك. ولكن لك فاعلم، أنني لن أسامحك على ما فعلته بي..

قالتها وفتحت باب السيارة، وما إن دخلت وأغلقته حتى غادرت، بينما مروان كان واقفًا فاغرًا فاه وقد اكتسى وجهه بالدهشة مما يحدث له، وقد شعر أن ما حدث له طوال السنين الماضية كان وراءه ياسمين..

***

عاد إلى المنزل منهكًا، مطأطئ الرأس. وذراعاه قد انهدلتا بجانبه، متوقعًا أن يصل إلى هناك فلا يجد العمارة من الأساس، وإن حتى حدث ذلك فلن يندهش، هكذا قال لنفسه. فتح الباب ودخل غرفة النوم، ألقى المفاتيح في المنضدة ودلف الحمّام ليأخذ دشًا يساعده في إزالة جزء من الأوساخ التي لا زالت عالقة بجسده، ليس من الثلاثة أيام التي قضاها في القسم، وإنما من السنوات الناحسات الكالحات التي قضاها في زنزانته الانفرادية. سمع أصواتًا متداخلة صادرة من غرفته بينها صوت طفل، خرج من الحمام متجهًا إلى الغرفة، بينما كانت الحيرة تبعث وهنًا على وهنٍ في ساقيه. دلف ليرى من بالداخل..!

وجد ابنه جالسًا على الأريكة بين رجل وامرأة، اقترب خطوتين بأقدام وئيدة ثقيلة مُحاوِلًا أن يرهف النظر بعينين نصف مغمضتين محاولًا تذكرهُما، لم تكد تمر ثانيتان حدّق فيهما كأنما يتساءل من هؤلاء، حتى وقف فجأة متسمرًا جاحظ العينين مشدوهًا، قبل أن يتوقف الدم في كل عروقه، ويشعر بسخونة تغشاه من أخمص قدميه حتى ناصيته، حين

اكتشف أن المرأة لم تكن سوى ريهام..
ريهام نعمان نخلة..
وبجوارها الرجل ذو الوجه الذي لم ولن ينساه قط.. مأمور السجن قنديل عبد الملك..

***

منذ ست سنوات..
الساعة السابعة وأربع دقائق صباحًا
في اليوم الذي طلَّق فيه مروان زوجته..
«حبيبتي ريهام.. أنتِ طالق»

نهضت وابتعدت عنه فجأة ولا زالت عارية، جحظت عيناها مما سمعته ومن هول مفاجأته لها، حشر كل الكلام في حنجرتها ولم تستطع التحدُّث بكلمة.. فطلقها مروان الطلقة الثانية «أنت طالق يا ريهام»

كانت كلماته بمثابة سكينًا ثلمًا يذبحها ببطء.. كان وقعها عليها كالصاعقة، رغم ذلك ظلت متماسكة. رغم الدموع الغزيرة التي انهمرت من عينيها، لكنها لم تقل له كلمة واحدة، استطرد بنبرة واثقة وهو يلتقط من الكومود بجواره الثلاثين ألف جنيه وأعطاهم لها: خذي هذا المبلغ، ثلاثون ألف جنيه، عشرون ألفًا مؤخر صداقك، وعشرة آلاف نفقة لكِ ولابننا، ابننا الذي لا أعرف إن كان بالفعل ابني أم لا..

همَّت لتدافع عن نفسها لكنه وضع أنامله على شفتيها ليكمل كلامه: لا يهمني الآن إن كان ابني أم لا.. كل ما يهمني أن تكوني سعيدة بعد الطلاق، كان يجب أن ننفصل منذ زمن، وأعتقد أنه قد حان الوقت لذلك.. الشقة ستعيشين فيها مع ابنك لن آخذها منكِ، وسأتصل بكِ كل فترة لأطمئن إن كنتِ تريدين أي شيء..

حاولت التحدث لكنه قاطعها بنفس النبرة الهادئة: لا تتكلمي بحرفٍ واحد.. ششششش.. لا تتكلمي.. والآن اخرجي وارتدي ملابسك فالآن لا يصح أن أراكِ عارية هكذا، وأريد أيضًا أن أرتدي ملابسي، فلا يصح أيضًا أن أكون هكذا أمام امرأة لا تحل لي، وأنتِ تعرفين جيدًا أنني لست معتادًا على ذلك..

اهتز بدنها برجفة محمومة وهي تحاول عبثًا كبح دموعها، نظرت لجسدها العاري وشعرت كم هي رخيصة في عينيه فابتعدت مذعورة وانفجرت فجأة في البكاء وهي تردد:

- منك لله يا مروان.. حسبي الله ونعم الوكيل فيك... نظرت لأعلى وظلت تردد بحرقة وقد تهدج صوتها وهي تشير له بسبابة مرتعشة: اللهم أرني في هذا الرجل عجائب قدرتك وخذ لي حقي منه فقد ظلمني كثيرًا..

اللهم أرني في مروان عجائب قدرتك وخذ لي حقي منه فقد أطفأني وسلب مني كل شيء.

لم تتحرك له شعرة أو تصدر منه نأمة، نهض ليرحل فوقفت أمامه تستمحه فدفعها بيديه فوقعت على الأرض، أمسكت بيده كي يبقى فسحبها بقوة وصفعها في وجهها، أمسكت قدميه فركلها في بطنها.

- أرجوك يا مروان لا تتركني فليس لي في هذه الدنيا سواك، وبدونك أنا وحيدة شريدة، أتوسل إليك يا مروان لا تتركني فأنا بدونك ضعيفة بعد أن تخليت عن كل شيء إرضاءً لك.. تزوج ما تريد، حتى لو تطلب الأمر أن أعيش معكما كخادمة فلن أرفض.. لا تتركني يا مروان فأنا أحبك..

دفعها وطردها من الغرفة وأغلقها على نفسه من الداخل دون أن يأبه لها أو يكترث بتوسلاتها. لم تكد تمر عشر دقائق حتى خرج من الغرفة وصفق الباب مغادرًا البيت، تاركًا إياها في حالة يرثى لها وابنها يبكي في الغرفة الأخرى، حاولت النهوض لتلحقه قبل أن يسقط من فوق السرير، فسقطت وتفاجأت أن نصفها السفلي لا تشعر به وكأنه ليس موجودًا، زحفت على الأرض تدفع نفسها بيديها فتجر خلفها نصفها السفلي إلى أن وصلت لغرفة النوم، استندت بيديها على السرير لتنهض وتقف على قدميها لكنها سقطت مرة أخرى وأحسّت أن قدميها قد تم بترهما..! مدت يديها فالتقطت طفلها والوسادة التي بجواره، وضعته عليها وانحنت عليه بعد أن أخرجت ثديها لترضعه ولازالت منهارة من البكاء، حتى استنام الطفل ووضعته على الأرض بين السرير والوسادة وأخذت تدلك قدميها حتى تفك الخدر الذي احتلّهما لكن بلا جدوى، وضعت يدها على قدميها فلم تشعر بها، قرصت فخذها فلم تلقَ أي استجابة..! اجتاحتها الرهبة، في الوقت الذي اتصل فيها خطيبها السابق؛ إسلام راغب. فالتقطت هاتفها من الكومود وردت عليه باكية:

- إسلام، انجدني، أنا على وشك الموت وخائفة على ابني من أن يموت هو الآخر بلا أي منقذ.

- دقائق يا حبيبتي وسأكون بجوارك، فقط اصمدي لدقائق..

***

إسلام راغب؛ أحد أكبر المنتجين في مصر، صاحب شركة النسر الذهبي للإنتاج الفني والسينمائي. كان قديمًا، يومًا ما، ضمن فريق عمل البرنامج الثقافي الذي كانت تعده ريهام، حينها كان مشرفًا على الإنتاج، أحبَّها وارتبطا ببعض فترة ليست قصيرة، انتهت أخيرًا بأن تقدم لها

فوافقت أمها على الفور بعد أن جلست معه والتمست فيه طيبة المعشر، الأدب الرفيع، والأخلاق الحميدة.

تمت خطبتهما. لكن لم تأتِ الرياح بما تشتهي السفن، لم تتركهما وفاء التي لم تنم منذ ذلك اليوم، وقد ملأ الحقد قلبها أكثر وأكثر لأن أختها التي تصغرها تم خطبتها قبلها، وستتزوج قريبًا. فأحالت دون اكتمال علاقتهما. وحاولت إغواء إسلام بشتى الطرق حتى استطاعت أن تقابله عدة مرات وملأت أذنيه بكلامٍ في حق أختها وأمها كذبًا وافتراء، فصدقها وفسخ خطبته بريهام.

أوهمته بأنها تحبه وستظل معه للأبد، ظلت هكذا حوالي شهرين بعد أن تأكدت أنه نسي أختها تمامًا وأن عودتهما أصبحت مستحيلة. ظهرت بعدها بوجهها الحقيقي وأنهت علاقتها به، فخسر الاثنتين..!

طوال هذه الفترة كانت ريهام قد أصيبت بصدمة هزتها وأفقدتها الثقة في كل من حولها، كانت تقضي معظم اليوم في البكاء فحزنت أمها عليها وأصيبت بجلطة أثرت على يديها اليسرى وشلت تمامًا.

بعد مرور ستة...

كان وفاء قد تركت البيت بعدما سرقت روايات أختها ونشرتهم باسمها، وأصبحت في فترة وجيزة إحدى أشهر الكاتبات في مصر، وصار يتهافت عليها الصحفيون وأصحاب المكتبات والبيوت الثقافية قبل القراء، وكانت كل يوم تظهر في برنامج غير الآخر. وأصبحت رواياتها متصدرة أرفف كل المكتبات.

كان إسلام راغب قد ترك العمل في البرنامج بعدما عرف حقيقة الخطة الخسيسة التي خططت لها وفاء لإبعاده عن أختها، وأنه وقع في شراكها، حاول التقرب مرة أخرى من ريهام لكن بلا جدوى، فانغلق



قلبها ناحيته تمامًا. ليس لشيء إلا لأنه شكَّ فيها وصدَّق ما قيل عنها. والشك لا يستطيع العيش مع الحب في مكان واحد. لذا فقد وجد أنه من المستحيل وجوده في نفس المكان الذي تعمل فيه. وترك البرنامج.

في نفس الوقت الذي تعرفت فيه ريهام على مروان جبر؛ شاب حسن المظهر، فارع الهيئة، قويّ البنية، وسيم، مثقف، هادئ وطموح. يعمل في إحدى المكتبات التي تذهب إليها لتشتري كتب وروايات الضيف الذي سيكون معها في الحلقة القادمة. اعتادت على أن تقرأ كل ترشيحاته التي يسردها عليها دون تفكير فور طلبها ذلك.

أعجبت به، وعلمت بعدها أن لديه موهبة الكتابة وقرأت بعضًا من مجموعته القصصية التي أثرت فيها ومسّت جزءًا بداخلها كانت قد ظنت أنها قد شفيت منه. أحبته تدريجيًا. فأعرب لها عن حبه وطلب أن يرتبط بها فوافقت على الفور، واستطاع أن يبرئها من جرحها القديم وينسيها إسلام الذي كان يتصل بها بشكل متواصل يريد العودة إليها لكنها كان ترفض بشدة.

خطبها مروان بعد موافقة أمها على مضض، التي لم تسترح له حينما قابلها، لكنها وافقت لأنها رأت أن ريهام أحبته وتريده. ساعدته كثيرًا بعد الخطوبة، واستطاعت أن توفر له عملًا آخر في إحدى الشركات في القرية الذكية. فاستطاع أن يدخر مبلغ لا بأس به كل شهر وتزوجا بعد عام تقريبًا..!

لم يكد يمر العام الأول حتى ظهر الوجه الآخر لمروان، كان يعاملها معاملة سيئة فتحمّلته لأنها أحبته بصدق وتريد العيش في هدوء بلا مشاكل، طلب منها ترك عملها رغم أنهما كانا في أمس الحاجة لمرتبها كي يستطيعا استكمال الشهر، لكنه صمم أن تترك العمل. والحقيقة أنها

لم تكن فكرته، وإنما اقتراح وفاء. التي طاردها لفترة كبيرة كي تقرأ مجموعته القصصية وبعد شهرين استطاع مقابلتها وقرأت مجموعته ووعدته بنشر عمله شريطة أن تترك ريهام العمل لأن الناشر الذي سينشر له عمله على خلاف مع التليفزيون المصري عمومًا ومع البرنامج الذي تعمل فيه زوجته بشكلٍ خاص. فوافق مروان ونفَّذ ما طلبته منه بالحرف دون الاكتراث بما ستشعر به زوجته، التي لم تعلم بعد أن ثمة علاقة نشأت بينهما..!

رغم أن وفاء في بداية علاقتها بمروان كانت تنتوي اللعب به وإيهامه بأنها ستنشر عمله، لكنها شعرت أنها أحبته فعلًا، وساندته كثيرًا حتى تم نشر مجموعته في دار نشر كبيرة، وأظهرته معها في كل ندواتها وحفلات توقيعها حتى عرفه القراء وأصبح هو الآخر في زمن قصير جدًّا صاحب الكتب الأكثر مبيعًا.. تعمقت بعدها علاقتهما بينما زادت الفجوة بينه وبين ريهام التي شعرت بأن هناك شيئًا ليس طبيعيًّا وأن حياتها على وشك أن تتدمر للمرة الألف، وفي كل مرة من المؤكد أن السبب وراء ذلك هو.. وفاء.

رغم كل ذلك، استمر مروان في علاقته مع وفاء، وفي علاقات أخرى عابرة مع كاتبة أخرى وبعض القارئات..! فكان كل ليلة يسهر مع أي فتاة أو سيدة تتحدث معه وتعرب له عن إعجابها به. ولكن العلاقة الأقوى في حياته كانت علاقته بوفاء. في حين ابتعد أكثر وأكثر عن زوجته التي أصبحت مهمشة تمامًا في حياته. لكنها تحملت وتحملت وتحاملت على نفسها كثيرًا لأنها أحبته بصدق، ولا تستطيع العيش بعيدًا عنه.

في هذه الأثناء كان يتصل بها إسلام كثيرًا، بعد أن أنشأ شركة إنتاج

صغيرة، واستطاع مع الوقت أن ينميها ويطورها حتى أصبحت في غضون سنتين من أكبر شركات الإنتاج في مصر.. تغير كل شيء في حياته مئة وثمانون درجة. باستثناء حبه لريهام التي كان عسيرٌ عليه أن ينساها أو يزيح صورتها من مخيّلته بسهولة، كان طيفها يهاجم تفكيره كل يوم، بل كل ساعة. فكان يتصل بها كثيرًا محاولًا بشتى الطرق أن يقابلها، أو يراها ولو لخمس دقائق فقط، حتى لو من بعيد. لكنها كانت ترفض ذلك تمامًا، وأخبرته عدة مرات أنها تحب زوجها ولن تستطيع أن تخونه.

- حتى لو عرفتِ أن زوجك يخونك يا ريهام؟

- أرجوك لا تتدخل في حياتي يا إسلام، وكفى ما فعلته بي، حتى لو كنت تعيسة في حياتي فالسبب هو أنت.

- ريهام.. أرجوكِ حاولي إعطائي فرصة لأثبت لكِ أنك أكثر شخص أحببته في حياتي

- كيف أعطيك هذه الفرصة؟!! أنا الآن امرأة متزوجة.. وإن كنت زوجتك الآن فحتمًا لن تقبل أن يتصل بي رجل غريب كل يوم هكذا يا إسلام.. أرجوك لا تحاول الضغط عليّ

- وإن طلقك يا ريهام، هل ستعطينني إذًا هذه الفرصة؟

- ربما.. ولكنني أتحداك أن يحدث هذا، فأنا أعرف مروان جيدًا، وأعرف أنه يحبني...

قالتها وهي تشعر في قرارة نفسها أنها لا تكذب عليه فقط، بل تكذب على نفسها أيضًا. أصعب شيء يمكن أن تتحمله امرأة تعاني من خيانة زوجها وهجره لها، هو ضغط طرف ثالث كانت تحبه يومًا ما.. ظل يضغط عليها كثيرًا، لكن إصراره على ذلك لم يزدها إلا تمسكًا بمروان الذي لم يزده ناحيتها إلا بُعدًا وهجرًا وجفاءً..! تحملت كل ذلك وأكثر،



ذهبا للكشف ومعرفة سبب تأخر الحمل إلى الآن، وأظهرت التحاليل أن السبب منه لأنه عقيم، فوقفت بجانبه فترة كبيرة خضع فيها للعلاج حتى حملت أخيرًا بعد رحلة علاج طويلة.

وقبل أن تلد بيوم واحد، رأته يضاجع أختها

في شقتها.. وغرفة نومها

وعلى سريرها..

***

في إحدى الليالي التي كان يقضيها إسلام راغب في التفكير في ريهام، تذكر كلمة قالتها له في إحدى مكالماته لها..

- ..أنا الآن امرأة متزوجة..

أمسك هاتفه، ليس ليتصل بها، وإنما ليتصل بابنة خاله

ياسمين الإتربي..

والتي مات زوجها مؤخرًا؛ نتيجة لحادث مروّع في طريق مصر الإسكندرية الصحراوي لأنه كان سِكيرًا مع إحدى الفنانات.. ورثت منه ملايين الدولارات. عاشت بعدها فترة كبيرة منزوية، منكبة على نفسها طوال الوقت حتى استطاعت بالكاد أن تخرج مما هي فيه بسبب انشغالها بابنها، والاشتراك في حملات خيرية تطوعية، وقراءة بعض القصص والروايات، والذهاب إلى السينما مع صديقاتها القدامى، لكنها ما إن تنسى قليلًا كم كانت زوجة مخدوعة حتى تتذكر مرة أخرى، وأدركت أنها لا تقوى على النسيان بسهولة..

- كيف حالك يا ابنة خالي، هل ما زلتِ حزينة على ما حدث؟

- لست حزينة على موته يا إسلام، ولا لأنني ترمّلت وأنا في سن صغيرة، لكني حزينة لأنني وثقت في رجل اكتشفت بعد موته أنه كان

كثيرًا ما يخونني، ليس مع هذه الممثلة فقط، ولكن مع نساء كثيرات اكتشفت أنه كان يقيم علاقات معهم.. عشت معه سنوات كثيرة مخدوعة.

- وماذا بعد، هل ستظلين هكذا لفترة طويلة؟! أنت بذلك تضيعين باقي عمرك في الحزن على شيء أنتِ تعلمين جيدًا أنه لا يستأهل ذلك.

- لا تقلق عليَّ، سأخرج سريعًا مما أنا فيه، وسأتفرغ لتربية ابني وإنشاء حياة جديدة

- وإن طلبت منك أن تتفرغي لشيء آخر.. هل ستوافقين؟!

- شي آخر؟.. ما هو؟!

- لن ينفع الحديث في هذا الأمر عبر الهاتف.. سأمر عليكِ غدًا ونتحدث في الأمر.

ذهب إليها في اليوم التالي، حكى لها عن عذابه الذي يعانيه ويعاينه كل يوم بعيدًا عن ريهام..

- نعم، أعرف يا إسلام أنك مازلت تحبها جدًّا، لكن ما علاقتي بهذا الموضوع، وماذا تريدني أن أفعل تحديدًا؟.. سألته ياسمين

- تقابلين زوجها، وتوهمينه أنك تحبينه، وتظلين وراءه حتى يطلقها

- وكيف تضمن أنه بعد تطليقها ستتزوجك؟

- اتركي الباقي لي، المهم هو أن يطلقها هذا الكلب الذي جعلها تنطفئ وتعيش حياة سوداء..

- حسنًا، أعطني كل بياناته وكل المعلومات التي تعرفها عنه وسأرى ماذا أستطيع أن أفعل

كتب لها ورقة بها كل ما يعرفه عنه، والأماكن التي يتردد عليها، نهضت ياسمين مشدوهة حين رأت اسمه وقد لمعت عينيها:



- مروان جبر؟.. الكاتب؟!

- نعم هو.. الحيوان الحقير

وافقت ياسمين على الفور..

- فقد قرأت له روايتين ومجموعة قصصية، وشاهدته مؤخرًا في التلفاز بأحد البرامج وكانت معه تلك الكاتبة المغرورة التي تتحدث من أنفها، التي تدعى وفاء نخلة على ما أتذكر.. التي شاهدتك معها قديمًا.. قالتها وهي تغمز له ثم سرعان ما شردت قليلًا تفكر في تشابه الاسماء «ريهام نخلة.. أليس هذا اسم زوجته؟

- لا تقولي هذه الكلمة أمامي، هي ليست زوجته ولن أعتبرها هكذا أبدًا..!

- أليست ريهام أخت وفاء؟

- نعم.. نعم هي ابنة الشياطين التي كانت السبب في كل العذاب الذي أعاني منه الآن، بسببها فقدت ريهام، وفقدت فرحتي وبهجتي، رغم كل النجاحات التي حققتها لكنني لا أستطيع نسيانها يا ياسمين

- حسنًا.. اترك لي هذا الأمر وسأنهيه لك.. أعدك

نهض ليقبلها.. شكرًا.. شكرًا يا حبيبتي ولن أنسى لك هذا الجميل أبدًا

وجدت ياسمين أنها فرصة سانحة أمامها للتقرب من مروان، الذي قرأت له مؤخرًا وأعجبت به، لكن لم يخطر ببالها أنها يمكن أن تتقرب منه يومًا ما، وبناء على المعلومات التي أخذتها من إسلام، عرفت أن نقطة ضعفه هو المرأة الجميلة والمال.. وانتوت في قرارة نفسها أن تغريه بهذين الشيئين، معتمدة على حُسنها وجمالها الفتان، وأيضًا مالها الكثير الذي ورثته عن زوجها وأبيها.



وبعدما استطاعت التقرب منه شعرت أنها بالفعل أحبته، وأخبرت إسلام بذلك..

- قابلته في جروبي اليوم، وصرح لي أنه بدأ يعجب بي، وأخبرني أن المانع الوحيد لتطليق زوجته هو أن مؤخر صداقها نصف مليون جنيه..!

- حتى لو كان عشرة ملايين.. أعطيه يا ياسمين ما يريد في سبيل تطليقها وسأعطيكِ كل ما يطلب.. حتى لو كان الثمن هو حياتي..

- إسلام، هل ستغضب منّي إن تزوجنا بعد ذلك؟

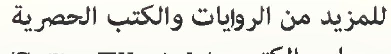
- وإن كنت أحذرك من تصديق هذا الكلب والتقرب منه، لكني لن أغضب حتى لو فعلتِ أي شيء، حتى لو قيدتِه وألقيتِ به في النيل.. المهم هو أن يطلقها لأتزوجها يا ياسمين.

- أعدك أنني سأجعله يطلقها في غضون أيام... قالتها بثقة بالغة وهي تفكر في قرارة نفسها أن تصطحبه إلى فيلتها..

***

في اليوم الذي ذهب فيه مروان إلى نهال عبد الحكم، وفرَّ هاربًا بعد أن جاء زوجها فجأة ودخل الدولاب. شك زوجها في أمر زوجته التي اكتشفت حينها أن مروان قد سرق الذهب، ظل يعذبها زوجها إلى أن اعترفت له بكل شيء.. وقرر الانتقام منه بعدما يعود من مأموريته، حيث أبلغ زملاءه في قسم الشرطة بسرقة الذهب، واتهم مروان بذلك مستعينًا بوجود الكارنيه الخاص به حيث أخبرهم أنه سقط منه أثناء الهروب، دون أن يخبرهم بموضوع خيانة زوجته معه.

تم إصدار أمر بضبط وإحضار مروان جبر الذي باع الذهب في اليوم التالي وضمّ قيمته مع الملايين التي سرقها من ياسمين، بعد أن قام بتطليق ريهام وأعطاها مؤخرها ونفقتها ورحل.. حضرت الشرطة

بعدها بساعتين، فلم يجدوا في الشقة غير ريهام، نائمة على السرير في حالة مذرية، وبجوارها إسلام راغب حاملًا الطفل.. سأله الضابط:

- هل أنت مروان جبر؟

- لا يا حضرة الضابط، أنا إسلام راغب، المنتج السينمائي.. أعطاه الكارت الخاص به قائلاً: ماذا هناك يا حضرة الضابط؟

أجابه الضابط وهو ينظر إلى الكارت: نعم أنا أعرفك، وأعرف شركة الإنتاج خاصتك، شركة النسر الذهبي. ألست استصدرت تصريح من الوزارة منذ شهرين للحصول على سيارة شرطة وسيارة ترحيلات لاستخدامهم في تصوير فيلمك الأخير؟

- نعم أنا.. وأشكر سيادتكم على الاستجابة السريعة

- عفوًا، لكن ما سبب وجودك هنا؟

- ريهام نعمان نخلة كانت زميلتي قديمًا، وقد عرفت بالصدفة أن زوجها ألقى عليها يمين الطلاق منذ قليل بعد أن ضربها وأهانها وتركها هي وابنها في حالة مذرية، فتحركت فورًا للاطمئنان عليها..

- هل تحتاج إلى سيارة إسعاف؟

- لا شكرًا يا حضرة الضابط.. ولكن ماذا فعل هذا الخسيس؟

- مطلوب ضبطه وإحضاره لاتهامة بسرقة سيدة، زوجة ضابط شرطة زميلنا بعد أن عذَّبها.. إن عرف أحد منكما مكانه يخبرني على الفور، ولا تنسَ دعوتنا في العرض الخاص لفيلمك الجديد، لنرى هل استطاعت سياراتنا بالقيام بدورها على أكمل وجه أم لا.. قالها مازحًا

- طبعًا.. طبعًا يا حضرة الضابط.. تفضل

***

بعدما رحل الضابط حاولت ريهام النهوض من السرير فلم تستطع، لكنها شعرت بالخدر ينزاح تدريجيًّا من قدميها وعادت تستطيع تحريكهما، فاستندت بجذعها على ظهر السرير.

- ما هذا الذي قاله الضابط؟ من تلك التي سرقها مروان؟ سألت إسلام الذي كان يربت على كتفها محاولًا تهدئة نفسها المطوقة بالأسى.

- هذا موضوعه هو ولا قبل لنا به، فأنت الآن لستِ على ذمته.

انهارت مرة أخرى من البكاء فأخذها إسلام في حضنه ليهدئ بدنها الراجف:

- طلَّقني وألقى بي في أقرب صندوق قمامة، طلقني بعد أن تحمّلت حماقته وخيانته لي حتى مع أقرب صديقاتي، طلقني بعد تحمل إهاناته وشتائمه المستمرة لي، بعد أن تخليت عن كل الدنيا لأجله، وتركت عملي ومستقبلي وكل شيء، طلقني بعد أن حملت منه بعد رحلة علاجه من العقم لسنوات..

انهارت أكثر من البكاء، وارتج جسدها أكثر وراحت تتصبب عرقًا وهي تردف:

- طلَّقني، الذي تزوجته رغمًا عن أمي التي تحديتها بسببه، طلقني بعد أن رأيته نائمًا على هذا السرير مع أختي..

قاطعها إسلام وقد تفاجأ: أختك؟؟ كل مصيبة تحدث يجب أن تكون وراءها وفاء.. تلك العاهرة التي كانت السبب الرئيسي في انفصالنا، بعد أن شوهت صورتك وصورة أمك في عيني، لولاها لكنا الآن متزوجين، لولاها الآن لكنا أسعد زوجين في العالم.

- لولا حماقتك وتصديقك لها ما كنت في هذا الموقف الآن.. قالتها معاتبة ولم تزل تبكي... وما كنت قابلت ذلك الرجل الذي أحال حياتي



من النعيم للجحيم، وأضاع من عمري ست سنوات، فقدت فيهم حماسي ومستقبلي وبهائي وطموحي وأجمل سنوات عمري...

- أعترف أنني كنت أحمق، وأنني ليس من المفروض أن أصدّقها أو أسير في طريقها.. ولهذا فقد عانيت أضعاف ما عانيتِ يا ريهام، لم يمر عليَّ يوم إلا وكنت أتذرع ألمًا من فقدانك وافتقادك..

لم يخبرها حينئذٍ بالإتفاق الذي أبرمه مع ابنة خاله ياسمين الإتربي، لم يجد فائدة من مصارحتها بذلك الآن، مسح بكفه العرق الذي يقطر على جبينها قبل أن يمسك يدها ويقبلها قائلًا:

- ثم من قال إن سنوات عمرك ضاعت، سنعوضها، وسنتزوج، وسننجب أطفالًا كثيرين، وسأحبك أكثر، وسيزيد حبي لكِ كل يوم عن اليوم الذي يسبقه.. أعدك بكل ذلك يا ريهام..

مسحت دموعها بكفها: ليس الآن، لن نتزوج قبل أن أنتقم منه ومنها

- منها؟.. ماذا تقصدين؟

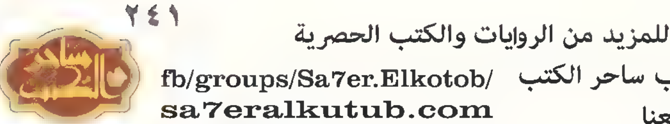
- أقصد القذرة وفاء.. التي أغوته وأخذته منّي

- لم تأخذه منك رغمًا عنه يا ريهام، فقد ذهب إليها بكامل إرادته، هذا الرجل يستحق العقاب، وسأبحث عنه في كل مكان وأبلغ الشرطة لتقبض عليه، ونتخلص منه للأبد ثم نتزوج.

- لا.. لا تفعل ذلك، لا تبلغ عنه، مروان رغم أنه خسيس ودنيء ويمكنه فعل أي شيء إلا أن يسرق، حتى لو تم سجنه بتهمة السرقة، فمن السهل جدًا أن يخرج منها كالشعرة من العجين

- بعد كل ذلك ما زلتِ تحبينه وتدافعين عنه؟!!

- أحبه؟!! أؤكد لك يا إسلام أنني لم يعد بداخلي أي مشاعر له، بل بالعكس، فأنا لا أريد أن أبلغ عنه، بل أريد أن أراه كل يوم وهو



يُعذَّب ويلقى كل ألوان العذاب.. أريد أن أضيع منه عمره مثلما فعل ذلك معي، هذا هو مهري للزواج منك.. فهل تستطيع تنفيذ ذلك؟ قالتها ببطء وهي تضغط على مخارج الألفاظ، وعيناها متوعدتان مليئتان بالغل، مُشهِرة بكلتا يديها سيف الانتقام الباتر..

- إن كان هذا ما تطلبينه فأعدك أنني سأفعل يا ريهام.. أخبريني فيما تفكرين وسألبّي لكِ كل شيء.

أضاءت فكرة في عقلها للتو، كانت قد كتبتها في روايتها الثانية التي سرقتها منها أختها، رواية «لوغاريتم».. والتي تدور أحداثها حول جريمة قتل مفبركة، ليتم خطف أحد الأشخاص وإيداعهم في السجن.. صاحت فجأة تسأله:

- سنسجنه، سنسجنه بجريمة قتل وليست سرقة؟

- قتل؟! كيف؟! قتل من؟

- قتلي

- نعم؟؟!! سألها متعجبًا.. هل تمزحين؟ أقتلك وألصق به التهمة مثلًا وأجعله يدخل السجن؟!!

انطلقت منها ضحكة عفوية انبسطت بعدها أساريرها: ها ها ها لا أقصد ذلك، فهو لا يستحق، أقصد أننا نستطيع أن نفبرك له قضية قتل ويسجن على إثرها

- نعم، فهمت. أنا لديَّ أصدقاء كثر في وزارة الداخلية، لأنني دائم التواصل معهم إن احتجت سيارات ترحيلات أو سيارات شرطة أو حتى تصوير خارجي بأحد الأماكن الحكومية.. ويستطيعون أن يقبضوا عليه ليعذبوه قليلًا أو إلصاق تهمة عادية له وسجنه شهرين أو ثلاثة أشهر، لكن قتلك؟!! كيف؟ معذرة فأنا لا أفهمك!



شردت لعشر دقائق تفكر في نسج خيوط للإيقاع به في أقرب وقت، كلما يحاول إسلام أن يهم بالتحدث تشير له بكفها أن يسكت ويدعها تركز.. صمتت للحظات شاردة كأنها تفكر في شيء أو تتأمل خطة

- هل لديك مكان في منطقة نائية أو بعيدة أو تستطيع أن توفر مكانًا بهذه المواصفات؟

- نعم، لدي مكان أستخدمه في تصوير بعض المشاهد الداخلية، مصنع مهجور بمنطقة وادي النطرون، المصنع الذي أخبرتك عنه قديمًا وكنت أنوي أن أعيد تشغيله مرة أخرى، هل تتذكرين؟

- نعم نعم أتذكر، هل تستطيع أن تجعل من هذا المصنع سجنًا؟

- سجنًا؟! كيف؟

- ستؤجر سيارة ترحيلات وملابس شرطة، وسنبحث عن مروان وعن وفاء، ونقبض عليهما بتهمة قتل، ونسجنهما في هذا المصنع الذي تستخدمه في التصوير، بعد أن نجهزه تمامًا ليكون أشبه بسجن حقيقي..

- ولمزيد من المصداقية، سنصورك وأنتِ ملقاة على الأرض، بعد أن أطلب من شخص مختص في ماكياج الأفلام أن يصنع لكِ ماكياج امرأة مقتولة بالرصاص مثلًا أو مذبوحة.

بدأت الأفكار تتداعى داخل عقلها أكثر فنهضت: ومهندس ديكور محترف، يجعل الغرف كما أخبرتك منذ قليل، زنزانة حقيقية.

- تقصدين زنزانتين، واحدة له وواحدة للقذرة التي تدعى وفاء

- بالضبط.. ولكن هذا سيتطلب محاكمة كي لا يشكان في أي شيء..!

- هذا أمر سهل، أستطيع الحصول على تصريح باستخدام إحدى قاعات دار القضاء العالي، وسأضع كاميرات في القاعة لإيهامهم أنها يتم تصويرها للرأي العام.

- وأيضًا لإيهام الذين سيقومون بدور القاضي والنيابة بأننا نصور مشهدًا في فيلم.

- بالضبط يا إسلام، لقد بدأت تندمج معي في الفكرة.

- بل من الممكن أن نحكم عليه بالإعدام أولًا، كي يعيش أيامًا سوداء بحق، دعي هذا الموضوع لي، كل ما عليك هو أن تكتبي السيناريو الذي تريدين تنفيذه، وأنا سأنفذه بالحرف، ولا تقلقي، فلدي كل الإمكانيات.

تركها إسلام سعيدًا بأنه على وشك العودة لحبيبته الأولى والأخيرة، ليبدأ في إعداد كل ما اتفق عليه معها. في نفس الوقت اتصلت به ياسمين تخبره وهي منهارة من البكاء أن مروان سرق خزينتها، وخنق مربيتها وهي الآن في حالة مذرية بين الحياة والموت، فذهب إليها مع سيارة إسعاف لأخذ المربية ومعالجتها قبل أن يفتح محضر إثبات حالة متهمًا فيه مروان بسرقة ثلاثة ملايين جنيه. وقد زاد إصراره حينها على تعذيب مروان جبر، انتقامًا لابنة خالته والأهم من ذلك انتقامًا لريهام..

***

بعد ساعة ونصف

أرسل أحد رجاله إلى العمارة التي تقطن فيها وفاء، لأنه المكان الوحيد الذي حتمًا سيلجأ له مروان، ظل يراقبهما مع رجل آخر حتى رآهما قد جلسا في جروبي، وبعدها ذهبا إلى أحد مكاتب حجز الطيران. عرفا ذلك من موظف المكتب بعدما أعطوه مئتين جنيه. وكلما عرفوا شيئًا يتصلون فورًا بإسلام الذي يجلس على أحر من الجمر يتابع كل خطواتهما من مكتبه وتجلس أمامه ريهام وطفلها.. سألته

- كيف في رأيك سنبدأ خطتنا؟ كيف سنخطفها؟

- لـن نستطيع خطفهـا، يجـب أن يسـير الموضـوع بشـكل طبيعـي، اسمعي.. لـديَّ صديق ضابط في قسم النزهـة، طالما خدمته في أشياءٍ كثيرة، ويتمنى أن يـرد لي هـذه الخدمـات، سـأتصل بـه وأطلـب منـه أن يعترضهـم في المطـار ويحتجزهـم عنـده، حتـى ينتهـي العـمال مـن إعـداد ديكـور غـرف السـجن الـذي سنودعه فيـه.. ولكـن مـا هـي المدة التـي سنحتجزهم فيهـا يـا حبيبتـي؟

- نفس المدة التي ضيعوها من عمري، ست سنوات..

قالتهـا سـاهمة، وقـد بـدا عـلى ملامـح وجههـا الانتقـام، تسـمَّر إسـلام وعلـق الـكلام في حلقـه، سـألته ريهام بهـدوءٍ عـن سـبب اندهاشـه، فأجابهـا بعـد أن اسـتجمع نفسـه مـن جديـد:

- لا شيء يـا حبيبتـي، فقـد عاهـدت نفـسي ألا أرفـض لـكِ طلبًـا قـط، حتـى لـو طلبـتِ أن أحتجـزه خمسـين عامًـا..

أمسك هاتفه ليجري مكالمة: آلـو.. خالـد بيه الكحكي، كيـف حالـك يـا صديقـي؟

- صديقـي العزيـز والمنتـج السـينمائي الكبـير الـذي أهملنـي الفـترة الماضيـة..

- أعرف أنني مقصر في حقك ولكن غصب عني صدقني..

- غصـب عنك كيـف، وإن افترضنـا أننـي صدقتـك، فلـماذا لم ترسـل لي علـب كومبـوت البرقـوق التـي طلبتهـا منـك بعدمـا أوصيـت معـارفي عليهـا في الميناء ومرروا الشحنة دون فحص؟

- لالالا لم أنـسَ والله، وقـد طلبـت منهـم أن يرسـلوا لـك أربعـين علبـة وليـس عشريـن فقـط، ولكنهـم لم يخزنوهـا بعـد..



- حسنًا.. سأنتظرهم.. قل لي هل تريد أي شيء؟

- في الحقيقة نعم، كنت أريد منك خدمة، يوجد شخصان سيسافران اليوم بعدما سرقا مني نصف مليون جنيه، وأريدك أن تمنعهما من السفر وتحتجزهما لديك يومًا أو يومين كي أؤدبهما...

- نصف مليون؟!! ولماذا تتعب نفسك بتأديبهما؟ أستطيع القيام بذلك بدلًا عنك

- لا لا فأنا أريد أن أتشفى فيهما على راحتي، كل ما أريده هو أن تحتجزهما لديك في القسم يومًا أو يومين فقط، وحاول أن ترهبهما دون أن تخبرهما بأي سبب لاحتجازهم.

- حسنًا، أعطني بياناتاهما ومواعيد وصولهما صالة المطار وسأقوم بكل شيء بمساعدة أحبائنا هناك..

بعدما أغلق معه الهاتف، طرق الباب، صاح إسلام «ادخل»

دخل شاب يبدو عليه الهدوء والوقار رغم صغر سنه: أنا محمد عبد العظيم، ماكيير، كنت قد اتصلت بي في..

قاطعه إسلام: نعم يا أ. محمد، لقد سمعت عنك أنك أفضل ماكيير صاعد في مصر، وقد علمت أنك اشتغلت فيه آخر فيلم لأحمد السقا وقد رأيت ما صنعته فيه وأعجبني كثيرًا..

- الحمد لله أنه نال إعجاب منتج كبير مثلك يا أ. إسلام.. فهذا شرف كبير.

- شكرًا، المهم كنت أريد أن تصنع ماكياجًا لهذه الفنانة الصاعدة.. قالها وهو يشير إلى ريهام، أردف: ماكياج امرأة مقتولة، مذبوحة.. أريد أن تنهي ذلك اليوم..



- هيًا بنا..

سألته ريهام: وبالنسبة لتصويري؟..

أجابها إسلام أنه بالفعل اتفق مع أحد المصورين المهرة، وسيصور الوضع وكأنه مسرح جريمة..

- لالالا.. لم أرَ في ذكائك قط يا إسلام.

- ولا في دهائي أيضًا، ولا تنسي يا حبيبتي أنني عملت مونتير لفترة كبيرة قبل أن أتجه للإنتاج.

* * *

بعدما تم توقيف مروان وفاء في المطار ووصولهما إلى قسم النزهة، اتصل خالد الكحكي بإسلام:

- إسلام باشا، إنهما في حوزتي الآن..

- عظيم جدًا، مثلما اتفقنا.. قالها إسلام.

- ولكن لدي استفسار.. هل السيدة التي تدعى وفاء تخصك؟!! أقصد إن قضت الليلة معي لتسليني ولن أخبرها بشيء مثلما اتفقنا، هل ستزعل منّي؟

- هذا النوع لا يروق لك يا باشا، منذ متى وأنت تحب ذوات الصدور والمؤخرات الكبيرة؟

- منذ الليلة.. هل ستزعل منّي إذا قامت بتسليتي الليلة؟

- لالالا لا تفعل، سأعوضك عنها صدقني.. المهم الآن كنت أريد أن أعرف منك كم ليلة تستطيع استضافتهما لديك؟

- ليلتان أو ثلاثة على أكثر تقدير، وإن كنت تريد أكثر من ذلك فمن الممكن أن نودعهما في قسم قصر النيل، فهناك الحياة سهلة ونستطيع أن أخزن لك كتيبة وليس فردين، وحجرة مكتب إن أردت..

- عظيم جدًّا.. سأستخدم هذه الحجرة في التحقيقات المزيفة التي سأجريها لهما. وأريدك أن تستضيفهما في حجرتين منفصلتين مدة أسبوع أو عشرة أيام على أكثر تقدير.

- حسنًا، لا تعر للأمر أدنى اهتمام، فكل ضباط قسم قصر النيل أصدقائي وأحبائي.

أغلق الهاتف ثم اتصل بالمصور الذي صور مسرح جريمة القتل. سأله عن الصور فأخبره أنها ستكون جاهزة وفي مكتبه بعد ساعتين، وسيحضر معه أيضًا تقارير المعمل الجنائي المفبركة.. اتصل إسلام بعدها بسكرتير مكتبه ليبدأ في إجراءات إستصدار إذن استخدام إحدى قاعات دار القضاء العالي وسيارة شرطة وترحيلات بعد أسبوع أو عشرة أيام على أكثر تقدير.

في اليوم التالي اتصل به كبير مهندسي الديكور ليبلغه أنهم انتهوا تقريبًا من الديكورات المطلوبة في المبنى المهجور بمنطقة وادي النطرون.

- رائع، إنها أخبار عظيمة، ولم أكن مخطئًا حين قررت اختياركم والاعتماد عليكم.. سآتي لكم حالًا، ومثلما أخبرتكم، إن لم أجد أي غلطة أو هفوة، سأصرف لكل فرد في فريق الديكورات والعمال مكافأة كبيرة.

بينما كان مروان ووفاء في قسم النزهة يحقق معهم خالد الكحكي، ذهب إسلام مع ريهام إلى المكان الذي سيقضي فيه مروان ووفاء أحلك سنوات عمرهما..

انبهرا بالديكور الذي بدا حقيقيًّا تمامًا والذي انتهوا منه في زمن قياسيّ لأنهم معتادون على ذلك، الزنزانتان كانتا بعيدتين عن بعضهما البعض مثلما طلبت ريهام، كي لا يسمعان بعضهما البعض. بالإضافة لغرفة المستشفى، وغرفتا التحقيقات وغرفة التعذيب..

نفذ مهندسو الديكور الزنزانتين مثلما في الحقيقة تمامًا، والطرقة المؤدية لهما بدت وكأنها لسجن عتيق..!

***



يوم المحاكمة

٢٠/ ١٠/ ٢٠١٠

بينما كان مروان ووفاء مكبلين، في الطريق بسيارة الشرطة إلى دار القضاء العالي، كان إسلام راغب في قاعة المحكمة التي حصل على إذن استخدامها في تصوير أحد الأفلام.. كانت المقاعد جالسًا عليها ستون كومبارسًا، والثلاث قضاة والمدعي بالحق المدني أيضًا كومبارس.. وقف في وسط قاعة المحاكمة موجهًا كلامه لهم..

- اسمعوا جيدًا، هذا المشهد عبارة عن مسابقة، مشهد لن يتعدى عشر دقائق، سيصور مرة واحدة فقط، مرة واحدة فقط ولن نعيده، كل من سيؤدي دوره على أكمل وجه، وقال ما هو مكتوب في ورقته، سيكون له نصيب في العمل بأفلامي القادمة..

الخطبة العصماء التي ألقاها المدعي بالحق المدني في سبع دقائق، كانت عبارة عن نصف صفحة، والحُكم الذي قرأه القاضي بعد ذلك، حتى الأربعة الذين قاموا وهتفوا ضد مروان، كل ما سبق ليس إلا سيناريو كتبته ريهام بحرفية ودقة متناهية..

خرج إسلام وريهام من القاعة في الوقت الذي دخل فيه مروان ووفاء، سار المشهد كما كتبته ريهام تمامًا؛ وما إن نطق القاضي بالحكم على مروان بالإعدام، وعلى وفاء بعشر سنوات، أخرجهما العسكري من القاعة مكبلين، أعادهما مرة أخرى إلى السيارة التي نقلتهم مباشرة إلى المبنى الذي أعدوه لاستقبالها..

على أكمل وجه...

في الطريق.. من داخل كابينة السائق تم تسريب غاز يغيبهم عن الوعي إلى أن يصلوا المبنى، تم تغيير ملابسهم، البدلة حمراء اللون لمروان

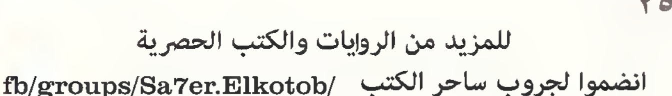
الذي كانت غرفته الضيقة في الطابق الأرضي، ورداء أبيض اللون لوفاء التي تم إيداعها في الطابق العلوي..

في كلتا الغرفتين كاميرا مثبتة بحرفية شديدة في أحد الأركان، كاميرا بحجم الزر. ليراقبهما إسلام راغب من غرفته المعلّق على بابها يافطة مكتوبًا عليها: «مأمور السجن - قنديل عبد الملك»، ومعه ريهام التي شعرت بانتشاء حين رأت كل الخطة تسير مثلما أرادت بل أدق.. بفضل مساعدة إسلام الذي كان على استعداد لفعل أي شيء لينسيها ما فعله معها ولترضى عنه.

كل يوم يمر معها كان يحبها أكثر من اليوم الذي قبله. ليعوضها عن كل ما عانته بسببه، ليعوضها عن تركه لها في أضعف حالاتها، فأصبحت لقمة سائغة في فم زوج لم يع قيمتها جيدًا، واعتبر تنازلاتها له ضعفًا، فعاملها كشيء رخيص.. بينما كانت جالسة معه في المكتب، شردت قليلاً وانهمرت دموعها فجأة حين مرَّ أمامها سريعًا كل ما فعله مروان بها في نفس الوقت الذي تشاهده فيه عبر الكاميرا. اجتاحتها قشعريرة حين رأت نفسها امرأة أخرى غير التي كانتها من قبل، فكلما كانت المرأة أكثر طيبة وتفانٍ مع شخصٍ أحبته، كلما انقلبت إلى امرأة أخرى تمامًا عكس التي كانتها قديمًا، امرأةٌ تستطيع التفنن في الانتقام حين تُخدَع من ذلك الشخص، حتى لو وصل الأمر إلى القتل..

نهض إسلام من مكانه وأخذها في حضنه ليهدئ من روعها.. شعرت بحنانٍ جارف انتابها، فالحضن الصادق يستطيع اختصار واختزال مليون كلمة، هدأت تمامًا في غضون نصف دقيقة، مسحت بعد ذلك دموعها وهي تسأله: ومن الذي سيتولى أمرهما ومأكلهما بينما نحن في مشاغل حياتنا؟

- لا تقلقي من هذه الناحية، فقد عيّنت شخصًا بمرتب شهري للإقامة هناك، يدخل إليهما طعامًا يوميّ، مرتديًا زِي عسكري، رجل





يدعى متولي. علاوة على أنه ابن عمي، هو أيضًا من أخلص وأذكى موظفي شركتي، حكيت له عن كل شيء، وفهمته ما سيقوم به بالضبط، مقابل أن أضاعف له مرتبه فوافق على الفور، فهو متفانٍ كما قلت لك ولن يرفض القيام بأي شيء أطلبه منه.

- اطلب منه أن يدخل إليهم أردأ أنواع الطعام، أريد أن يريا الموت كل يوم ولا يطولانه.

- مثلما تحبين، فقط اطلبي أي شيء وسيُنفَّذ بالحرف.. قالها وهو يمسك الهاتف ويتصل بمتولي الجالس في الخارج مرتديًا زِي عسكري، طالبًا منه أن يأتي..

- تحت أمرك يا قنديل بيه عبد الملك

- ما هذا؟ والله لولا أنني متأكد من أنك ابن عمي لظننت أنك عسكري بالفعل - قالها مازحًا - وكما قلت لك من قبل؛ من بين كل من يعملون لديَّ، أعتبرك أقرب موظف لي في شركتي، وأهم دور في كل هذه الخطة، هل أنت مستوعب عواقب أي خطأ؟

- نعم يا ابن عمي.. مستوعب تمامًا وأطلب منك أن تطمئن ولا تقلق، أنت وأ. ريهام.

لفت انتباههم في الشاشة أنه يطرق الباب بقوة، نظر إسلام إلى متولي فأدرك تلقائيًّا ما يريده إسلام.. ما إن انطلق ليتعامل مع مروان، حتى نهض معه إسلام، ليطرق عليه الحائط، ويقوم بدور السجين المجاور له «محمد عبد العظيم» الذي سيعدم قبل موعد إعدامه بأسبوع، وكان الهدف من ذلك هو أن يفتح معه حوارًا يقنعه من خلاله أن لديه فرصة النجاة عن طريق الطعن في الحكم.. فيطلب مقابلة نشأت باعتباره الشخص الوحيد المقرب إليه..

***



بعد أسبوع

اتصلت ريهام بنشأت وطلبت مقابلته لتخبره بكل ما سبق، وأن مروان يريد رؤيته ليعيّن له محاميًا..

- يا لها من حيلة ذكية... صاح نشأت مندهشًا.. ولكن ريهام، احذري، فقد ذُقتِ الظلم والهوان، أرجوكِ لا تدعي الشيطان ينال منكِ، لا تعطي فرصة للانتقام أن يعمي عينيك عن الحق وتأخذي منه أكثر من حقك.

- هل أنت الذي تقول هذا الكلام يا نشأت وأنت تعلم جيدًا ما فعله بي؟ وأنت تعلم أيضًا القصة التي اختلقها لتشويه سمعة أمه.. وعمومًا لا تخف يا نشأت، لا تقلق بشأن ذلك. المهم، ستذهب له غدًا كي يقابلك..

- حسنًا.. سأفعل كل ما طلبتِه بالحرف

رغم أن أحيانًا حين كانت تختلي بنفسها تلومها، متسائلة في داخلها «كيف وصل بي الانتقام إلى أن أفعل ذلك؟ كيف أزيده ألمًا فوق ألم هكذا؟!» لكنها سرعان ما تعود لترد على أسئلتها «وكيف وصلت به الخسة أن يفعل بي كل ما فعل؟ وليس وحدي بل أيضًا بكل النساء اللائي أقام معهن علاقات؟!»

***

في اليوم الذي تم استدعاء نشأت ليقابل مروان في زنزانته ليطلب منه أن يطعن في حكم الإعدام، أعطاه كلمة السر لفتح الحقيبة التي أودعها في خزينته. بعدما تركه نشأت ذهب مع إسلام وريهام ليفتح أمامهما الحقيبة. وأعطاهما كل ما فيها من أموال، ليعيدها إسلام بدوره إلى ياسمين ابنة خاله مرة أخرى..

- الحمد لله يا حبيبتي، الآن قد عاد الحق إلى أصحابه.
- لا.. ليس بالضبط يا إسلام.. فلا زال هناك من لديه حق.
- من؟! سألها نشأت الذي تنفس الصعداء بعدما سلم الحقيبة إليهما بضمير مرتاح..
- قيمة الذهب الذي سرقه من نهال يا نشأت، تلك المرأة الذي كان معها في نفس اليوم الذي طلقني فيه..

سألها زوجها إسلام: وكيف ستعرفين قيمته يا حبيبتي؟

- لقد أخبرتني أنه أخذ من ابنة خالك ثلاثة ملايين جنيه، سنحسب المبلغ الزائد عن ذلك، وسأضيف عليه ثلاثين ألفًا قد أخذها من الإجمالي ليعطيهم لي يوم تطليقي، وسأعطيهم لها.

طلب من محاميه أن يطلع على المحضر الذي اتهم فيه مروان بسرقة نهال، ليعرف منه عنوانها، وذهبا إليها فوجدوا نهال في حالة مذرية، بعد أن حرق زوجها نصف وجهها جزاء على خيانتها له، وطلقها بعد ذلك ليتركها مع ابنها يعيشان على ما باعته من أثاث شقتها كي لا تمد يدها لأحد. خصوصًا بعد أن تبرأ منها أهلها حينما أخبرهم زوجها بما فعلته.. شعرت ريهام بالأسى تجاهها، والشفقة عليها، حينما دخلت شقتها الفاخرة ولم يتبق فيها من الأثاث سوى قطع قليلة..

- نهال، أنا طليقة مروان و..

قاطعتها نهال التي تداري على استحياء نصف وجهها المشوه: أرجوكِ.. لا أريد التحدث في ذلك الأمر، فقد عانيت بعد هذا الموضوع بما فيه الكفاية وعوقبت أشد عقاب، وتحملت بما لا يستطيع أحدٌ تحمله، فلا تحدثيني عن أي شيء يتعلق بهذا الموضوع مطلقًا.

- أنا أحترم رغبتك تمامًا، ولكن الله أرسلني لك الآن كي أنقذك مما أنتِ فيه.

أعطتها ظرفًا منتفخًا، رمقتها نهال متسائلة بعينيها عما بداخل الظرف فأجابتها ريهام:

- هذا الظرف به مئة وخمسون ألف جنيه، حق الذهب الذي سرقه منكِ مروان، وأكثر.. لا تسأليني عن أي تفاصيل، فقط خذيه.

دخل عليهم ابنها، عائدًا من المدرسة، مرتديًا الزي المدرسي. نظرت إليه ريهام بعينين شفوقتين وسألته مبتسمة عن اسمه، فأجابها: اسمي عمرو سمير محمد صيام.

- ماشاء الله، هل تعلم أنك وسيم جدًا يا عمرو؟ قل لي، في أي مرحلة دراسية تدرس يا حبيبي؟ وفي أي مدرسة؟

- في المرحلة الإعدادية، بمدرسة الشويفات الخاصة، ولكن أمي ستنقلني في العام القادم بسبب المصاريف وال....

قاطعته نهال موبخة إياه: ولد... اسكت!

أطرق ابنها فربتت ريهام على كتفه وقالت له وهي تمسد رأسه: لا تقلق يا حبيبي، ستظل في مدرستك ولن ينقلك أحد.. قل لي، ما هي هواياتك؟

- القراءة والكتابة.

- ماشاء الله، أعدك أن أكون أول من يقف بجوارك إن كنت بالفعل تمتلك موهبة الكتابة بحق...

قالتها وجذبته ناحيتها وقبلت وجنتيه. فأمرته أمه أن يدخل غرفته. ما إن تركهم حتى قالت ريهام لنهال: سأتكفل بدراسة ابنك منذ اليوم وحتى يتخرج من الكلية ويستطيع الاعتماد على نفسه. كل مصاريف مدرسته وتعليمه ستكون مسؤليتي.

لم تستطع نهال أن ترد عليها بأي كلمة، انهارت من البكاء،



استطردت ريهام بعدما نهضت وأخذت تربت على كتفها: هوني عليكي يا حبيبتي، فكل شخص منا حتمًا يخطئ، الأهم أن نصلح أي خطأ ارتكبناه.

- شكرًا لكِ يا ريهام، لن أنسى ما فعلتِه معي طوال حياتي، وهذا المبلغ أعاد لي فرصة للحياة مرة أخرى كي أربي ابني وأعتني به.

- لا يا نهال، فكما أخبرتك، تربية ابنك مسؤليتي من اليوم، سأرسل لكِ مصاريفه كل شهر، وهذا المبلغ الذي معك انفقيه في الأكل والشرب والنفقات الأخرى.. أستأذنك الآن.

بعدما غادرت ريهام شقة نهال، نزلت لإسلام الذي ينتظرها بالأسفل وأخبرته أن كل شيء على ما يرام، فاتصل بمتولي ليطلب منه إخبار مروان غدًا أن الطعن قد قُبِل..

وأن الحكم قد تم تخفيفه..

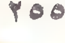
وتم تبديل بدلته الحمراء

بالزرقاء..

في الطريق لاحظ إسلام أن ريهام شاردة، تفكر في شيء ما، سألها في ماذا تفكر فأجابته:

- أتظن أن قصر المدة بين المحاكمة والقبض عليه والطعن وحكم التخفيف سيجعل أي منهما يشك في شيء؟

- لا أعتقد يا ريهام، خصوصًا أننا أدينا مشهد المحاكمة في دار القضاء العالي على أكمل وجه، بالإضافة إلى الديكورات الرائعة التي أدهشتني أنا شخصيًا، وفكرة الموت والعزلة والوحدة التي ستجتاح حياتهما بعد ذلك. كل ما سبق سيجعلهما لا يشكان لحظة في أي شيء،





ولـن يفكـرا في شيء سـوى مـا افتقـداه وحرمـا منـه.

أرجعـت مسـند الكرسي للـوراء وأغمضـت عينيهـا مسـترخية، فـأردف إسـلام:

- سـأقابله غـدًا بـدور قنديـل عبـد الملـك، مأمـور السـجن القـاسي.. أريـد منـكِ أن تقفـي حينهـا وراء السـتارة، وأخبرينـي هـل أصلـح في التمثيـل أم لا..

لم يكـد يكمـل جملتـه حتـى انطلقـت منهـا ضحكـة بمـلء فيهـا، شـعر إسـلام أنهـا خرجـت مـن قلبهـا. أمسـك يدهـا:

- كل مـا أتمنـاه مـن هـذه الدنيـا يـا ريهـام أن أعيـد إليـك ضحكتـك التـي كنتِ تضحكينهـا قديـمًا، هـل تتذكرينهـا؟

- أنـت فعلـت ذلـك بالفعـل يـا إسـلام، ليسـت ضحكتـي فقـط، وإنـما أعـدت لي حيـاتي التـي سُرِقَـت منـي عـلى حـين غـرة.

***

تـم الاتفـاق بعدهـا مـع متـولي عـلى إخبـاره أنـه ذهـب ليسـأل عـن ابنـه، وأنــه مـع أسرة تربيـه وتعتنـي بـه، وأن نشـأت قـد سـافر وتركـه، ووعـده أنـه سـيبذل قصـارى جهـده لمتابعـة ابنـه.. بعـد يومـين وقـف هـو وإسـلام «قنديـل عبـد الملـك» بالخـارج، وتظاهـر أنـه يعذبـه ثـم دخـل إسـلام عليـه بكربـاج منغمـس في زيـت، ليؤكـد لـه مـا كانـا يفعلانـه، وأن مـا سـمعه صحيـحٌ.. وهـدده أنـه سـيفعل معـه مثـل مـا فعلـه مـع متـولي إن صـدر منـه أي إزعـاج أو طلـب أي شيء.

كانـت تعليـمات إسـلام ألا يتحـدث متـولي لمـروان أو وفـاء بعـد ذلـك

قط.. وأن تكون العلاقة بينه وبينهما هو الإشراف فقط على الأكل الذي يدخل لهما كل يوم، ومراقبتهما عبر الكاميرات المزروعة في زنزاناتهما، وأن يتصل بهما إن وجد أي شيء ليس على ما يرام..

***

١ يناير ٢٠١١

بعدما انقضت عدتها مباشرةً، بينما كانت ممددة جسدها في غرفة النوم، بجوارها ابنها، تمد سبابتها لابنها ليمسكه بكفه فتبتسم وتأخذه في حضنها، مر طيف مروان في خيالها فطردته فورًا شر طردة، مر بعده إسلام فانتشت أساريرها وهي تتذكر كل ما فعله لإسعادها ولينال رضاها، في نفس الوقت الذي اتصل بها فانطلقت منها نصف ضحكة

- ماذا تفعلين؟

- هل تعلم أنني كنت أفكر فيك الآن؟

- إذًا، ارتدي ملابسك، أنا أنتظرك بالأسفل، سأتحدث معك في موضوعٍ مهم.

ارتدت ملابسها وألبست ابنها أيضًا ونزلت له، ركبت السيارة، نظر لها مليًّا قبل أن يمسك رأسها بيديه ويقبّلها بجبهتها

- مبروك يا حبيبة قلبي..

- مبروك؟! على ماذا؟!

اليوم قد انقضت عدتك.. نظرت له مبتسمة فدسَّ يده في جيب بذلته من الداخل وأخرج علبة قطيفة حمراء، أعطاها لها، فتحتها فانبهرت من هول المفاجأة وتسمرت.

- خاتم من الألماس..!! ما هذا؟

- إنه أقل شيء يمكنني أن أقدمه للتي لم أحب غيرها في حياتي قط، كل نساء العالمين لا يساوون شيئًا بجوارك، أتمنى أن تقبليه يا حبيبتي، وتقبليني زوجًا لكِ، سأعيش مخلصًا طائعًا رهن إشارتك، سأعيش فقط لفرحتك، وإسعادك، ومسح كل شيء حزين مرَّ في حياتك..

تزوجا في نفس اليوم..

وأقاما بعدها بيومين حفل زفاف دعا فيه كل الممثلين والمطربين وكل من يمت بصلة بالوسط الفني، من بين المدعوين كانت ياسمين الإتربي، ابنة خالته، مع ابنها. بعدما عاشت في صمتٍ لفترة كبيرة، صمت مطبق يحجب عن كل ما حولها مرارة بُعدها عن مروان، وفشلها في جذبه إليها. رغم أن الأمر في بدايته كان مجرد لعبة لكنها على ما بدا عليها أحبَّته بصدق، دون أن تضع في حسبانها أنه رجل خائن لا عزيز له، لكنها أيقنت وتأكدت من ذلك بعد الذي فعله.. وبالكاد استطاعت أخيرًا أن تخرج من شرنقة الحزن التي أحاطت بها. أقبلت عليهما في «الكوشة» سلمت عليهما وحضنتهما وتمنت لهما زواجًا سعيدًا..

كان من بين المدعوين أيضًا الدكتور نشأت، الذي كاد يبكي من فرحته حينما رأى ريهام سعيدة وتضحك من قلبها.. ذهب لزيارتهما بعد أسبوع بهدية زواجهما قبل أن يذكرهما:

- لا تنسوا الاعتناء بمروان، تابعوه أرجوكم، فأنا خائف عليه جدًّا، وهذه الوحدة يمكنها أن تنال منه. ليس هو فقط وإنما أيضًا وفاء، فهي برغم قوتها التي كانت تبدو عليها لكنها ضعيفة جدًّا.

- لا تقلق يا دكتور نشأت.. قال له إسلام راغب، نحن نتابعهما طوال اليوم تقريبًا، بالإضافة لوجود ابن عمي، متولي. واثنان موظفي

أمن. ومؤخرًا تم إيصال الكاميرات المثبتة على زنزاناتهما بحيث نستطيع رؤيتهما من مكاننا هنا أو في المكتب.. لا تقلق عليهما..

بعد شهرين من زواجهما توفيت والدتها وكان آخر شيء قالته لها إنها اطمأنت عليها أخيرًا بعد زواجها من إسلام..

***

١ يناير ٢٠١٢

رزقا ريهام وإسلام بطفلٍ جميل، وتوسعت شركة إسلام فأصبحت تنتج برامج أيضًا من بينها برنامج ثقافيٌّ في إحدى القنوات الفضائية، تقدمه الكاتبة ريهام نعمان نخلة، التي لمع نجمها مؤخرًا، بعدما نشرت أولى رواياتها، وسيتم تحويلها لمسلسل قريبًا، سيذاع في رمضان بتسع قنوات فضائية..

***

١ يناير ٢٠١٣

اتصل متولي بإسلام ليخبره أن مروان سقط فجأة على الأرض، فانتفض إسلام وذهب إليهما بصحبة أحد أصدقائه الأطباء، الذي كشف عليه وأوصى بتعليق جلوكوز له لمدة يومين والاهتمام بأكله، استفاق بعدها مروان فوجد بجواره دجاجتين مشويتين وأرزًا، أخبره متولي أنها هدية من قنديل عبد الملك مأمور السجن.. وبجوار الأكل صابونة وليفة وماكينة حلاقة ومقص..

أدخل له أيضًا من خلال ثقب الباب العلوي، خرطومًا ليستحم

وينظف نفسه جيدًا..

وأصبح طوال هذا العام يفعل ذلك معه بشكلٍ دوريّ كل ثلاثة أشهر

١ يناير ٢٠١٤

بينما كانت جالسة في وقت فراغها تشاهده في الشاشة، لفت انتباه ريهام أنه يصرخ بشكل هيستيري ويطرق باب الزنزانة بقوة، ارتابت في الأمر، اتصلت بمتولي فأخبرها أنه على هذا الحال منذ الصباح، كان ذلك حين شاهدته يسقط مغشيًا عليه.. طلبت من متولي الدخول إليه وإسعافه إلى أن تأتي له برفقة إسلام الذي تفاجأ في الطريق برغبتها في الدخول له زنزانته والتحدث إليه..

- ولكني أخاف عليكِ منه يا حبيبتي، ومن رائحته ورائحة الغرفة عمومًا.

- لا تقلق عليَّ يا حبيبي، فهو لن يستطيع أن يتحرك من مكانه أساسًا، أنا فقط سأواجهه بكل خطاياه التي فعلها في حياته، وخصوصًا ما فعله تجاه أمه، سأفعل ذلك في عشر دقائق ليس أكثر من ذلك، وأريد أن أعرف أيضًا إلى أي مرحلة قد وصل.

- ماذا أقول؟ كاتبة ومجنونة..! قالها مازحًا وهو يضمها إليه بيده اليمنى، بينما كان مُمسِكًا بعجلة القيادة بيده اليسرى، فأسندت رأسها إلى صدره... سرح قليلًا فلاحظت شروده في المرآة، سألته ما به:

- هل لازلتِ تحبينه يا ريهام؟

ابعدت رأسها عنه مندهشة من سؤاله، حاولت أن تبحث عن كلمة تبدأ بها كلامها لكنها لم تجد..

- ماذا بك يا حبيبتي؟ الهذا الحد تجدين الإجابة صعبة أو تحتاج إلى تفكير؟ سألها مبتسمًا.

- إسلام، سؤالك غريب وليس لدي إجابة عليه.. معك شعرت بإنسانيتي، أنت أول شخص أحببته في حياتي، وسأظل أحبك إلى أن أموت، فالمرأة لا تحتاج سوى إلى رجل، ولم أجد أرجل منك، فبين هذا وذاك - قالتها وهي تشير إلى كتفيه - تكمن رجولة العالم كله.

***

١ يناير ٢٠١٥

في كل السنوات السابقة لم تكن مهتمة بشكلٍ ملحوظ بوفاء، غير أنها كانت حريصة على أن تكون في صحة جيدة بزنزانتها، وكانت تطلب من متولي أن يقدم لها أكل أفضل قليلًا من مروان..

أثناء ذلك زارها نشأت ليسألها عنهما، وطلب منهما أن يشاهده قليلًا ليراقب حالته، كان بإمكان ريهام أو إسلام أن يرفضا تدخله من الأساس، لكنهما كانا يحترمانه ويعيان جيدًا أن تدخله هذا كان إنسانيًّا فقط لا غير، وأيضًا بسبب صداقته مع مروان، فاحترما ذلك ولم يرفضا طلبه بأن يشاهد مقاطع من الأيام السابقة لفحص تحركاتهما وردود إفعالهما..

حرص على مشاهدتهما بشكل دوري طوال عام ٢٠١٥ حتى أخبرهما في أواخر العام أنهما على وشك الجنون، وهذه هي المرحلة التي عادة تسبق الموت، وأنهما يجب أن يوقفا ذلك بأسرع وقت.. كي لا يعيشان بذنب قتلهما..

نظر إسلام إلى ريهام التي اغرورقت عيناها حين سمعت ذلك



الكلام من نشأت، وأومأت برأسها إيماءة فهم معناها إسلام.. قال لها بحنانٍ حيي لا يشف إلا عن عشقٍ وتقدير:

- أتمنى أن أكون قد وفيت بوعدي لكِ، بعد شهر من الآن يكون قد أتم الست سنوات، مثلما طلبتِ مني بالضبط يا حبيبتي.

في هذه الفترة انزوت ريهام تكتب روايتها السادسة، وسيناريو فيلمها القادم، لكنها كانت حزينة جدًّا، بسبب القسوة التي كست قلبها تجاه طليقها وأختها، ولكن قسوتها عليهما هي التي أوصلتها إلى هذه المرحلة من الانتقام، وفي إحدى الليالي فتحت الشاشة لتشاهدهما، فوجدتهما في نفس الوضعية، بائسين، ضعيفين، كلٌّ نائم على جنبه متكور على نفسه وقد فقدا كل شيء، حتى معرفتهما اسميهما..

دخل عليها إسلام وهي تشاهدهما بعينين حمراوين غارقتين في الدموع التي تنحدر منهما بلا هوادة، احتضنها من الخلف، التفتت له وقبَّلت جبهته..

- شكرًا يا إسلام، شكرًا على كل ما فعلته معي، شكرًا على مساعدتي في إيجاد نفسي واكتشافها من جديد إلى أن أصبحت ما عليه الآن.. شكرًا على احتوائك جنوني قبل ضعفي، واحترامك لي، ولابني، شكرًا على ابننا.. وعلى وجودك.

لم يقل لها أي شيء، فقط نظر لها مبتسمًا، قبَّلت يديه قائلة له

- كفي.. اخرجهما، ولكن لا تنسَ آخر ورقة في السيناريو الذي كتبته لمروان.. حين نعيده إلى المنزل، بعدما يرى يوسف ابنه مع صديقتي وزوجها، ويقولا له ما أخبرتهما به تمامًا، سيذهب للبحث عن نشأت



حتمًا سواء في العيادة أو في بيته، في نفس الوقت ستبلغ ياسمين الشرطة عن هذين المكانين، وسيذهبون للقبض عليه حين يتفاجأ بأن العيادة لم تعد كذلك. فيقبض عليه.. وبعد يومين ستذهب ياسمين لتتنازل عن المحضر ويُقفَل..

***

فغر فاه بعدما علم كل شيء، وأدرك أن الحقيقة ليست بالضرورة هي ما يراه الإنسان، فربما تكون هذه الحقيقة جزءًا لا يتعدى واحد بالمئة من الحقيقة الكبرى. استبد به الغثيان، نضح جبينه عرقًا، وشعر أن الدم تدفق فجأة إلى صدغيه حين تجسد أمام ناظريه كل ماضيه، رافعًا يده عاليًا ممسكًا بسيفه الحاد لينزل به على رأسه بقوة فأفقده الوعي..!

انعقد لسانه حينها واتسعت عيناه اندهاشًا، خرَّ على ركبتيه غير مصدق أن كل ما سبق ليس إلا لوغاريتم صنعته على مقاسه تمامًا ليعيش فيه نفس المدة التي ضيعها من عمرها، كل ما سبق ليس إلا رواية، حبكة، سيناريو. كتبته بكل حرفية، امرأة، امرأة سلب منها كل شيء، وطالما شك في قدرتها على فعل أي شيء. شعر بأن الدنيا تلف به لا يستطيع التحدث بكلمة واحدة، حاول أن يلتقط حرفًا يبدأ به أي شيء لكنه فشل. حاول حتى النظر إليها فلم يستطع.. طلب منها بلسانٍ ثقيل ونبرة متهدجة بها بعض رجفة:

- هل يمكنني احتضان ابني للمرة الأخيرة من فضلك؟

انهارت ريهام من البكاء حين رأته ماثلًا أمامها خاشعًا، خاضعًا هكذا ويطلب منها بضعفٍ ووهنٍ مثل هذا الطلب. غير أنها سرعان

ما استجمعت شتاتها مرة أخرى ورفعت رأسها في شموخ وأجابته بنبرة صارمة حازمة:

- تستطيع رؤيته واحتضانه في أي وقت يا مروان.. فهو ابنك، ابنك الذي شككت قديمًا في نسبه إليك، إن أردت رؤيته في أي وقت اتصل بإسلام زوجي، وسيحضره لك.

- سيكون هذا كرمًا منك يا أستاذة ريهام، ومن أستاذ إسلام أيضًا... شكرًا لكما.

قالها مطرقًا وهو يشعر بالإذلال فلم تحتمل ريهام رؤيته هكذا وهرعت خارج الغرفة، تبعها إسلام ومعه ابنهما، تاركًا له ابنه، يوسف. قال له بنبرة هادئة وهو يربت على كتفه:

- أمامك عشر دقائق فقط لتجلس فيهم مع ابنك، لأن لدينا مشوارًا مهمًّا بعد ذلك.

ظل مروان حاضنًا ابنه، يبعده عن حضنه لهنيهة ينظر إليه بعينين مغرورقتين فيمليهما منه ثم يعيده مرة أخرى إلى حضنه.. ظل هكذا إلى أن كاد يموت كمدًا من فرط الحزن، عادت ريهام مع إسلام بعد عشر دقائق لتأخذ ابنها قائلة له بنبرة قوية واثقة وبالكاد استطاعت كبح دموعها:

- تستطيع الجلوس هنا في الشقة، وستجد في درج مكتبك، مبلغ من المال، الثلاثين ألفًا الذي أعطيته لي حينما طلقتني، فأنا لست بحاجة إليهم.

تذكر هذا المشهد جيدًا، حين طلقها بعد أن ضاجعها وأعطاها هذا المبلغ، لم يزل راكعًا على ركبتيه ومستندًا عليهما بكفيه وهو ينظر إلى



الأرض بذل وخضوع، استطرد إسلام:

- مثلما أخبرتك، إن أردت رؤية ابنك في أي وقت تستطيع ذلك بالطبع، وإن أردت أي شيء عمومًا تستطيع الاتصال بي.. قالها وهو يلقي أمامه كارته الشخصي..

ورحل..

مع زوجته وابنها... وابنهما.

* * *



مقدمة

بعد اليوم الذي جاءت فيه ريهام نعمان نخلة إلى بيتنا، وأعطت إلى أمي الظرف وأخبرتها أنه يحتوي على حق الذهب الذي سرقه منها زوجها، وعدت أمي حينها أن تتكفل بتربيتي وتعليمي، وبالفعل أوفت بوعدها، وواظبت على دفع كل أقساط مدرستي الخاصة، والتي أصرت أن أكمل تعليمي فيها رغم رغبة أمي في نقلي إلى مدرسة حكومية.

لم تبخل عليَّ قط بأي شيء أطلبه منها مباشرة. فأحببتها جدًا، وأحببت زوجها إسلام راغب، الذي طلب منّي وبإصرار أن أناديهما باسميهما دون أي ألقاب. كان يعاملني كصديق ليس كطفل، عوضني كثيرًا عن أبي الذي هجرنا. حتى بعد وفاة أمي متأثرة بحزنها بعد سنتين من زيارة ريهام نخلة. تاركة لي ما تبقى من المبلغ الذي أخذته منها. شعرت أنني سقطت في بئر عميقة من الألم والحرمان والشقاء، لكنني فوجئت بيد الرحمة والحنان تلقفني قبل أن يرتطم جسدي بالقاع؛ أخذتني ريهام لتربيني مع أولادها. والحقيقة أنني تأثرت بها كثيرًا، فكنت أقضي معظم ساعات الليل، في أيام الإجازة. أراقبها وهي تكتب، فأحببت الكتابة بسببها أكثر وأكثر، وكثيرًا ما كانت تشجعني على تنمية هذه الموهبة بداخلي، وتطلب مني أن أمسك ورقة وقلمًا لأكتب ما يجول بخاطري، فتقرأه وتشجعني كي أكمل. وكثيرًا ما كانت تعلمني تقنيات الكتابة. فتنصحني بتغيير معنى، أو استبدال مرادف. حتى أصبحت الكتابة في دمي.

مرت الأيام والسنون، حتى صار عمري ثماني وعشرين سنة، كتبت روايتي الأولى وحققت صدى غير متوقع، رغم أن ريهام توقعت نجاحها هذا لأنها حين قرأت المسودة الأولى أخبرتني أنني مشروع لكاتب عظيم. وقد عرض عليّ إسلام أن يشتري حقوق تحويلها لفيلم سينمائي، حينها فقط أيقنت أن روايتي رائعة، لأن إسلام لا يجامل إطلاقًا في العمل. تشجعت بعدها على كتابة روايتي الثانية وحققت نجاحًا أكبر من نجاح روايتي الأولى، وانتشرت في مصر وخارج مصر، وترجمت بعد ذلك للغة الفارسية والإنجليزية والفرنسية..

والآن..

قد أتممت الثلاثين عامًا، تقريبًا نفس سن مروان جبر لمّا كان في صدر شبابه، حين ضاجع أمي وسرقها بعد ذلك. كنت متسامحًا جدًّا مع هذا الموضوع، ولا أعرف ما سر هذا التسامح الذي قد يبعث عند البعض الدهشة والتعجب، ولكنها الحقيقة!

كنت ألتمس لأمي ألف عذر حين أحبته وطلبت قضاء ليلة معه. كل ما في الموضوع أنها أحبته ولبت نداء قلبها، فمن أنا كي أحاسبها على ذلك؟

لم أكره أمي يومًا ولم أحمل في صدري لها أي حنق لأنها فعلت ذلك، كنت أقول في قرارة نفسي مبتسمًا، لعلها فعلًا كانت تحبه..! خصوصًا أنها لم تعش مع أبي يومًا دون ضرب أو إهانة لكرامتها. نفس الشيء الذي كان يفعله مروان مع ريهام. أعجبتني تلك الدائرة المفرغة التي نعيش فيها كلنا. فثمة أقدار متشابهة إلى حدٍ كبير تتكرر في حياتنا، تقترب في تشابهها من الدوائر الناتجة عن إلقاء حجرٍ في بحيرة مياة ساكنة، لتكون مركز لدوائر كثيرة تتولد منها، وما تمر به إحدى الدوائر، هو بالضبط

نفس ما تمر به الدائرة التي تلاحقها. وتتابع الدائرة وراء الدائرة، فتتسع وتتسع، لتتسع أكثر. إلى أن تنتهي عند اصطدامها بحافة البحيرة. وانتهاء الدائرة الواحدة هي موت شخص تتشابه حياته وقدره مع حياة وقدر شخص آخر.. سيموت حتمًا بعده!

هل أنا إحدى هذه الدوائر؟! ربما.. ولكنني بعد كتابة هذه الرواية أدركت ما فشل مروان في إدراكه، جاهدت طوال حياتي ألا أكون مثله، وألا تتشابه حياتي مع حياته. أحببت فتاة وعلمت منها بعد ذلك أن أختها تكرهها منذ الطفولة، فابتعدت عنها على الفور وهجرتها ولم أتزوجها. لمحت أن بوادر مرض الذهان ستنتابني، ورأيت في مخيلتي رجلًا بجلبابٍ أبيض، لم يكن هذا الرجل سوى مروان نفسه. فتعالجت عند طبيب نفسي ليس صديق عمري، ولا يملك خزينة في عيادته. وواظبت - بتفانٍ وإخلاص - على الدواء الذي وصفه لي حتى شُفيت تمامًا..! حتى القارئات اللائي يبدين الإعجاب بي كنت أكتفي بابتسامة لهن فقط، وكنت أخشى أن أقيم علاقة مع أي فتاة أو سيدة خوفًا من أن أتفاجأ بحضور زوجها فأضطر إلى الاختباء داخل الدولاب والهرب مرتديًا جلبابًا أبيض..

بعد روايتي الثانية، أقدمت على خطوة ترددت كثيرًا على اتخاذها. غير أني كنت مشتاقًا جدًا على اتخاذها بالفعل. ألا وهي أن أكتب هذا الرجل غريب الأطوار. وأن أقترب منه وأسبر أغواره علّني أستطيع أن أحلله. وأخوض داخل نفسه البشرية، وكنت أخشى أن يموت قبل أن أفعل ذلك. أخذت رأي ريهام، واستأذنتها أن أكتب هذه الرواية، كنت أخشى أن ترفض، أو أذكّرها بأي شيء من ماضيها هذا. لكنني، وللحق.

لم أجد منها إلا كل ترحاب وتشجيع.. وهذا ليس غريبًا على امرأة عظيمة مثلها.

في نفس اليوم الذي استأذنتها في ذلك، جلست معي وحكت لي كل ما سبق، لم تبخل عليَّ بأي معلومات، كذلك أعطتني التسجيلات التي جرت بين مروان ونشأت، طبيبه النفسي. فكانت ثمينة للغاية وأعانتني على فهم ما كان يدور بخلد هذا الرجل ولو قليلًا. ذهبت بعدها إلى إسلام وابنة خاله ياسمين، جلست معهما وحكيا لي الجزء الخاص بهما، وأيضًا بترحابٍ لم أكن أتوقعه.

إلى أن وصلت للجزء الأكبر والأهم.. الجزء الخاص بمروان جبر نفسه. فذهبت إليه في منزله، فوجدته قابعًا منزويًا وحيدًا. صار رجلًا عشًا، وقد تغير شكله تمامًا عما رأيته في اليوم الذي كان فيه مع أمي، بدا كشيخ خائر هزيل أنهكته السنون.. لم أستطع منع نفسي من البكاء حين رأيته هكذا!!

كنت أخشى أن يرفض، وكنت قد قررت في داخلي أنه لو رفض سأكمل هذا الجزء من خيالي، وسأستبدل اسمه بأي اسم آخر مشابه. لكنني اندهشت أنه وافق شريطة أن أنشرها بعدما يموت.. فوافقت..

وللحق، فقد كان أكثر جزء أشعر فيه بالمتعة هو الجزء الخاص بهذا الرجل. لن أنسى هذا الأسبوع الذي جلست فيه معه ليسرد لي حكايته، وسأتحدث عما دار بيني وبين هذا الرجل باستفاضة في ندواتي القادمة وحفلات توقيعي...

وبالمناسبة، لم أجد حرجًا حين كتبت مشهد مضاجعته لأمي، أو سرقته لها. فأنا لست إلهًا كي أحاسب امرأة ميتة، أو كهلًا بائسًا يائسًا هَرِمًا، على ماضيهما..

أذكر هذه المرة جيدًا، يوم حفل توقيع إطلاق هذه الرواية، وبينما كنت واقفًا أمام المكتبة أنظر إلى الفاترينة المليئة بالكتب والروايات، وبينهما مئات النسخ من هذه الرواية، متراصة فوق بعضها البعض بشكل حلزوني بعث في قلبي البهجة والحبور. لمحت يمامة وقفت على غصن شجرة بجانبي، علقت نظرها عليَّ لنصف دقيقة قبل أن تطير مرة أخرى، فافتر عن ثغري ابتسامة، وقلت في نفسي أنها روح مروان جبر. ولم لا؟!

لن أنسى هذا الرجل قط، الذي حين رآني لأول مرة، تنبأ أنني سأكون..

كاتبًا...



تمّت

عمرو صيام

القاهرة ١٠/ ١٠/ ٢٠٣٠ ـ الساعة ٠٤:٤٩ مساءً

تمّت

أمير عاطف

القاهرة ١٠/ ١٠/ ٢٠١٦ ـ الساعة ٠٤:٤٩ مساءً

* * *



لم يكن يعرف أن تفاصيل الحكاية ستتغير كل مرة بشكل يجعله خارج القدرة على السيطرة. كاتب مرموق، زوجة مُحِبة، علاقات متعددة وكاتبة مشهورة.. تتداخل التفاصيل فتصنع مصائر متعددة متشابكة خارج حدود العقل. وجريمة حدثت ولم يتم الكشف عن الجاني الحقيقي، رغم أن هناك بالفعل جناة معاقبون في سجن ليس له أسوار، غير أنه منيع تمامًا ضد الهروب. ومحاكمة، القاضي فيها لم يحكم من قبل...!

تفاصيل مثيرة مرهقة، وحكايات شائكة... كيف اختلط الحب بالدمار والسقوط؟ وما الذي جعل ذلك الكاتب يتحول فجأة إلى متهم لا يعرف مصيره؟! هل من الممكن أن يكون هذا الكاتب ضحية لرواياته؟ أو أن تتحول شخوص رواياته إلى أشخاص حقيقية تلاحقه في حياته وتدفعه للجنون؟ وأخيراً، بعد كل ذلك. ماذا قد يصنع بنا القدر؟

أمير عاطف

كاتب مصري من مواليد القاهرة 1984 ، تخرج من كلية الآداب، جامعة عين شمس، قسم حضارة أوروبية قديمة، ثم تخصص في دراسة الأدب اليوناني واللاتيني...صدر له رواية "طارىء" في عام 2014 وجاري تحويلها لفيلم سينمائي، ورواية "لا شيء مما سبق" في يناير 2016.



